

فَسَاءُ النَّبِيِّ

الدكتور محمد عبد الباق

الاستاذ ورئيس قسم فلسفة القانون وتاريخه
بمفتى جامعة عين شمس
والعضو لدى المحاكم العليا الدستورية والنفس
ومجلس الدولة

فَسَاءُ النَّبِيِّ

الدكتور محمد توفيق

الأستاذ ورئيس قسم فلسفة القانون وتاريخه
بحقوق جامعة عين شمس
والحاصل على الحاكم العليا الدستورية والنقش
ومجلس الدولة



أزواج النبي محمد ، صلى الله عليه وسلم

أزواج ؟ نقولها بالجمع ، فتى كان للنبي ، عليه السلام ، أزواج ؟ ولماذا ؟
فى أى ظرف كان ؟ وهل كان استثناء ؟ وعندما صار استثناء ، فالى أى اتجاه
كان الاستثناء ؟ أكان للتيسير أم كان للتشديد ؟ وإذا كان للتشديد ، ولحظر ما كان
بها حائزا لغيره ، أفكان ذلك على أساس النظام العادى للزواج أم كان على أساس نظام
قانونى خاص ؟ وإذا كان على أساس نظام قانونى خاص ، يرتبط ارتباطا وثيقا بحفوة النبوة ،
أفكان كله من النبع الذى لا يملك الا فى سلك ما عرف الأندلسيون من الزواج السياسى ؟
وإذا كان كذلك ، كما سنرى ، أفكان الزواج السياسى هذا غرضه ظروف موضوعية لا يتركها
بعد أن يعرضها ، الا جاحد ؟

أسئلة كثيرة ، وراءها كثير من المشكلات التى لا يفرغ ، أويكاد ، وراء كل نبع منها ،
كثير من التسأل ، وأحد المشكلات تعقدا - لولا القرآن الكريم ومبانيه فيها - ما يشهده
أعداء النبي ، فى سيرته ، من أراجيف تلقاها بعض المسلمين على أنها حقائق لا تائقن
وانما عليه فيها التبرير ، فجاب هذا ، من السخف والفساد ، فى الدراك الأسفل من
الجدل الذى لم يكن فى التقليل عيبا . وهكذا يدت الحننات الكبيرة ذات المدى
القصيح فى الضخامة والفضامة ، فى تزيف هولا ، وتزيين أولئك ، فى أتمح المصهور
وأبعد ما من الحقيقة الخالصة من كل هوى ، السَّلَمة بالعميار الموضوعى . وقد تلقف
بعض المستشرقين هذا الخضم الزاخر بالأراجيف فلم يستعملوا فى تحييده ما يعرفون من
الأسلوب العلمى بل أخذوا - هم كذلك - يعثرونه - على خلاف عادتهم فى تلقى
الصالح من أسس الاسلام ونظمه بالشك والتعليل - حقائق لا شبهة فى صدقها ، بلغة جنس
بعض هولا ، أحيانا ، الى عى من اصطناع الشك فى رواية ، فانما يفعل ذلك ليظهر
موضوعيته فيها وفى غيرها ما يشفى فى نفسه تمطشا واضحا لقبول سائر الأراجيف .

ونريد ، هنا ، أن نكتب لهولا ، بالطريقة التى ألفوها فى وضع المملوكات
التاريخية فى ميزان الموضوعية البحث لأخذ ما تستقيم فيه الحقيقة ، ونرضى ما يتعارض
مع المحدث الوحيد المتفق على تاريخيته ، وصدق نسبتة الى عصر النبوة ، من المؤنيسين
به ومن غيرهم على سواء ، وهو القرآن الكريم .

المقدمة خديجة : تصفق الحادد ، وظاهر الرواة بعضهم بعضا ، على
أن النبي محمد ، عليه السلام ، كان فقيرا ، وأنه ظل بشعر استطاعة أن يتزوج حتى

الخامسة والعشرين^(١) ، حتى أتيح له أن يتزوج السيدة خديجة التي كانت قد قاربت سنها الثلاثين^(٢) . وكتب السنة والمؤرخون مجمعون على أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لم يتزوج قبل البعثة ، سوى خديجة ، وأنه لم يتزوج عليها

(١) انظر في تحديد الخامسة والعشرين محددين سعد المتوفى ٢٣٠ هـ جربة ، الطبقات الكبرى ، طبع بيروت ١٩٥٧ ، المجلد الأول ، ص ١٣٢ : " وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن خمس وعشرين " . ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد) المتوفى بالأندلس سنة ٤٦٣ هـ جربة ، الاستبصار في معرفة الأصحاب " . القسم الثالث ، ص ١٨٧ - ١٨٢٥ ، وهو يذكر احتمالات أخرى ، ابن هشام ، السيرة النبوية ، طبعة القاهرة ١٩٥٥ ، القسم الأول ، ص ١٨٧ ، الطبري تاريخ ، طبع دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٨ ، الجزء الثاني ، ص ٢٨٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، طبع النسخة بالقاهرة ١٣٤٩ هـ جربة ، الجزء الثاني ، ص ٢٤ ، ولكن ابن كثير ، البداية والنهاية في التاريخ ، طبع القاهرة ١٩٣٢ ، الجزء الثاني ، ص ٢٩٥ ، يذكر أن عمره كان خمسا وعشرين سنة ، ويعد ، في الجزء الخامس ، ص ٢٩٣ ، فيقول عن الزهري أنه قال : " وكان عمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يوم تزوج خديجة إحدى وعشرين سنة ، وقيل : خمسا وعشرين " ثم يقول : " وقال آخرون من أهل العلم : كان عمره ، عليه السلام ، يوم تزوج خديجة ثلاثين سنة . ومن حكم بن حزام ، قال : كان عمر رسول الله يوم تزوج خديجة خمسا وعشرين سنة " وقال ابن جرير : " كان عليه السلام ابن سبع وثلاثين سنة " ويختار الدكتور محمد حسين هيكل حياة محمد ، دار النهضة المصرية ، طبعة ١٩٦٥ ، ص ٣١٨ أنه " قد تزوج خديجة وهو في الثالثة والعشرين من عمره " .

(٢) الاختلاف في تحديد سن السيدة خديجة وقت زواجها كبير ، والمشهور أن سنها كان أربعين سنة . يقول هذا ابن سعد ، المشار إليه سابقا ، الطبري ، المشار إليه سابقا ، ص ٢٨٠ ، ابن عبد البر ، المشار إليه سابقا ، وابن الأثير ، المشار إليه سابقا ، ص ٢٤ . ولكن ابن كثير ، المشار إليه فيما سبق ، في الجزئين الثاني والخامس ، يذكر الرواية التي تقول أن سنها كان أربعين ، ومعها روايات أخرى أنها أن سنها كانت إذ ذاك خمسا وثلاثين . وقيل : خمسا وعشرين " ويذكر عن ابن عباس قوله : " كان عمرها ثمانين وعشرين سنة " وابن كثير ، حينما يتحدث عن سنها عندما ماتت ، يرجع أنها ماتت في سن الخمسين - لا في الخامسة والستين - ويقول إن الخمسين " هو الأصح " .

والدكتورة عائشة محمد الرحمن ، نساء النبي ، دار المعارف ، طبعة ١٩٧٣ ، ص ٢٧ ، تأخذ رواية أنها كانت " في الأربعين " قَصَّةً مُسَلَّةً ، حتى أنها تضعها في سن أم النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فتقول : " لو عاشت أنة بنت وهب لما جاوزت وتشتد من الأربعين " .

والأقرب إلى الشطوط في تنسيق كل الأخبار الخاصة بها ، عليها السلام ، أنها كانت في السن التي اخترنا الأخذ بها في السن ، للأسباب الآتية :

أولا : لأن عدد من ولدت السيدة خديجة للنبي ، عليها السلام ، لا تعدد .

حتى ماتت^(١) . والذكرى العطرة التي حملها النبي لها طوال حياتِهِ ، وشاومه الدائم عليها ، واهتمامه الظاهر بكل من عرفها أو كان على مودة معها وخاصة أختها^(٢) . كل ذلك بعد أن تزوج جميع من تزوج بعدهما من نسائه^(٣) ، كل ذلك دليل على أن العمر الطويل الذي قضاها معها كان خيرا ما عرف ، عليه السلام ، من حياة الزوجية ، لأنهم كان وحده ، ويقولها منذ الآن ، هو الزواج المادي الذي لم غرضه سياسة التهميم وسيطرته القيادة ، وتبعات مهام الدعوة الجسام .

• امرأة عربية بعد بلوغ سن الأربعين ، والمعلوم أن المرأة العربية ، في زمن الرسول كانت تبلغ في سن دون التاسعة ، والمعقول أنها إذن تبلغ من اليأس قبل الخمسين .

ثانيا : أن السيدة خديجة قد تزوجها النبي ، عليهما السلام ، وهو في الرأى الغالب ، دون الخامسة والعشرين ، ولم يرسل إلا في سن بلغت الأربعين . وكتب التاريخ تقول أنه قد ولد للنبي من خديجة ولد بعد البعث ، وليس محقولا أن تلد السيدة خديجة ، وهي في زمر رواية الزواج في الأربعين ، قد قاربت الستين .

ثالثا : أن السيدة خديجة قد تزوجت ، قبل النبي مرتين ، وقد ولدت لكل زوج ، وبات عنها الأول ثم الثاني : ولكل ذلك أثر في مظهرها ، ولعل هذا هو ما دعا إلى أن أنها قد بلغت الأربعين .

رابعا : الاتفاق التام بينهما وبين الرسول ، الذي سنوا في زواجهما الثالثي ، يدل على التقارب بينهما في السن أكثر من دلالة على الفرق الكبير بينهما فيه .

(١) في صحيح مسلم بشرح النووي ، طبع دار الشعب ، المجلد الخامس ص ٢٩٣ ، حديث عن السيدة عائشة ، قالت : " لم يتزوج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، على خديجة حتى ماتت " . وفي " الاستيعاب " المشار إليه سابقا ، ص ١٨١٩ : " قال ابن عمر : لا يختلفون أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لم يتزوج في الجاهلية ، على خديجة ، ولا تزوج عليها أحدا من نسائه حتى ماتت " .

(٢) في صحيح مسلم ، المشار إليه حالا ، في الباب نفسه ، حديثان عن السيدة عائشة ، تقول في أولهما : " ما غرت على أحد من نساء النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ما غرت على خديجة ، وما رأيتها ، ولكن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يكثر ذكرها ، وما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يمسحها في صدائق خديجة فترى ، قلت : كان لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة (فيقول : إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد " وفي الحديث الثاني : " قالت : استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة ، على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فعمسوف استأذنان خديجة فأرتاع لذلك فقال : اللهم هالة (قالت : ففترت ، فقلت : ما تذكر من عجز من عجائز قريش ، حراء الشدقين ، هكت في الدهر ، قد أبدلك الله خيرا منها " .

والبخاري (كتاب مناقب الأنصار ، باب تزوج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، خديجة وفضلها) يروي الحديثين مع مضافة أخرى من الأحاديث في فضل السيدة خديجة .

(٣) يأتي ابن عبد البر " الاستيعاب " المشار إليه سابقا ، ص ١٨٢٣-١٨٢٤ ، حديث يسنده •

يقول المؤرخون (١) : " ثم ان خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد (٢) ، فتناجحت على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، المصائب بسبب خديجة ، وكانت له وزير صدق على الاسلام ، يشكو اليها ، ويهلك معه أبي طالب ، وكان له عضدا وحرزا في أمره ، وشفعة واصرا على قومه ، وذلك قبل مهاجرة الى المدينة بثلاث سنين . فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بسن الأذى ما لم تكن تطيع به في حياة أبي طالب حتى اعرضه سفينة من سفنها قريش فنشر على راسه ترابا . فقامت اليه احدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي . . . "

واذا عرفنا أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، كان قد بلغ الخمين ، فان المعقول أنه كان يستع عن أي زواج جديد ، على الأقل حتى تنتظم الأمور يعرف شيئا من الاطمئنان على حياته (٣) ودعوتيه . ولكن خديجة ، رحمها الله ، تركت له بنات لا يزالن في حاجة الى من تعنى بحاجتهن اليومية ، ومشكلات الجهاد في سبيل ابلاخ الرسالة ، اذا كانت قد أخذت تعقيدا وغانما بالنسبة للرسول ، كما رأينا ، فانها كانت كذلك بالنسبة لأتباع الدين الجديد . ومنهم من مات تاركا لهذا العناء زوجة وأولادا ، ويقيمون بقي تكابد كل يوم مزيدا من الاضطهاد وقد يكون فوق طاقته أن يحارب

في سلسلة طويلة ، الى الشمس من مسروق عن عائشة أنها قالت : " كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن التماس عليها ، فذكرها يوما فادركتني الغيرة ، فقلت : هل كانت الا عجزوا ؟ فقد أبدلك الله خيرا منها . فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ، ثم قال : لا والله ، ما أبدلتني الله خيرا منها : آمنت بي اذ كفر الناس ، وصدقتني اذ كذبني الناس ، وواسني في مالها اذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها أولادا اذ حرمني أولاد النساء . قالت عائشة : فقلت ، في نفسي ، لا أذكرها بسوء ابدا . "

(١) ابن هشام ، المشار اليه سابقا ، ٢-١ ، ص ٤١٦ ، الطبري ، تاريخ ، ٢ : ٣٤٣-٣٤٤ ، شمس الدين الذهبي ، (مات ٧٤٨ هـ) تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير الاعلام ، القاهرة ، ١٣٦٧ هـ ، ص ١٣٩-١٤٠ ، ابن كثير ، البداية ، ٣ : ١٣٣-١٣٥ .

(٢) يقول ابن كثير ، المشار اليه حالا : " لما توفي أبو طالب وخديجة ، وكان بينهما خمسة أيام اجتمع على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مصيبتان ولزم بيتيه وأقل الخروج وقالت قريش ما لم تكن تتال ولا تطيع فيه . "

(٣) يلحصر ابن كثير الأذى الذي كان يصيب النبي ، عليه السلام ، في بيته ، فيذكر أن جيرانه كانوا يطرحون عليه رمح الشاة ، وهو يملأ ، وكان احدهم يطرحها برؤسها اذا نُصبت له ، حتى اتخذ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حجيرا يشتريه منهم . ثم يقول : " وخذى أن غالب ما روى ، ما تقدم ، من طرحهم سلا الجزير بين كفيه . "

بعد كل هذا في بناته وزوجين ، والمرب تشد ما لا ضمان لزواجهن ولا سلام
بعد ذلك المؤاد من أكبر الكائنات - هل يحمل النبي ، والحال كذلك ، عب ، غيره
من أنصاره ، وهو في أشد الحاجة الى من يحمل عنه بعض أعبائه ؟ أهى ضريبة
على القائد الرسول أن يكون عزيزاً عليه ما يصيب قومه والمؤمنين به من غشيت (١)
حتى ليحمل من همومهم أكثر ما يحمل من هموم نفسه ؟ ثم مشكلتان حقيقتان بحسب
سريع : مشكلة مؤمنة هاجرت مع زوجها المؤمن هرباً من عنت ما نال به المشركون
الدخيلين في الدين الجديد ، ثم عادت وطأت زوجها وقد ترك لها خمسة أطفال أو ستة (٢)
- ولا عائل لها ولهم غير أبيها المعجوز الذي صار هامة اليوم أو غد (٣) ، ونفسه أرغ
شديد اللدد نسي محاربة المؤمنين (٤) . أتترك المؤمنة المجاهدة وتترك بنوها للفتنة
والهتة بعد فقد العائل ؟

- وهو يصل كما رواه أبو مسعود ، وفيه أن فاطمة جاءت فطرحته عنه ، ثم يضيف :
وكذلك ما أخبره عبد الله بن عمرو بن العاص من خفيهم له ، عليه السلام ، خفياً
شديداً حتى حال دونه أبو بكر الصديق قائلاً : اعتلون رجلاً أن يقول : وسى
الله ! وكذلك مزم أبي جهل ، لعنه الله ، على أن يطأ عنقه ، وهو يصلح
فجبل بينه وبين ذلك ، وما أشبه ذلك لأن بعد وفاة أبي طالب •
- (١) انظر كيف سجل القرآن الكهم ذلك ، في سورة التوبة ١٢٨:٩ حيث يقول :
لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتتم حمى عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم •
- (٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، الجزء الثالث ، ص ١٢٣ : " قال الامام أحمد
حدثنا ••• عبد الله بن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خطب
امرأة من قومه ، يقال لها : سودة ، وكانت صبيحة : كان لها خمس صبيحة
أوست - من يحملها ، مات ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :
ما يمنعك مني ؟ قالت : والله ياتيني الله ما يمنعني منك أن لا تكون أحب
الي ، ولكني أكره أن تفخو هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشيما •
قال : فهل منعك مني غير ذلك ؟ قالت : لا ، والله • قال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله ، ان خيرنا ركن أعجاز الأيل صالح نساء
قهن ، أخناء على ولد في صفوه ، وأواء على بعمل بذات يده • قلت : وكان
زوجها قبله ، عليه السلام ، السكون بن عمرو أخو سهيل بن عمرو ، وكان من أسلم
وهاجر الى الحبشة ، كما تقدم ، ثم رجع الى مكة فمات بها ، قبل الهجرة
رضي الله عنه ، وكلمة " تفخو " في ابن كثير : " يمنوا " ولدى عمر رضا كحالمه
أعلام النساء في عالم العرب والاسلام " دمشق ١٩٤٠ ، الجزء الثاني ، ص ٦٦٠
- ٦٦٢ : " يفضيها " والصحيح من ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث
والأثر ، الجزء الثالث ، ص ٢١ ونصر " الضفا " بأنه : " الصياح والضجيج • "
- (٣) الطبري ، تاريخ ، الجزء الثالث ، ص ١٦٣ ، ابن كثير ، ١٣٢:٣ : " كان شيخا
قد أدركه السن • "
- (٤) الطبري ، المشار اليه حالا ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، الجزء الثاني •

ومشكلة ثانية للمؤمن الأول والأولى والأخلص وذلك ، غير مدافع ولا مضار ،
أبو بكر الصديق ذلك أنه ، كعادة العرب ، وجد من يتزوج ابنته عائشة —
وأبطل ما رزقه الله بها ، ولكنه إذ آمن بالنبي وأخلص الاسلام لدعوته وعرف بالتصديق
المطلق لكل ما جاء ، عليه السلام ، به ، قد أشار حفيظة الحاقدين على النبي
ودعوته وضم أسرة الموعود بزواج عائشة ، حتى أنهم لعاقدون العزم على رفض
هذا الزواج ما ظل مؤثرا (١) ! هل يترك الصديق يتلقى النبا الأليم فيحمل فوق ما تحمل
من جراح تصديقه وإخلاصه ؟ أو يبادر النبي عليه السلام (٢) ، فيأخذ على نفسه
مؤنة هذا الزواج صحيح ما هو حرى أن يترك الصديق إلى ما يشيع في نفسه الرضا
ويؤكد له عرفان الله ورسوله صديق ما أولى لدين الله من حب وإخلاص ؟

ص ٢١٠ ، وما يقولون أن أخاها محمد بن زمة " كان غابا ، فلما قدم " جمل
يحيى التراب على رأسه " ، وأنه " لما أسلم - بعد زمن - قال : " انى لى فيه
يوم أحسنى فى رأسى التراب أن تزوج رسول الله - بنت زمة " .

(١) يقول الطبرى ، تاريخ ، الجزء الثالث ، ص ١٦٢ (وكذلك ابن كثير ، البداية
والنهاية فى التاريخ ، الجزء الثالث ص ١٣٢) أن أبا بكر قال لمن أرسلها النبي
إليه يحطب عائشة : " انتظره حتى أرجع " فقالت أم رومان - زوج أبى بكر -
أن الطمحين عدى كان ذكرها على ابنه ، ولا والله ما وجد شيئا قط فأخلف
فدخل أبو بكر على مطعم ، وعند أمهات ، أم ابنه الذى كان ذكره عليه ، فقالت
المعجوز : يا ابن تحافة ، لعلنا أن زوجنا ابنا ابتك أن تصبه ، فخله فى دينك
اندى أنت عليه ! فأقبل على زوجها مطعم فقال : ما تقول هذه ؟ فقال : انها
تقول ذلك . قال : فخرج أبو بكر وقد أذهب الله العدة التى كانت فى نفسه
من عدته التى وعداها ، يقول ابن كثير : " فخرج من عنده وقد أذهب الله
ما كان فى نفسه من عدته التى وعد " .

(٢) فى صحيح البخارى ٥ : ٢١ باب تزويج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عائشة :
" حدثنا ٥٠ عن عائشة ، رضى الله عنها ، أن النبي ، صلى الله عليه وسلم
قال لها : أهلك فى المنام مرتين ، أرى أنك فى سرق من حير ، وقال : هذه
امراتك ، فأكف عنها فإذا هى أنت ، فأقول : ان يك هذا من عند الله
يخيه " - فى صحيح مسلم ، باب فضائل أم المؤمنين عائشة ، رضى الله عنها
(صحيح مسلم بشرح النووي ، المجلد الخامس ، ص ٢٦٤ : " حدثنا ٥٠ عن
عائشة ، أنها قالت : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : أهلك فى المنام
ثلاث ليال ، جاءنى بك الملك فى سرق من حير (قطعة من الحبر الجسد)
انظر ابن الأثير ، النهاية ، ١ : ١٥٩ (يقول : هذه امرأتك ، فأكف عن وجهك
فإذا أنت هى ، فأقول : ان يك هذا من عند الله يخيه " وابن كثير ، فى تاريخه
المشار إليه سابقا (٣ : ١٣٠) يأتي بروايات أخرى يقول : " وعند الترمذى أن جبريل
جاءه بصورتها فى خرقه من حير خضراء " ، فقال : هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة " .

حس النبي ، عليه السلام ، المشكلتين في أمر " سودة " و " عائشة " بكلمة واحدة قالها لمن مرضتها عليه إذ قال : " فاذهي فاذكهيها علي " (١) . وهكذا جمیع النبي ، نظريا فقط وإلى ما سيزيد عن ثلاث سنوات قبله (٢) ، بين زوجتين ، بمقد أن تجاوز الخمسين (٣) . ذلك أن " سودة " متفصل وحدها

" صدر لنا أن المشك في قوله ، عليه السلام : " أن يك هذا من عند الله بفرضه " انما يرجع الى أنه ، صلى الله عليه وسلم ، كان يعلم أن أبا بكر قد اوتيت نفسى زواجها لغيره : فلما عرضها عليه خولة بنت حكيم ، فهم أن عدولا قد حدث نسبى ، يقوله عرض خولة ، ومول خير المدول الى أبي بكر .

(١) القصة لدى الطبري ، تاريخ ١٢٢ : ٣ ، يحتفلها بين كثير ، في تاريخه ١٣١ : ٣ عن مسند أحمد بن حنبل بما هو قريب من قسبط الطبري . يقول ابن كثير : " قال الامام أحمد في مسند عائشة أم المؤمنين : حدثنا محمد بن بشر : حدثنا محمد بن عمرو أبو حنيفة يحيى ، قالوا لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون ، فقالت : يا رسول الله ، ألا تزوج ؟ قال : من ؟ قالت : إن كنت بكرا ، وإن كنت ثيبا . قال : نعم البكر ؟ قالت : ابنة أحب خلق الله إليك : عائشة ابنة أبي بكر . قال : ومن الثيب ؟ قالت : سودة بنت زمعة . قد أنشئت بك واتممتك . قال : فاذهي فاذكهيها علي " بعد أن يسترسل ابن كثير في ذكر الحديث الطويل ، يقول : " وهذا المساق كأنه مرسل وهو متصل لما رواه البيهقي ، من طريق أحمد بن عبد الجبار : حدثنا عبد الله بن إدريس الأزدي ، عن محمد بن عمرو ، عن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب ، قال : قالت عائشة : لما ماتت خديجة ، جاءت خولة بنت حكيم فقالت : يا رسول الله ، ألا تزوج ؟ قال : من ؟ . الخ القصة .

(٢) سنرى أن دخول النبي بما شقة سيكون بعد بلوغها ، وذلك نفسى المسنة الثانية بعد الهجرة الى المدينة انظر ، مع ما سأتسسى ، ابن كثير ١٣١ : ٣ .

(٣) في صحيح البخاري ٧١ : ٥ " توفيت خديجة قبل سخر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، الى المدينة بثلاث سنين ، فملك متوفين أو قريباً من ذلك ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ثم بنى بها . وهي بنت سبع سنين . السيرة النبوية ، الجزء الرابع ، ص ٦٦ ، فيقول : " تروى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عائشة بنت أبي بكر الصديق بمكة ، وهي بنت سبع سنين ، وبنى بها بالمدينة ، وهي بنت تسع سنين أو يشرى ، ولم يتزوج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، غيرها " . وانظر ، في زهد : الطبري ، تاريخ ، ١٢٤ : ٣ ؛ ابن الأثير ، تاريخ ، ١١٠ : ٤ ؛ ابن كثير ، البداية ، ١٣١ : ٣ وما بعدها .

حتى تبلغ السيدة عائشة مبلغ النساء فتزق الى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في العام الثاني للهجرة .

ويمتطيح المورخ في تسجيل الوقائع بنزاهة الموضوعية ، أن يميز هنا الحقائق الآتية :
أولا - أن بداية الجمع بين أكثر من زوجة جمعا واقعا سيكون بعد أن يتجسار النبي ، عليه السلام ، الثالثة والخمسين .
ثانيا - أن السيدة حذّة قد ظلت وحدها زوجا لا يشاركها غيرها أكثر من ثلاث سنوات أو زهاء ذلك ، وكانت السيدة عائشة فيها شريكا غير مقسم .

ثالثا - أن السيدة عائشة ، رضى الله عنها ، كانت زوج النبي الفريدة التي لم تتزوج قبله (١) ولا بعده ، فإذا عرفنا ، من ناحية ، أنها ستشارك بمن غرضه مستلزمات الرضا على النبي من زوجات ، ستعرف هأنس فيها على ، وعقب بلوغها منزل الزوجية بفترة وجيزة جدا ، ومن ناحية أخرى ان الوضع القانوني لزوجات النبي ، الذي سند رده في آيات حرة الأحزاب فيها ، يستلزم من الزواج بعده ، إذا عرفنا ذلك تبين لنا أن السيدة عائشة ، هي وحدها ، التي ستكون حقيقةً بمنع من التمهيز بحنايته خاصة ، لأنها وحدها التي لم تتل ما نالت الزوجات الأخريات ، من تمهيز مساو أو قريب ما نلن في متع الزواج وحياة الزوجية المادية . وإذا أضفنا الى كل ما تقدم أن النبي ، عليه الصلاة والسلام ، سموت وهي تكاد تبلغ الثانية عشرة (٢) (بالتاريخ الميلادي لم تبلغ السابعة عشرة) ، تأكدنا أنها نالت من مزاي الزواج الدنيوية ، وحتى مع نوع من الرعاية خاص ، دون جميع أمهات المؤمنين الأخريات . واذن فتصير ذلك النوع من الرعاية الخاص الذي أولاه إياها النبي ، على أنه ميل قرضه على النبي حب خاص لا يملك ، تصير غير صحيح ، وإنما الأمر أمر إحساس عادي بحق له وضع خاص .

(١) يقول البخاري في صحيحه (٧ : ٥٦) في كتاب النكاح ، باب نكاح الأبنكار ان ابن عباس قال لعائشة : " لم ينكح النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بكرا غيرك " ثم يروي عنها أنها قالت : " قلت يا رسول الله : أرايت لو نزلت وأد يا فيه شجرة قد أكل منها زوجة شجرة لم يؤكل منها ، في أمها كنت ترفع بغيرك ؟ قال : في الذي لم يرتج منها - - . تمنى أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لم يتزوج بكرا غيرها " وانظر : ابن هشام ، القسم الثاني ، ص ٦٤٤ : " لم يتزوج رسول الله بكرا غيرها " الطبري ، تاريخ ١٦٤ : ٣ : " لم يتزوج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بكرا غيرها " ابن الأثير ٢ : ٢١٠ : ابن كثير ٣ : ١٣٠ : ٢٦٤ .

(٢) الطبري ، المشار اليه حالا : " تزوجها قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهي ابنة سبع سنين ، وجميع إليها ، (يعني بجرها) ، بعد أن هاجر الى المدينة ، وهي ابنة تسع سنين ، في شوال ، فتوفي عنها ، وهي ابنة ثمان عشرة " .

وان أصيف اليه شيء فانما هو رعاية حق أبي بكر (١) أبيها الذي كان أرفى الخلق
 في السراء والسرا - على الدوام - وسترى كذلك رعاية حق الأب في بنت عمر بن الخطاب
 رابعا - ان كل زوجات النبي - ما خلا سودة التي عرفت حق عائشة
 ووضعها الخاص أصدق المعرفة - انما تزوجهن بعدها - وفي ذلك أوفد دليل على أنه
 لا يملك به القلب هنا أو هناك انما مقتضيات ظروف قاهرة تفرض نفسها بقسوة على من عليه
 سياسة أمور الناس في أخرج الأوقات وأكثرها تعقيدا وصرا .
 وخامسا - تذكر الذين فهموا بغير سنن من كلام (٢) النبي - عليه السلام -
 انه كان لمائسة رضى الله عنها - في قلب النبي حب لا يملك المدل معه - بمسا
 تقدم من اشتغال قلب النبي الدائم بذكر السيدة خديجة وفضلها على سائر نساءه حتى
 صارت بذلك - أكثر من مرة - السيدة عائشة - وحسنا اذن أن نعرف أن خديجة
 المتفاحة تحتل - في قلب الزوج الوفي - دائما - المكان الأسى - وثاني عائشة
 فلا يتغير من هذا شيء - ثم لا يشغل النبي زواجه بالسيدة عائشة - الذكية - الثقيمة
 البتة الشباب - المشقة الجبال - عن حمل عب - كل من تزوج بعدها - وكل أزواجه
 - خلا سودة - بعدها - حسنا أن نعرف هذا حتي يتجه بنا الذهن الي من فهم قوله
 عليه السلام : " اللهم هذا قسمي فيما أمرك - فلا تليني فيما تترك ولا أمهلك " .
 على أنه لا يملك أن يعرض عائشة كل التعرض وأن فعل في سهل ذلك كل وسيسه
 وناسة اذا عرفنا - كما سيأتي - أن النبي عليه السلام لم يكن عليه - في الوضع
 الثاني الخاص الذي سجدده القرآن له - بعد التخيير - حرج في " ارجا من يسا
 وايضا من يشاء " (٣) .

(١) في صحيح مسلم - باب من فضائل أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها
 (المجلد الخامس - ص ٢١٦ - ٢١٨) حديث طويل عن عائشة أنها قالت : " أرسل
 أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه
 وسلم - فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الي رسول الله - صلى
 الله عليه وسلم - فاستأذنت عليه .. فقالت : ان أزواجك أرسلتن اليك يمانك
 العدل في ابنة أبي قحافة .. فقال لها : أي ابنة - ألمت تحبين ما أحسب ؟
 فقالت : بلى - قال : فأجبي هذه ... فأرسل أزواج النبي - صلى الله عليه
 وسلم - زينب بنت جحش - زوج النبي - صلى الله عليه وسلم .. فقالت : يا رسول
 الله - ان أزواجك أرسلتن اليك يمانك العدل في ابنة أبي قحافة - قالست
 (عائشة) ثم وضعت يدي فاستطالت على .. فلما وقعت بها .. انحيث عليها - قالت :
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وبهم - انها ابنة أبي بكر " .

(٢) انظر ما تقدم - ص
 (٣) انظره حتى نعرض لهذا الموضوع بعد قليل - الآية الحادية والخمسين من سورة الأحزاب

حفصة بنت عمر بن الخطاب : يقول الامام علي بن أبي طالب (١) : " كنت كثيرًا
 أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : جئتُ أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلتُ
 أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر " وفي أحاديث الأمثال يقول النسي
 عليه السلام ، أكثر من مرة : " فاني أومن به وأبو بكر وعمر " (٢) . فاني أومن به أنا وأبو بكر
 وعمر ، وما هاتَمَ (٣) ماذا يكون على النبي اذن ، وهذه حاله ، في صحبته أبا بكر
 وعمر ، غير أن يكون في عين عمر مثلما كان في عين أبي بكر ، اذا نال أحد هـــــــــــــ
 مثل ما نال الآخرون هـــــــــــــ ؟

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (المجلد الخامس ، ص ٢٥١ - ٢٥٢) يذكر
 من فضائل عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، " حدثنا ... عن أبي مليكة
 قال سمعت ابن عباس يقول رُوي عن عمر بن الخطاب على سريرته ، فتكفـه
 الناس يد عن رؤسهم ويصلون عليه قبل أن يرفع ، وأنا فيهم ، قال ، فلم يرعنى
 الا برجل قد أخذ يبتكس من رائي ، فالتفت اليه ، فاذا هو طليح ، فترحم على هو
 وقال ، ما خلفت أحدا أحب اليّ أن ألقى الله بمثل علمه منك ، وأيم الله ان كنت
 لأظن أن يجعلك الله صاحبك ، وقد آتاني كنت أكثر أسمع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، يقول جئتُ أنا وأبو بكر ... فان كنت لأرجو - وألاظن -
 ان يجعلك الله معهما " .

(٢) صحيح مسلم ، المكان انشار اليه سابقا (٢٤٩٠٥ - ٢٥١) يقول أبو هريرة :
 " قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها
 التفتت اليه البقرة فقالت : إني لم أخلق لهذا ، ولكني انما خلقت للحركة .
 فقال الناس ، سبحان الله ، تعجبا وزعجا ، لبقرة تكلم ؟ - فقال رسول
 الله ، صلى الله عليه وسلم ، فاني أومن به وأبو بكر وعمر " قال أبو هريرة .
 قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب
 فأخذ منها شاة ، فطلبه الراعي حتى استنقذها منه ، فالتفت اليه الذئب
 فقال له : من لها يوم السبع ، يوم ليس لها راع غيري ؟ فقال النسي
 سبحان الله ! - فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فاني أومن
 بذلك أنا وأبو بكر وعمر " . وفي رواية أخرى ، في شأن البقرة والشاة معا .
 " فاني أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هاتَمَ " .

وفي المكان نفسه أحاديث أخرى يظهر فيها عظيم تقدير النبي ، عليه السلام ،
 لعمر ، مثل ما يروي أبو هريرة ، حيث يقول . " سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، يقول - بينما أنا نائم ، رأيته على قليب (بئر)
 عليها دَلَسٌ (تفكر وقوّت ، وتأنيها) ، فنزعت منها ماء ، الله ، ثم
 أخذها ابن أبي قحافة فنزحها ذنبا أو ذنوبين ، وفي نزعه ، والله
 يفرله ، ضعف ، ثم استحالت غريا (دلوا عظيمة) فأخذها ابن الخطاب ،
 فلم أر جفريا من الناس يشرع نزعه عمر بن الخطاب ، حتى ضرب الناس بعطس
 وفي رواية . " فلم أر جفريا من الناس يفري فريته " .

(٣) صحيح مسلم ، المكان انشار اليه حالا .

وها هو ذا عمر يرى لبنته "حفصة" تنفذ زوجها شهيدا دافعا
عن الاسلام في بسطه ، وفي أحد حيث جرح فمات متأثرا بجراحه^(١) .
وتتظير عمر أن يتقدم بتقديم ليتزوج "حفصة" فيخرجها من حزنها ، فلا
يتقدم أحد . فيذهب هو ، كما يقول ، في رواية البخاري في صحيحه^(٢)
الى "شان بن غان" فعرضت عليه حفصة ، فقال ما نظر في أمسرى .
فلبت لبالى ، ثم لقيني فقال . قد بدا لي أن لا أتزوج يومى هذا .
قال عمر . فلقيت أبا بكر الصديق فقلت : إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر .
فمات أبو بكر فلم يرجع الى شيئا *

ولم يترك النبي ، عليه السلام ، عمر بن الخطاب في محتته ، وتقدم اليه
يخطب^(٣) هو ، لنفسه ، "حفصة" رعاية لحق مزدوج : حق أرملة الشهيد أن تجد
عائلا ، في زمن ليس فيه ميزانية لدولة تنفق منها على الشهداء في أسرهم
بعد أن ضحوا بحياتهم في سبيل الوطن كما تفعل اليوم ، وحق الجاء لمن صدقوا
الولاء ، وأحسنوا في سبيل الله الجهاد ووا زرة الرسول كفى الاحسان . وستمرف . على
أمة حال ، أن زواج النبي ، عليه السلام ، بحفصة كان مجردا لهذين الغرضين من قول
عمر . هو نفسه ، لها ، في مناسبة ، ستمرض لها قريبا . " لقد عليك أن رسول
الله ، صلى الله عليه وسلم ، لا يحبك ، ولولا أنا لطلقك " (٤) .

(١) انظر ابن هشام ، المجلد الأول ، ص ٢٥٦ الهامش ٢ ، ص ٣٢٨ ، ص ٣٦٧ ،
والهامش ٣ ، ص ٤٧٦ - ٤٧٧ ، الطبرى ، تاريخ ٣ - ١٦٤ .

(٢) المجلد السابع ، ص ١٧ - ١٨ (كتاب النكاح) .

(٣) في كتاب الاستيعاب لابن عبد البر ، المشار اليه سابقا ، ٤ ، ١٨١١ - ١٨١٢ في
الحديث عن "حفصة" قال برواية أخرى . انها " لما تأملت ذكرها عمر
لا بأس بكرا كلمة " ففقت من ذلك عمر . ثم عرضها على عثمان .
حين ماتت "وقيمة" بنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .
فقال عثمان . ما أريد أن أتزوج اليوم . فانطلق عمر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فشكا اليه عثمان ، وأخبره بحضه حفصة عليه
فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . يتزوج حفصة من هو
خير من عثمان . ثم خطبها الى عمر فتزوجها رسول الله ، صلى الله عليه
وسلم . . .

(٤) صحيح مسلم يشرح النووي ٥٥ - ٦٧١ .

أُمِّ سَلَمَةَ (هُنْد بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغيرةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَرَبِينَ مَخْزُومٍ) يَقُولُ الطَّبْرِيُّ (١) :
 كَانَتْ قَبْلَهُ - أَيْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ - " هُنْدُ ابْنَةُ سَلَمَةَ ابْنِ عَبْدِ الْأَعْدَى بْنِ
 هَلَالِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَرَبِينَ مَخْزُومٍ " وَشَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ، وَكَانَ قَارِئَ الْقَوْمِ ، فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ يَوْمَ أُحُدٍ فَمَاتَ مِنْهَا . وَكَانَ ابْنُ عَمَّةٍ رَسُولِ
 اللَّهِ وَرَضِيعُهُ ، وَأُمُّهُ بَرَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ . وَلَدَتْ لَهُ عَمْرُوسَةَ وَزَيْنَبَ وَدُرَّةَ " . وَالطَّبْرِيُّ
 يَضِيفُ إِلَى مَا تَقْدِمُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَثَرُ أَنْ يَخْلُفَ الشَّهِيدَ الْقَرِيبَ الْعَزِيزُ
 فِي أَهْلِهِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَأَنَّهُ زَوْجُ سَلَمَةَ - ابْنَتِهَا -
 بِابْنَةِ شَهِيدٍ آخَرٍ مِمَّنْ هُوَ مِنْ حِمَزَةٍ . وَقَدْ عَرَفْنَا مِنَ السِّيَرَةِ لِابْنِ هِشَامٍ (٢) ، وَفِي صَحِيحِ مُعَلِّمٍ (٣) ،
 أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ كَانَتْ زَوْجًا لِلنَّبِيِّ قَبْلَ أَنْ يُضَرَّبَ عَلَى زَوَاجَاتِهِ الْحِجَابَ .

وَابْنُ الْعَرَبِيِّ (٤) يَحْتَدِلُ عَلَى نَحْوِ مُنْطَلَقِي ، وَطَى أَسْسَ تَارِيخِيَّةً -
 أَنَّ الزَّوْجَاتِ الْأَرْبَعَ (٥) : سُودَةُ وَهَاشِمَةُ وَخَفْصَةُ وَأُمُّ سَلَمَةَ هُنَّ الْخَيْرُ اثْنَتَانِ " سُورَةُ الْأَحْزَابِ "

- (١) تَارِيخُ ٣ : ١٦٤ وَنَظَرُ ابْنِ الْأَثِيرِ ٢ : ٢١٠ . ابْنُ كَثِيرٍ ٥ : ٩٤ .
 (٢) الْجَزَانُ الثَّلَاثُ وَالرَّابِعُ ، ص ٢٢٧ . وَنَظَرُ ص ٣٦٨ فِي هِجْرَتِهَا إِلَى الْحِجَةِ
 وَوُجِدَتْهَا : ص ٦٤٤ - ٦٤٥ فِي زَوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ .
 (٣) الْمَجْلَدُ الْخَامِسُ ، ص ٦٨٢ يَقُولُ عَرَبِينَ الْخَطَّابُ ، فِي حَدِيثٍ لِمُعَلِّمِ اللَّهِ ﷺ
 عَاسٍ عَنْ زَوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَمَا أَقْبَضَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 وَبَرَّرَهُ عَلَيْهِنَ لِنَصَحَتِهِنَّ : " خَرَجْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ ، لِقَرَابَتِي مِنْهَا ،
 فَكَلِمَتُهَا ، فَقَالَتْ : عَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ! قَدْ دَخَلْتَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى
 تَبْتَغِيَ أَنْ تَدْخُلَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَزْوَاجِهِ " . وَيَقُولُ
 (١٦٩ : ٥) فِي حَدِيثٍ لِمُعَلِّمِ اللَّهِ ابْنِ عَاسٍ ، فِي الْمَوْضِعِ نَفْسَهُ : " ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ
 يُوْثِقَ بِالنِّسَاءِ بِالْحِجَابِ " .

- (٤) أَحْكَامُ الْقُرْآنِ ٣ : ١٥١٢ - ١٥١٣ : " الْخَيْرُ اثْنَتَانِ أَرْبَعٌ : الْأُولَى : سُودَةُ بِنْتُ
 زَيْدٍ ، تَجْتَمِعُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي لَوْنِي ، الثَّانِيَّةُ :
 عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ، تَجْتَمِعُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي الْأَبِ الثَّانِي ،
 الثَّلَاثَةُ : خَفْصَةُ بِنْتُ عَرَبِينَ الْخَطَّابِ ، تَجْتَمِعُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فِي الْأَبِ الثَّامِنِ ، الرَّابِعَةُ : أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغيرةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو
 ابْنِ مَخْزُومٍ ، تَجْتَمِعُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي الْأَبِ السَّابِعِ ،
 وَذَكَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُصَرِّفِينَ أَنَّ الْخَيْرَاتِ مِنْ زَوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 تَمَّحُ . وَذَكَرَ النَّقَاشُ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَزَيْنَبَ مِنْ سَائِلِ النَّبِيِّ ﷺ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 النِّفْقَةُ وَنَزَلَ لِأَجْلِهَا آيَةُ التَّخْيِيرِ . وَهَذَا كُلُّهُ خَطَأٌ عَظِيمٌ ، فَإِنَّ فِي الصَّحِيحِ - كَمَا
 قَدْ نَظَرْنَا - أَنَّ عَمْرًا قَالَ ، فِي الْحَدِيثِ الْمَتَّقَمِ : فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ
 الْحِجَابُ . وَأَمَّا نَزْلُ الْحِجَابِ فِي وَلِيَّةِ زَيْنَبَ ، وَكَذَلِكَ أَنَّ زَوْجَ أُمِّ حَبِيبَةَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ،
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، النَّجَاشِيُّ . . . ذَلِكَ سَنَةٌ سِتٌ " .

- (٥) وَيُظْهِرُ ، عَلَى هَذَا النَّحْوِ ، أَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ أَرْبَعِ زَوَاجَاتٍ تَعَلَّقَ بِهِ الصَّعِيَّةُ غَائِبَةٌ .

ذلك التخيير الذي سترتب عليه وضع قانوني خامر لزوجات النبي له أحكامه المختلفة ،
في كثير من أحكام الزواج العامة - وقصة التخيير - كما جاءت في كتب السنة (١) .

البدى ، وأنه من ثم لا يجوز مزيدا ، مهما كانت الظروف ، وسهما تجمعت شروط
التعدد التي تستلزمها - بعد سنوات من تاريخ هذا التخيير لزوجات النبي -
آية النساء الثالثة - ونصود الى مناقشة الآراء المختلفة حول هذا العدد فيما
بعد .

- (١) أحاديث التخيير وما سبقه كثيرة في صحيح البخارى ومسلم وفي سائر كتب السنة
مثل مُسْتَدَرَأ أحمد وغيره ، وفي السنن الكبرى للبيهقى ، وحسننا هنا الحديث
الآتى الذى أنبئه البخارى ومسلم معا وهو فى مسلم على النحو الآتى (انظره
كذلك : محمد نوران عبد الهانى ، " اللؤلؤ والمرجان فيما اجتمع ليه الشيخان
٢ : ١٣١ - ١٣٥) : " حدثنا ٠٠ عن ابن عباس قال : لم أر حريصا أن
أسأل عمر عن المراتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، اللتين قال الله تعالى
ان تنيا الى الله فقد صفت قلبكما - حتى حج عمر وحجبت معه ، فلما كان ببعض
الطريق عدل عمر ودلت معه ٠٠ فقلت : يا أمير المؤمنين ، من المراتين ٠ قال
عمر : وأعجب لك يا ابن عباس ٠ هي حفصة وعائشة . ثم أخذ يسوق الحديث
قال : كما بشر قريش قوما تغيب النساء ، فلما قدما المدينة وجدنا قوما
تغلبهم نساؤهم فنفقوا نساؤا يتعلمن من نسائهم ، قال : وكان منزلى فى بئر
أمية ابن زيد بالعوالي ، فتفصت يوما على امرأتى فإذا هى تراجعنى ، فأنكرت
أن تراجعنى فقلت : ما تنكر أن أراجعك ؟ فوالله ان أزواج النبي صلى الله
عليه وسلم ، ليراجعن ، وشجره أحدها من اليوم الى اللؤلؤ - فانطلقت فدخلت
على حفصة ، فقلت : أتراجعين رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؟ فقلت : نعم
فقلت : أتشجره أحداكن اليوم الى اللؤلؤ ؟ قالت : نعم . قلت : قد خاب من
فعل ذلك منكن وخير ، أفتأمن أحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ، صلى
الله عليه وسلم ، فإذا هى قد هلكت ؟ لا تراجعين رسول الله ، صلى الله عليه
وسلم ، ولا تنالينه شيئا ، وسليبنى ما بدا لك ، ولا يخرنك أن كانت جارتك هى أوسم
وأحب الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ينكح - يريد عائشة - قال :
وكان لى جارة من الأنصار ، فكانت تتأوب التزول الى رسول الله ، صلى الله عليه
وسلم ، فننزل يوما وأنزل يوما ، فبأنتهى بخير الوحي وغيره ، وأتته بشل ذليلك .
وكما نتحدث أن غسان تتجمل الخيل لتتمزوا ، فنزل صاحبى ثم أتانى عشاء ، فغضب
بائى ثم نادانى ، فخرجت اليه ، فقال : حدث أمر عظيم . قلت : ماذا ؟ أجاب
غسان ؟ قال : لا ، بل أعظم من ذلك وأطول ! طلق النبي ، صلى الله عليه
وسلم ، نساءه . فقلت : خابت حفصة وخيرت ، قد كنت أظن هذا كائنا ، حتى
إذا صليت المبحر شدت على ثيابى ، ثم نزلت فدخلت على حفصة ، وهى تنكسر
فقلت : أطلن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؟ فقلت : لا أدري ، ها هو
ذا معتزل فى هذه المشيرة . فأتيت فلانا له أسود ، فقلت : استأذن لعمرك .
فدخل ثم خرج الى فقال : قد ذكرتك له فصمت . فانطلقت حتى انتهيت الى النهر
فجلست فغادى حده ، ومط جلوس يركى بعضهم ، فجلست قليلا ثم غلبنى ما أجسد ،

تتلخص في غيرة نساء النبي وتكليفهن إياه غير الطلاق حتى دفعته إلى أن يهجرهن شهرا ثم يخيرهن الخيار الذي أملت الآيات الثامنة والعشرون والتاسعة والعشرون من سورة الأحزاب ويقولان : " يا أيها النبي قل لأزواجك : ان كنتم تريدون الحياة الدنيا وزينتها فتحالين أمتعن واسرحن سراحا جيلا . وان كنتم تريدن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعدل للمحسنت منكم أجرا عظيما " .

واذن فأزواج النبي مخيرات بين الدنيا والآخرة (١) ، بين حياة الزوجية العادية

ثم أتيت الغلام فقلت : استأذن لعمر . فدخل ثم خرج إلى فقال : قد ذكرت لك له فصمت . فقلت مدبرا . فإذا الغلام يدعوني . فقال : ادخل . فقد أذن لك . فدخلت فسلمت على رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فإذا هو متكئ على رمل حصيد أثر في جنبه . فقلت : أطلقت . يا رسول الله نساءك ؟ فرفع رأسه إلى وقال : لا . فقلت : الله أكبر ! لو رأيتنا يا رسول الله . وكأ ممشقش قوما تغلب النساء . فلما قدنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساءهم . فطلق نساؤنا يتعلمن من نساءهم . فتغضبت على امرأتى يوم . فإذا هي تراجعتني . فأنكرت أن تراجعتني ففعلت : ما تكره أن أراجمك . فوالله ان أزواج النبي . صلى الله عليه وسلم . ليراجمن . وشجرة أحداهن اليوم إلى الليل . فقلت : قد خاب من فعل ذلك شهن وخسر . أفأنت من أحداهن أن يغضب الله عليها ! غضب رسوله . صلى الله عليه وسلم . فإذا هي قد هلك . فتهن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فقلت : يا رسول الله . قد دخلت على حمة فقلت : لا يخرتك ان كانت جارتك هي أوسنك وأحب إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . منك . فتهن أخرى . فقلت : أستأين يا رسول الله ؟ قال : نعم . فجلست . فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر . الا أهيا ثلاثة . فقلت : ادع الله يا رسول الله . أن يوسع على أمرك . فقد وسع على فارس والروم . وهم لا يعبدون الله . فاستوى جالسا . ثم قال : أفنى شك أنت يا ابن الخطاب ! أولئك نسوم جعلت لهم طياتهم في الحياة الدنيا . فقلت : استغفر لي يا رسول الله . وكان أقسم ألا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن .

(١) انظر في هذا التخيير وأسبابه ونتائجه : الامام الشافعي . الأم : ١٢٤ : ٥ - ١٢٧ . أحكام القرآن ١ : ١٦٧ - ١٧٠ . الطبري ١٦ : ١١١ - ١١٢ . يقول تعالى ذكره : لنبيه محمد . صلى الله عليه وسلم . قل . يا محمد . لأزواجك : ان كنتم تريدن الحياة الدنيا وزينتها فتحالين أمتعن . فاني أمتعن ما أوجب الله على الرجال للنساء من النعمة عند فراقهم إياهن بالطلاق . بقوله : ومتوهن . على الموسع قدره . وعلى المقتر قدره . متاعا بالمعروف حقا على المحسنين . وقوله : واسرحن سراحا جيلا . يقول : وأطلقن . على ما أذن الله به وأدب به عباده بقوله : اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن . وان كنتم تريدن الله ورسوله . يقول : وان كنتم تريدن الله ورسوله . فان الله أعدل للمحسنت منكم . وهن العاملات شهن بامر الله وأمر رسوله . أجرا عظيما . وذكر ان هذه الآية

بكل مقتضياتها حين وضع قانوني خاص ، يكون الغاية منه ، والمقتضى الثابت لـه ،

نزلت على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من أجل أن طائفة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شيئا من عرض الدنيا ، وإشيا زيادة في النفقة أو غير ذلك ، فاحتزل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، نساء شهرها ، فيها ذكر ، ثم سمى أمره الله أن يخبرهن بين الصبر عليه والرضا بما قسم لهن والعمل بطاعة الله ، وبين أن يحتسبن وفارقتهن ، أن لم يرضين بالذي قسم لهن . وقيل : كان حبيب ذلك غيرة كانت طائفة فارتها . والطهرى يروى بعد ذلك من الحسن وقائدة أنفسه " خيرهن بين الدنيا والآخرة ، والجنة والنار ، في شيء كن أردنه من الدنيا " وقال ابن زيد فسر الآية فقال : " كان أزواجه قد تغايرن على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فجهوهن شهرا ، ونزل التخيير من الله لهن فيه . فخيرهن حين أن يخترن أن يخلن سبيلهن يصرحن ، وبين أن يقمن أن أردن الله ورسوله على أنهن أمهات المؤمنين ، لا يتكهن أبدا ، وعلى أنه يروى إليه من يشاء منهن لمن وهب نفسه له ، حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ، ويرجى من يشاء حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ، ومن ابتغى منهن هوى فله ، فلا جناح عليه . ذلك أدنى أن تفرعنهن ولا يحزن يرضين - إذا علمن أنه من قضائى عليهن إيشا وبعضهن على بعض - أدنى أن يرضين ، قال . فخيرهن بين أن يرضين بهذا ، أو يفارقتهن فاخترن الله ورسوله . وكان على ذلك ، وقد شرط له هذا الشرط ، ما زال يعدل بينهما حتى لقي الله . وأبو بكر الوازى الجصاص ، أحكام القرآن ٣ : ٣٥٧ - ٣٥٩ يقول : " اختلف الناس في معنى تخيير الآية ، فقال قائلون هم الحسن وقائدة : أما خيرهن بين الدنيا والآخرة ، لأنه قال : أن كتن تردن الحياة الدنيا وزينتها - الى قوله - وأن كتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة . وقال آخرون : بل كان تخييرا للطلاق على شريطة أنهن إذا اخترن الدنيا وزينتها كن مختارات للطلاق ، لأنه تعالى ، قال : أن كتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين استعكن وأسرحكن سراحا جميلا - فجعل اختيارهن للدنيا اختيارا للطلاق وقد أيد الرأي الثاني ، والطوسي ٨ : ٣٠٠ - ٣٠٤ يقول : " قال الحسن : لم يكن ذلك تخيير طلاق ، وإنما هو تخيير بين الدنيا والآخرة . وكان لنزول الآية سبب معروف من بعض أزواج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وآله وسلم ، فعاتبن الله تعالى ، وخبرهن بين البقاء مع النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وآله وسلم ، واختيار ما عهد الله من الثواب ونعيم الأبد ، بين فارقته بالطلاق ، وتجعل المنافع يأخذ منها . وفي هذا المعنى : الطهرى ٨ : ١٦٤ - ١٦٨ ، يقول الزمخشري ٢٥٨٣ : " أردن شيئا من الدنيا من ثياب وزينة نفقة وتغايير ، فمضى ذلك النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فنفرت " ، وحليل ابن العربي ، أحكام القرآن ٣ : ١٥٠ - ١٥٢ ، فسّر شرح الآية ما يتصل بأسبابها وعلاماتها ، فيقول في سبب نزولها خمسة أقوال : الأول : أن الله ، سبحانه ، صان خلقة نبيه ، وخبرهن ألا يتزوجن بمحمد ، فلما اخترته أسكنه ، قاله مقاتل بن حيان ، الثاني : أن شاء الله ، سبحانه ، خير نبيه بين الدنيا والآخرة ، فجاء الملك الموكل بخزائن الأرض بفاتحتها ، وقال له إن الله خيرك بين أن تكون نبيا ملكا ، وبين أن تكون عبدا نبيا ، فنظر رسول الله

رضا الله ورسوله ، وشباب الدار الآخرة فقسط . ولما اختزن الله ورسوله والدار الآخرة

صلى الله عليه وسلم ، إلى جبريل كالمستشير ، فأشار إليه أن تواضع ، فقبال :
 بل نبيا عدا ، أجمع يوما وأجمع يوما . فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم ،
 اللهم أحيني بمكنتها ، وأمتي بمكنتها ، وأحشني في زمرة الساكين . فلما اختار
 ذلك أمره الله ، تعالى بتخيير أزواجه ليكن على مثاله . قال ابن القاسم ، الثالث :
 أن أزواجه طالبنه بما لا يستطيع حكاه النفاخر والصحيح ما في صحيح مسلم
 عن جابر بن عبد الله ، قال : جاء أبو بكر يستأذن على رسول الله ، صلى الله
 عليه وسلم ، فوجد الناس جلوسا عند بابهم ، ولم يأذن لأحد منهم . قال : فأذن لأبي
 بكر ، فدخل . ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له بالدخول ، فوجد النبي ، صلى
 الله عليه وسلم ، جالسا وحوله نساء ، وأجاسا ساكتا . قال : فقال أبو بكر :
 لأقولن شيئا يصحك النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : أرايت ، يا رسول
 الله ، بنت خازجة ، سألتني النفقة ففتت اليها فوجأت عفتها . فضحك رسول الله ،
 صلى الله عليه وسلم ، وقال : من حولى ، كما ترى . سألتني النفقة . فقال أبو بكر
 إلى عائشة بجا عفتها ، وقام عمر إلى حفصة بجا عفتها . كلاهما يقول : تمالسن
 رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما ليس عندك . (- ثم احتزلهن شهرا ، ثم
 أنزلت آية التخيير الربيع : أن أزواجه اجتمعن يوما فقلن : تريد ما تريد
 النساء من العلى والثياب ، حتى قال بعضهم : لو كنا عند غير رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، لكان لنا حلى وشباب وشان . فأئذن الله ، تعالى تخييرهن .
 - قاله النفاخر . - الخامس : أن أزواجه اجتمعن في الخيرة عليه ، فحلف ألا
 يدخل عليهن شهرا وابن العربي يشرح ، بعد ذلك ، الآية ، فيسرى
 أن قوله : " قل " يحتمل الوجوب والاباحة . فان كان الوجوب لفزول الآية تخيير
 الله له بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ، فأمر أن يفعل ذلك بأزواجه ليكن
 في منزله ، وليتخلقن بأخلاقه الشريفة ، وليصن خيراتهن الكريمة من أن يدخل عليهن
 غيره ، فهو محمول على الوجوب . وان كان لمحوالهن الانفاق ، فهو لفظ اباحه
 فكأنه قيل له : ان ساق صدرك بموالين لك ما لا تطيق ، فان شئت فخيرهن .
 وان شئت فاصبر معهن . وهذا بين لا يفتقر إلى اطلاق . - " لأزواجه " ان كثر
 تردد الحياة الدنيا ، وهو شرط ، جوابه : فتمالين امتعن واسرحكن - فعلق
 التخيير على شرط ، وهذا يدل على أن التخيير والطلاق المعلقين على شرط صحيحان
 ينفذان ، ومضيان ، خلافا للجبال المبتدعة ، الذين يزعمون أن الرجل اذا قال
 لزوجه : ان دخلت الدار فأنت طالق ، انه لا يقع الطلاق ان دخلت الدار ، لأن
 الطلاق الشرعي هو النجلا غير . (الحياة الدنيا وزينتها : معناه ان كثر
 تصدن الحالة الفرية يمكن ، فان للامان حالتين : حالة خوف فيها ، تسمى الدنيا
 (وحالة لا بد أن يصير اليها وهي الأخرى) وتقدم التنع بما فيها ، والتزيم
 بحاسنها سرحتك لطلب ذلك ، كما قال ، تعالى : من كان يريد حرث الآخرة
 نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤمته منها ، وما له في الآخرة من نصيب .
 ولا بد للمرأ أن يكون على صفتين : اما أن يلتفت إلى هذه الحالة الفرية ، ويجمع لها ،
 وينظر فيها ، ومنها ، واما أن يلتفت إلى حالته الأخرى عفاها ما يفقد ، ولها
 يمس ويطلب . ولذلك اختار الله لرسوله الحالة الأخرى ، فقال لـــــــ :

رتسب الله على هذا الاختيار نتائج هامة بعضها يجعل لمنزلة

- ولا تمدن عينك الى ما متعنا به أزواجنا منهم ، زهرة الحياة الدنيا يفتنهم فيه ، ووزن ريك خير وأبقى . . . فخير الله أزواج نبيه في هذا ، ليكون لمن المنزل العلية ، كما كانت لزوجهن . وهذا معنى ما روى أحمد بن حنبل عن علي ، أنه قال : لم يخير رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، نساء الا بين الدنيا والآخرة ، ولذا انفصل الحسن : خيره من بين الدنيا والآخرة ، وبين الجنة والنار . . . وابن العربي ، بعد اسباب في حكم التخيير ، يعود الى باقى الآية ، فيقول عنى : " وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة : " ان للمكلف حالتين ؟ " حالة هو فيها وحالة هو منقول اليها . . . والحالة المنتقل اليها هي الجنة الى الله المدوحة منه ، والحالة التي هو فيها ، الهضبة الى الله ، المدومة عنده ، فان ركن اليها ، وصل بقتضاها من الشهوات واللذات ، وأهمل الطاعة التي ينتقل اليها ، المحمودة ، هلك . وان كان مقصده في هذه الطاعة القريبة تلك الآخرة ، وكان لها يحمل ، وأياها يطلب ، واعتقد نفسه بمنزلة السائر الى قصد فهو نفس طريقه يحبر ، وعلى سافته يرتحل . وقلب الأول معمور بذكر الدنيا ، معمور بجها ، وقلب الثانى معمور بذكر الله ، معمور بجبه ، وجوارحه متعملة بطاقتيه . فقبل لأزواج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ان كنتن تردن الله ورسوله ، وتصدقن الدار الآخرة وثوابه فيها ، فقد أعد الله ثوابكم ، وثواب أمثالكم ، في أصل المقصد ، لا في قدره ، وكيفيته . وهذا يدل على أن العبد يحصل محبة في الله ورسوله لذاتهما ، وفي الدار الآخرة لما فيها من شفقة الثواب . قوله : للحياتين : الاحسان في الفعل يكون بوجهين : أحدهما : الاتيان به على أكمل الوجوه ، والثاني : التداى عليه من غير رجوع . فكانه قال : قل لمن : من جاء بهذا الفعل المطلوب منك ، كما أمر به ، وتداى عليه الى حالة الاختتام بالنية ، فعمدنا له أفضل الجلالة والاكرام . " فخير الدين الرازى ٥٧٦ : ٥٧٧ يرى التخيير ، كان واجبا من غير شك ، على النبي ، لانه ابلاغ الرسالة " ثم يسوق لطائف لفظية " في الآية " : منها تقديم اختيار الدنيا ، إشارة الى أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، غير ملتفت الى جانبين غاية اللغات ، وكلف ، وهو مشغول بعبادة ربه . . . ومنها قوله : وان كنتن تردن الله ، معلما لمن بأن في اختيار النبي ، عليه السلام ، اختيار الله ورسوله والدار الآخرة ، وهذه الثلاثة هي الدين . وقوله : أعد للمحسنات منكن - أى لمن عمل صالح منكن . . . يقول البيهاقى ٥٥٦ - ٥٥٧ نفس أن كنتن تردن الحياة الدنيا : السعة والتعميم فيها وزخا ونهسا - فتعاليين أتمكن ، وأعطكن المتعة ، وأصرحن سواها جيلا ، طلاقا من غير ضرار مدعة . روى أنهن سأله ثياب التينة وثيابة النفقة ، فنزلت فبدأ بمائتة فخيرها فاخترت الله ورسوله ، ثم اخترت الباقيات اختارها ، فشكر لمن الله فأنزل : لا يحل لك النساء من بعد . . . وابن كثير ٤٠١ : ٤٠٢ يرى أن " هذا أمر من الله لرسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، أن يخبر نساءه . . . أن يفارقهن ، فيذهبهن الى غيره من حصل لمن عنده الحياة الدنيا وزينتها ، ومن الصبر على ما عنده من هيق الطال ، ولهن ، عند الله ، في ذلك ، الثواب .

خاصة - اذ هن أمهات المؤمنين^(١) - يترتب عليها مغاضبة في المسئولية.

• الإنجيل " وهو يروى أحاديث كثيرة منها عن " على رضى الله عنه " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " خيرنا " : الدنيا والآخرة " . ولكنه براء - وإن براءه من الحسن بقاءه - وخلاف الظاهر من الآية () وهو " أخيرا يرى أن الأصح في الخلاف بين العلماء " على أنه كان يجوز لهن لو طلقن أن يتزوجن غيره " . أن يكون ذلك لهن " ليحصل المقصود من السراح " . والقرطبي ١١٤ : ١٦٦ - ١٧٣ " يا أيها النبي قل لأزواجك : قال علماؤنا : هذه الآية متصلة بما تقدم من النسخ من أمثال النبي " صلى الله عليه وسلم " وكان قد تأذى ببعض الزوجات " . قيل : سألته شيئا من عرض الدنيا " . وقيل : زيادة في الثقة " . وقيل : أدينه بخمرة بعضهم على بعض " . وقيل : أمر " صلى الله عليه وسلم " بثلاثة هذه الآية عليهم وتخبرهم من بين الدنيا والآخرة " اختلف العلماء في كيفية تخبر النبي " صلى الله عليه وسلم " أزواجه على قولين : الأول : أنه خبرهن " بأن الله تعالى " في القرآن " على الزوجية أو الطلاق " . فاخترن البقاء " وشهد من قال : أنا خيرهن بين الدنيا فيما رغبن " . ومن الآخرة فيمكن " ولم يخف الشوكاني " فتح القدير ٤ : ٢٦٧ - ٢٦٨ جديدا يذكر " . وكذلك الألبوسي ١٦٦ : ١٦٥ الذين يخف آراء غريبة عن أقوال للصححة في أم المؤمنين عائشة " . وتفسير الجلالين (طبع الحلبي) ص ١٠٨ من الجزء الثاني () يقول أن أزواج النبي " عليه السلام " اخترن الآخرة على الدنيا " .

(١) الأحزاب ٦٢ : ٢٣ " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم " . وأزواجه أمهاتهم " . وأوليا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين " . إلا أن جعلوا إلى أولياكم مرفقا " . كان ذلك في الكتاب مسطورا " . والإمام الشافعي (الأم : ١٢٥ - ١٢٦) يفسر " أزواجه أمهاتهم " بأنه " من تسامح لغة العرب " . وأن الكلمة الواحدة تجمع معاني مختلفة " فقله : أمهاتهم " في معنى دون معنى " . وذلك أنه لا يحل لهم نكاح من يحل " . ولا يحرم عليهم نكاح بنات لو كن لهن " . كما يحرم عليهم نكاح بنات أمهاتهم اللاتي ولدنهم أو أرضعهم " فان قال قائل : ما دل على ذلك ؟ فالدليل عليه أن رسول الله " صلى الله عليه وسلم " زوج فاطمة " . وهو أبو المؤمنين " . وهي بنت خديجة أم المؤمنين " . زوجها عليها " رضى الله عنه " . وزوج رقية " وأم كلثوم عثمان وهو بالمدينة " . وأن زينب بنت أم سلمة تزوجت " . وأن الزبير ابن العوام تزوج بنت أبي بكر " . وأن طلحة تزوج ابنته الأخرى " . وهذا أخت أم المؤمنين " ولا يرثهن المؤمنون ولا يرثهن كما يرثون أمهاتهم ويرثهن " . وشهد أن يكن أمهات لعظم الحق عليهم مع تحريم نكاحهم " وقد ينزل القرآن في النازلة " . ينزل على ما يشاء من أنزل فيه " . كالعامة " . في الظاهر " . وهي يراد بها الخاص والمعنى دون سواء " . والمرب يحول المرأة ترب أمهم أم العيال " . وتحول ذلك للرجل يتولى أن يحولتهم أم العيال " . بمعنى أنه وضع نفسه موضع الأم التي ترب أم العيال " . وقال تاييط

سرا وهو يذكر غزاة غزاها " . ورجل من أصحابه ولي قوتهم " وأما عيال قد شهدت قوتهم " إذا اخترتهم أقربت وأقلت تخاف علينا الجوع أن هي أكثر " ونحن جياح " . أي أول تألبت وما أن بها قنن بها في واصلها " ولكنها " من خشية الجوع " أبقت قلت : الرجل يسمى أما " . وقد يحول العرب للشاقة والبقرة والشاة والأرض هذه

والعقاب عليها يعادلها الثواب المغاف عن الاحسان في التهور بالتمتع والخلاص
من زخارف الحياة وحاجاتها المشوة^(١).

• أم عيالنا • على معنى : التي تحزن عيالنا • قال الله • عز وجل : الذين

يظاهرون منكم من نسائهم • هن أمهاتهم • ان أمهاتهم الا اللاتي ولدتهنهم •
يعنى أن اللاتي ولدتهن : أمهاتهم بكل حال • البارقات والمورقات • المحرمات
بأنفسهن والمحرم بهن غيرهن • اللاتي لم يكن قط الا أمهات • ليس اللاتي يحدثن
رضا للولود فيكن به أمهات • وقد كن قبل الرضاة غير أمهات له • ولا أمهات
المؤمنين عامة • محرمين بحرية أحدتها أو يحدثها الرجل • أو أمهات المؤمنين
اللاتي حرم بأنهن أزواج النبي • صلى الله عليه وسلم • وفي هذا دلالة
على أشباهه من القرآن • جعلها من قصر علمه باللسان والفقہ •

(١) الأحزاب ٣٣ : ٣٠ - ٣١ : "يانساء النبي • من يأت منكن بغاشة مبينة

يضاف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا • ومن يات منكن لله ورسوله
وتحمل صالط • نوتها أجراها مرتين • واعتدنا لها رزقا كبيرا •" ويقول الطوسي •

٣٠٦ : ٨ " لما تهدد الله • تعالى • نساء النبي • صلى الله عليه وآله وسلم •

بأن من يأت منهن بغاشة ظاهرة • من ارتكاب محذور • ولم ينس الله • تعالى • عنه

أنه يضاف لها العذاب ضعفين لوقوع أفعالهن على وجه يستحق به ذلك • مسن

حيث كن سوا أسوة يتأس بهن غيرهن • ورضهن •" يأن قال : ومن يقتل منكم

أى : من داوم منكن على الطاعة لله ورسوله • وتحمل صالط توتها • أى يعطيا

الله أجراها مرتين • كما لو عت طاعتها ضعفين • والقنوت : الدأوة على العمل •

نمن داوم على العمل لله فهو مطيع • وشه القنوت في صلاة الوتر • وهو الدأوة

على الدعاء المعروف •" • وقبل أن تستمر في نأذج تعرضها لى الفسوس •

ينهى أن نحدد معنى كلمة "قنوت" التي يروا أكثر الفسوس : الطاعة (انظر

الطبري ٢ : ٢٢٢ • الزمخشري ٢ : ٢٥٩ • ابن كثير ٤ : ٤٠٤ • الشوكاني ٤ : ٢٦٨)

يتردد بعضهم بين "الطاعة" وبين "المواظبة على الطاعة" مثل الطبرسي

١٦٨ : ٨ • والأوسى ٢ : ٢٢٢ • وأن اختار في معنى القنوت منهن "تخشع وتخضع"

ويتفق البيهقي (ص ٥٥٢) مع الطوسي في أن القنوت : الدأوة على الطاعة •

غير أن ابن الأثير يوسع (النهاية في غريب الحديث والأثر ٣ : ٢٧٨ - ٢٧٩) فيقول

" تذكر ذكر القنوت في الحديث • هو بمعان متعددة كالطاعة • والخشوع • والصلاة

والدعاء • والمعبادة • والقيام • وطول القيام • والسكر • فيصوف في كل واحد

من هذه المعاني الى ما يحتله من لفظ الحديث الواردة فيه • وفي حديث زيد بن أرقم

كما نتكلم في الصلاة حتى نزلت رقوسا لله قانتين • فأسكتا عن الكلام • أراد به :

السكر • وقال ابن الأثير : القنوت على أربعة أقسام : الصلاة • وطول القيام •

واقامة الطاعة • والسكر •

وشرح الزمخشري الآيتين فيقول (٢ : ٢٥٩) : " منكن : اللبيان • لا للتبميزه

الفاحشة : السيفة البليغة في القبح • وهى الكبيرة • والجمينة : الظاهر فحشها

والمواد كل ما اقتنوا من الكباير • وقيل : هى عصيانهن رسول الله • صلى الله •

ذلك أنَّ اختيار الله ورسوله وإدَارَ الآخرة وترك الحياة الدنيا يرتبها فهو تجرُّدٌ لما اختير . ومن ثمَّ كان أيُّ اشتغالٍ بغير الجاه فاحشة لا يليقُ بنساء النبي اقتراضُها . ومن كان في النزلة البالغة غاية السوء التي بلغها باختيار التجرد للآخرة ، كان الخطأ منه مضاعفا ومضاعف كذا . ولذلك يقول الله تعالى :

" عليه وسلم ، وشؤونهم وطلبهم ما يشق عليه ، أو يضيِّق به ذروهُ هَتَمَ لأجله . وقيل : الزنا ، والله عاصم رسولُه من ذلك . كما صرَّح في حديث الأفك . وإنما ضعف عَدَابُهُنَّ لأن ما تَجَّحَّ من سائر النساء كان أتبع منهن وأقبح . لأن زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة ، وزيادة النعمة على العاصي من المعصية . وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ولا على أحد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة ، والجزاء يتبع الفعل . وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا ، يفتي ازداد القبح ازداد عقابه فسد ، ولذلك ذمَّ العقلاء للعاصي العالِمُ أعد ضمه للعاصي الجاهل ، لأن المعصية من العالم أقبح ، ولذلك فضل حدد الأحرار على حدد المبيد . حتى أن أبا حنيفة وأصحابه لا يسمون الرجوع على الكافر . وكان ذلك على الله يسموا : أيذان بأن كونهم نساء النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ليس بخذن عنهن شيئا . وكيف يفتن عنهن ، وهو سبب مضاعفة العذاب ؟ فكان داعيا إلى تشديد الأرباع عليهن . غير ما رُفِ عنه . قرئ : " يَا أَيُّهَا يَا أَيُّهَا " ، " جئته " بفتح اليا وكسر هاء من بين ، بمعنى : تبين " مضاعف " و " مضاعف " على الينا للفعل هو " مضاعف " و " نصف " بالياء والنون . قرئ : " تفتت " و " تعمل " بالياء والهمزة . و " نوتها " بالياء والنون . والقنوت : الطاعة . وإنما ضعف أجرهن لطلبهن رضا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بحسن الخلق . وطيب المعاشرة ، والفتنة ، وتوفرهن على عبادة الله والتعوى .

حسب فخر الدين الرازي ٥٧٧ : ٦ - ٥٧٨ . بين التخيير وهذا الحكم فيقول : " لما خيَّرن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، واخترن الله ورسوله ، أدبهن الله وهددهن للتقوى عما يمسو النبي ، عليه السلام ، ويقيم بهن من الفاحشة " والألوسي ٥٧٧ : ٢٢ - ٢٣ يرى أن " ذلك ليس بالنسبة إلى أعمالهن الصالحة التي عملنها في حياته ، صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقط ، بل يضاعف أجرهن عليهما ، وعلى الأعمال الصالحة التي يعملنها بعد وفاته ، عليه الصلاة والسلام . ثم هو يروى عن " بعض الدققين " أن " القنوت لله ورسوله ، مع ما تسلاه ، سبب ، ودمج فيه أن مضاعفة العذاب إنما من أن التفوز مع الرسول ، صلى الله تعالى عليه وسلم ، وطلب ما يشق عليه ليس كالنشر مع سائر الأزواج ، ولذلك اقتضى مضاعفة العذاب ، وكذلك طاعته وحسن الخلق معه بالمعاشرة ، على عكس ذلك " .

"بانساء النبي لستن كأحد من النساء" . إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع
الذى فى قلبه مكرراً ، ولئن قولاً مكرراً ، وتين فى بيوتكن ، ولا تخرجن تبرج الجاهلية
الأولى ، وآتين الصلاة وآتين الزكاة ، وآطين الله ورسوله : إنا عبيد الله ليدرس
عنكم الرجس أهل البيت يطمئركم تطهيراً ، وأذكركن ما يلقى فى بيوتكن من آيات الله
والحكمة ، إن الله كان لطيفاً خبيراً (١) .

- (١) الأحزاب : ٣٣ : ٣٢ : ٣٤ وشرح الآيات الامام الشافعى (الأم : ١٢٤ : ١٢٧ :
أحكام القرآن : ١ : ٢٨ - ٢٩ : ١٦٧) فيقول : " قال الله عز وجل : بانساء
النبي لستن كأحد من النساء " ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول - فابانهن بسه
من نساء العالمين " . يقول : " وقال تعالى : وأذكركن ما يلقى فى بيوتكن
من آيات الله والحكمة - فذكر الله تعالى الكتاب وهو القرآن ، وذكر
الحكمة فسمعت من أوصى من أهل العلم بالقرآن يقول : الحكمة : سنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم . وهذا يشبه ما قال - والله أعلم - بأن القرآن ذكر
وأتمت الحكمة ، وذكر الله عز وجل . فثبت على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة
فلم يجز - والله أعلم - أن تعد الحكمة هاهنا ، إلا سنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وذلك أنها مرفوعة مع كتاب الله . وإن الله افترض طاعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وحتم على الناس اتباع أمره ، فلا يجوز أن يقال لقول : فسر
الا لكتاب الله ، ثم سنة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مبنية عن الله ما أراد
دليلاً على خاصه وطاهر . ثم تين الكفة بكافه فأتبعها آياه . ولم يجعل هذا لأحد
من خلقه غير رسول الله ، صلى الله عليه وسلم " . ولدى القرآن (معاني القرآن
٢ : ٣٤٢ - ٣٤٣) قوله : " فلا تخضعن بالقول : يقول : لا تلين القول ، فيطمع
الذى فى قلبه مرض : أى الفجور ، ولئن قولاً مكرراً : صحيحاً لا يطبع فاجراً .
- وتين فى بيوتكن ، من الوار . تقول للرجل : قد وقرنى منزله يقر وقسروا .
وقرأ عام وأهل المدينة : تين - بالفتح - ولا يكون ذلك من الوار . ولكن ترى
أنهم أرادوا : وآتين فى بيوتكن معذرتوا الرا الأولى ، فحولت فتحها فى الفاء
كما قالوا : هل أحست صاحبك ، كمال قال : فظلمت ، عيب : فظلمت . . .
وقوله : ولا تخرجن تبرج الجاهلية الأولى - ذلك فى زمن ولد فيه إبراهيم النيسى
عليه السلام ، كانت المرأة إذ ذاك تلبس الدرع (القميص) من اللؤلؤ غير مخيط
الجانبين . وقال : كانت تلبس الثياب تملغ المال (الكثير) لا توارى جملها
فأمن ألا يفعل مثل ذلك . " والطبرى (٢٢ : ٣ - ٨) يفسر الآيات بانساء
يقول تعالى ذكره ، لأزواج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : بانساء النبي
لستن كأحد من النساء - من نساء هذه الأمة - ان اتقيتن الله فأطعتهن فيما أمرن
وتهاكن . . . وقوله : فلا تخضعن بالقول : يقول : فلا تلن بالقول للرجال
فيما يبتغيه أهل الفاحشة تكن . . . وقوله : فيطمع الذى فى قلبه مرض ، يقول :
فيطمع الذى فى قلبه ضعف ، فهو لضعف إيمانه فى قلبه ، إيا شاك فى الاسلام
شافق ، فهو لذلك من أمره يستخف بحديث الله ، وإيا متهاوناً باتيان الفواحش
... . وقوله : ولئن قولاً مكرراً . . . قولاً قد أذن الملوك به وأباحه . . . قولاً -

وظاهره من الآيات الكريمة ، أن القرآن قد أخذ في تحديده ما ينمى أن يكون طيه

جسلا حسنا معروفا في الخير .. مختار الطبرى في " وقين في بيوتكن " **ثَبَّتْ** - بكسر القاف - ويرى " هذه القراءة - وهي الكسر في القاف الأولى - عندنا أولى بالصواب ، لأن ذلك ، أن كان من الوقار ، على ما اخترنا ، فلا شك أن القراءة بكسر القاف ، لأنه يقال : وفر فلان في منزله فهو ينسرح وفورا .. ويرى في قوله : ولا تهرجن تهرج الجاهلية الأولى - قيل : أن التهرج في هذا الموضع التهخر والتكسر .. وقيل : أن التهرج هو اظهار الزينة ، وابرار المرأة محاسنها للرجال . وأما قوله : تهرج الجاهلية الأولى ، فإن أهل التأويل اختلفوا .. فقال بعضهم : ذلك ما بين عيسى ومحمد ، عليهما السلام .. وقال آخرون : ذلك ما بين آدم ونوح .. وقال آخرون : بل ذلك بين نوح وادريس .. وأولى الأقوال في ذلك هدى بالصواب أن يقال : أن الله ، تعالى ذكره ، نهى نساء النبي أن يتهرجن تهرج الجاهلية الأولى ، وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى ، فيكون معنى ذلك : ولا تهرجن تهرج الجاهلية التي قبل الاسلام .. وقوله : وأتمن الصلاة وأتمن الزكاة : يقول : وأتمن الصلاة الغرضية ، وأتمن الزكاة الواجبة عليكن في أموالكن ، وأطمئن الله ورسوله فيما أبركن وشيأكنا أنا يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت - يقول : أنا يريد الله ليذهب عنكم الرجس ، والحقا ، يا أهل بيت محمد ، وطهركم من الدنس الذي يكون في أهل محاصي الله تطهيرا .. " يقول أبو بكر الرازي الجصاص ٣ : ٣٥٩ - ٣٦٠ : " قوله ، تعالى : فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض : قيل : فيه أن لا تلين القول للرجال على وجه يوجب الطمع فيهن من أهل الرتبة وفيه الدلالة على أن ذلك حكم سائر النساء في نهجهن عن إلانة القول للرجال على وجه يوجب الطمع فيهن يستدل به على رفتهن فيهن ، والدلالة على أن الأحسن للمرأة ألا ترفع صوتها بحيث يسمعا الرجال ، وفيه الدلالة على أن المرأة منبهة عن الأذان ، وكذلك قال أصحابنا ، وقال الله ، تعالى ، في آية أخرى : ولا يضرن بأرجلهن ليملمن ما يخفين من زينتهن - فإذا كانت ضحية عن اسماع صرت خلخالها ، فكلما ، فإذا كانت ضحية تخشى من قبلها الفتنة ، وأولسى بالنهي عنه . وقوله ، تعالى : وقين في بيوتكن - روى هشام عن محمد بن سيرين قال : قيل لسودة بنت زمعة : ألا تخرجين كما تخرج أخواتك ؟ قالت : والله ، لقد حججت وأحضرت ، ثم أمرني الله أن أقرفني بعتي ، فوالله لا أخرج فما خرجت متى أخرجوا جنازتها . وقيل : معنى وقين في بيوتكن : كن أهل وقار وهدوء وسكينة . يقال : وفر فلان في منزله ، وفر ، وفورا : إذا هدا فيسه وأطمان به . وفيه الدلالة على أن النساء بأموال يلزم البيت ، منبهات عن الخروج . وقوله تعالى : ولا تهرجن تهرج الجاهلية الأولى : روى .. من مجاهد .. قال : كانت المرأة تضي بين أيدي القوم ، فذلك تهرج الجاهلية .. ومن قتادة .. إذا خرجت من بيوتكن ، قال : كانت لهن مشقة وتكسر وتخرج ، فنهاهن الله عن ذلك . وقيل : هو اظهار المحاسن للرجال - وقيل ، في الجاهلية الأولى : ما قبل الاسلام ، والجاهلية الثانية : حال من عمل في الاسلام يحمل أولئك - فهذه

أزواج النبي في العميم والمظهر جميعاً . فهو ، يَعَدُّ أَنْ جَعَلَ قَاتِلَتَهُنَّ اللَّهُ رَسُولُهُ
والدار الآخرة . بَيَّنَّ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مَا يُلْقِي مظهرهن ، وحدد من مهامهن ذكر

الأمور كلها ما أدب الله ، تعالى ، به نساء النبي ، صلى الله عليه وسلم ،
صيانة لهم ، وسائر نساء المؤمنين مرادات .

وهنا نقف قليلاً مع هذا النسخ من التفسير الذي جاء به أبو بكر الرازي - والسدى
شواء كثيراً لدى غيره وخاصة التأخير عن زنه . فهو هنا يحسم الخاص بنساء
النبي ثم يخرج من التعميم إلى استنتاج ما لا يلزم من النص الخاص ، هو نفسه ،
ثم يضيف إلى ذلك الخاص عاماً (هو آية النور ٢٤ : ٣١) ثم يستنتج من هذا
العام أن عدم إسماع ما خفي من الزينة يعني بالأولى عدم إسماع الصوت مطلقاً ،
مع أن الآية في الخاص ، تأمر بعدم الأنة الكلام فقط . ثم يستنتج من وقار
نساء النبي ، على السلام ، وقرارهن - على خلاف عرفانه في تفسير الآية -
ما يلزم غيرهن فيصيرن "أموات يلزم البيت" شبهات عن الخروج .

والحق أن كل ذلك لا يمكن تحمله هذا النص الخاص ، ولو أمكن لما صحح
تعميمه . بخير اعتماد على نزع آخر ، على هذا النحو .

وقيل أن تعود إلى أسطة من التفسير ، يبدو لنا أن نبي نساء النبي ممن
تخرج الجاهلية الأولى إنما قصد به معنى يزيد من النهي العام ، لأنه - وهو
فيها حياتي - وكما كان دائماً ، خاص بهم - يعني ألا يتوجرن في المنزل -
وهذا مباح لكل النساء مع أزواجهن ومع من لا يستقيم بهن من النساء .
المألف لهن التردد طبعهن في منازلهن - ذلك أن العوام أن يكن - وهن لسن
كأحد من النساء - في حال داسة من الوقار في الطيب والحلّة ، وذلك ضرورة
النال القائد والرائد المطلوب أن يكن إياه . ذلك يثق مع الثابت ههـن
أنهن ما كن يتوجرن ، قيل تنزل الآية ، خارج المنزل ، لا تخرج الجاهلية
الأولى ولا الآخرة .

وحدد إلى العشرين نجد لدى الطوسي ٢٠٦ : ٨ - ٣٠٩ : يانساء النبي
لنن كأحد من النساء - إنما قال : كأحد ، ولم يقل : كأحدة ، لأن أحداً
نفي عام للذكر والموت والواحد والجماعة ، أي لا يشبهكن أحد من النساء في
جلالة القدر وهن منزلة ولكنكن من رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ،
بشرط أن تتقين عاب الله باجتناب محاصيه ، وإمتثال أوامره . وإنما شرط ذلك
بالافتقار لئلا يعلمن على ذلك فيرتكن المحاصي . ثم قال لهن : فلا تخضعن
بالقول : أي لا يلين كلاكين للرجال ، بل يكن جزلاً لئلا يطعن من نفس
قلبه مرض . : نفاق (تداة) ، شهوة . : عورة) - ثم قال لهن :
وقن تولاً معروفًا : مستحيًا ، جميلًا ، يربنا من الشهوة ، بعيداً من الزينة ، مؤلفاً
للدين والسلام . ثم أمرهن بالاستقرار في بيوتهن وألا يتوجرن تخرج الجاهلية -
على قراة من فتح القاف - ومن كسر ، أراد ، كن وقوات طليكن سكينة ويوقار .
ولا تخرجن ، قال تداة : التهج : التهخر والتكبر ، وقال غيره : هو اظهار
المحاسن للرجال . : وتنقل مع الطوسي (والشبهة الامامية) في تفسير :
. إنما يريد الله ليذهب حكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهراً " إلى موضع هام .

ما يتلى في بيوتهم من القرآن ، ومن سنة الرسول حتى يمكن في ذلك كله في مكان الطهر مثالا لكل امرأة مؤمنة ، وقد رتت في الشريعة يستقى منها ما أتيج لهن ،

• ذى شقين ترد في شق الأول الخسرون من جميع الذاهب ، وحطه الشيعة على معنى واحد رتبوا عليه الشق الثاني الذي انفردوا به . والشق الأول متعلق بمن هم أهل البيت ؟ والثاني متعلق بهل الآية تدل على أنهم معصومون ؟ يقول الطوسي ان الآية نزلت - كما جاء في رواية عن أبي سعيد الخدري - وأنس بن مالك ، وطائفة ، وأم سلمة ، ووائلة بن الأسقع - في النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وطلح فاطمة والحسن والحسين ، عليهم السلام - ثم يقول : واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن في جلة أهل البيت معصوما لا يجوز عليه الفلأ ، وأن اجتماعهم لا يمكن الا صوابا بأن قالوا : ليس يخلو ارادة الله لذهاب الرجس عن أهل البيت من أن يكون هو ما أراد منهم من فعل الطاعات واجتناب المعاصي ، أو يكون عبارة عن أنه أذهب عنهم الرجس بأن فعل لهم لطفا اختاروا ، غده ، الاستماع من التفات . والأول لا يجوز أن يكون مرادا ، لأن هذه الارادة حاصلة مع جميع الكافرين ، فلا اختصاص لأهل البيت في ذلك ، ولا خلاف أن الله تعالى ، أخرج بهذه الآية أهل البيت بأمرهم بقتلهم فيه تحريم ، فكيف يحمل على ما يحطل هذا التخصيص ، ويخرج الآية من أن يكون لهم فيها فضيلة ومنزلة على غيرهم ؟ على أن لفظة " انما " تجرى مجرى " ليس " وقد دللنا على ذلك في ما تقدم . وحكيها عن جماعة من أهل اللغة ، كالزجاج وغيره ، فيمكن تلخيص الكلام : ليس يريد الله الا اذهاب الرجس على هذا الحد من أهل البيت . فدل ذلك على أن ذهاب الرجس قد حصل فيهم ، وذلك يعدل على صحتهم . وإذا ثبت صحتهم : ثبت ما أردناه - وقال عكرمة : هل فسي أزواج النبي خاصة - وهذا خطأ ، لأنه لو كانت الآية فيهم خاصة لكى عنهم بكافة الموتى ، كما فعل في جميع ما تقدم من الآيات ، نحو قوله : وقمن في بيوتكن ولا تخرجن ، وأطعن الله ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة - فذكر جميع ذلك بكافة الموتى ، فكان يجب أن يقول : انما يريد الله لذهب حكم الرجس أهل البيت ويظهركن ، فلما كنا بكافة المذكورة دل على أن النساء لا يدخل لهن فيها - ونس الناس من حمل الآية على النساء ومن ذكرنا من أهل البيت هربا ما قلناه . وقال : اذا اجتمع الذكر والموتى غلب الذكر ، فكفى عنهم بكافة الذكر . وهذا يحطل ما بيناه من الرواية عن أم سلمة وما يقتضيه من كون ما تناوله معصوما ، والنساء خارجات من ذلك . ويتفق - في الخطوط المعروفة على الأقل - مع الطوسي في هذا ، الطبرسي ، المشار اليه سابقا . غير أن هذا الرأي بشقيه ، لا يجد في اعتقادنا ، من سند الا في رتبة معروفة لدى الشيعة في تبرير عقيدتهم غير الصحيحة في ادعاء العصمة للامام . ذلك أن اخراج نساء النبي ، والآيات فيهم نزلت ، من أن يكن أهل بيت النبي ، ومن القيمات فيه ، بدوى أن الآية شطبت غيرهن بالحديث الذي جاء في هذا المعنى ، ولأن الآية استطلعت الجمع بالذكر فقالت " عنكم " ولم تقل : " عنكن " كل ذلك لا يقوم حجة لأن الله يريد لذهب الرجس عن أهل البيت ويظهرهم ومن أهل صاحبه وهو النبي واذهاب الرجس واسباغ التطهير

ما قد يكون غير متاح لغيرهم، من بيان القرآن وتطبيق الشريعة لدى مَنْ كَانَ خُلْفَهُ
القرآن وعليه ، صلى الله عليه وسلم ، بيان أسرارهِ وإتارهِ ما قد يكون فوق تتساؤل
سائر الناس من حكيمه .

- انما لحق غيره من أجله ، عليه السلام ومنهم نساءه ، ومن ثم قال " عنكم " التي تحمل الذكر والموت جميعا . ولوصح أن الله خلق اناسا خصهم بارادة التطهير واذهاب الرجس ، وجعلهم كذلك منحة بغير عمل منهم ، ومن ثم جعلهم معصومين من الخطأ ، خلقة وطبيعة ، لما كان هناك معنى مطلقا لتكليفهم بحمل ولا توجيههم الى مهلك . ذلك أن المعصوم ، لوصح فيه المعصومة غير محتاج لغير هذه المعصية ، ليكون على العداد والصواب في أية حال . واذن فالتوجيه والارشاد ، والتذكير بالعقاب والثواب ، والأمر والنهي كلها تدل على انتفاء المعصية أصلا ، والنهي انما يصح في الوحي بالوحي ومن عداه فهم عرضة للخطأ والصواب وانما قد يتفاوتون في ذلك بعضهم عن بعض ، فمنهم الكثير الصواب ومنهم القليل ، والله ، وهدهد ، يمكن التوفيق .
- وأخيرا ، فان ابن العربي ، يرى ٣ : ١٥٢٣ - ١٥٢٦ أن الآية تعنى القرار في الموت ، بل انه يقول : اسكن فيها ولا تتحركن " وهو يروى حديث أم سلمة في ادخال علي وأهله في جلة أهل البيت أن النبي قال لهما : " أنت علي مكانك وأنت علي خير " ومعنى " علي مكانك " في بيتك ، واذن هي من أهله . يقول الزبيري ٣ : ٢٦٠ : " أهل البيت " نصب على النداء .
- أو على المدح . وفي هذا دليل بين علي أن نساء النبي ، صلى الله عليه وسلم ، من أهل بيته " هو كذا هذا فخر الدين الرازي ٥٢٩ : ٦ فيقول " الأولى أن يقال : هم (أهل البيت) أولاده وأزواجه ، والحسن والحسين منهم ، وعلي منهم ، لأنه كان من أهل بيته بحسب معاشرته بيت النبي ، عليه السلام ، وبلازنته للنبي ، صلى الله عليه وسلم " وأبو حيان ، في " البحر المحيط " ٧ : ٢٣١ - ٢٣٢ يقول : " قال : الضحاك : هم أهله وأزواجه " . ويظهر انهم زوجاته وأهله ، فلا تخرج الزوجات من أهل البيت : بل يظهر انهن أحق بهذا الاسم لملازمتهم بيته ، عليه الصلاة والسلام ، وقال ابن عطية ، والذي يظهر ان زوجاته لا يخرجن عن ذلك البتة ، فأهل البيت زوجاته ونسبه ونسبها وزوجها .
- وأخيرا ، فقد حرص ابن كثير (المجلد السادس ، ص ٤٠٧ - ٤١٢) على أن يقول ، في شرح الآية : وقوله : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت يظهركم تطهيرا ، وهذا نص في دخول أزواج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في أهل البيت هاهنا ، لأنهن سبب نزول الآية ، وسبب النزول داخل فيه ، قول واحد ، وإما وحده ، على قول ، أو مع غيره ، وهو الصحيح . ثم هو يأتي بقول عكرمة عن ابن عباس أن الآية نزلت في نساء النبي ، صلى الله عليه وسلم ، خاصة " ثم يقول : " فان كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح . وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن غفني هذا نظر ، فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أم من ذلك . ثم جاء بأحاديث كثيرة في فاطمة وعلي .

زينب بنت جحش • وزيد بن حارثة وتحريم التنبي : مَنْ زَيْدٌ ؟ يقول شراحُ كتبِ السنة^(١) والمؤرخون^(٢) : إِنْ زَيْدًا كَانَ مِنَ الْقَحْطَانِيِّينَ وَكَانَتْ أُمُّهُ مِنْ طَيْهِ • وإنَّه ذهبَ معها لزِيَارَةِ نَوْسَا فَأَغِيرَ عَلَى رَهْطِهَا وَأَخَذَ زَيْدٌ وَهُوَ شَابٌّ قَبِيحٌ فِي سَوْقِ عَظَاظٍ • اشتراءَ للسيدة خديجة بنت خويلد ابنَ أَخِيهَا • فلما تزوجها النبي وهبتَ لــــه • ولما علم أبوه وعده بمكانه جاءه فقتلته • فقال النبي • عليه السلام : " ادعوه أَخِيَّسَرَهُ • فَإِنْ اخْتَارَكُمْ فَهِيَ لَكُمْ بِغَيْرِ فِدَاءٍ • وَإِنْ اخْتَارَنِي فَوَاللَّهِ مَا أَنَا بِالَّذِي اخْتَارَ عَلَى مَسْنِ اخْتَارَنِي أَحَدًا • فِدَاءُ فَقَالَ : تَعْرِفُ هُوَلَا ؟ قَالَ : نَعَمْ • هَذَا أَبِي وَهَذَا أُمِّي • قَالَ : فَأَنَا مَنْ تَدْعِي وَهَوَاتٍ • وَرَأَيْتَ صُحْبَتَكَ لَكِ - فَاخْتَرَنِي أَوْ اخْتَرَهَا • فَقَالَ زَيْدٌ : مَا أَنَا بِالَّذِي اخْتَارَ عَلَيْكَ أَحَدًا : أَنْتَ ضِيَّ بَيْتَانِ الْأَبِ وَالْعَم • فَقَالَ لَهُ : صَحَّحَ يَا زَيْدُ ! اخْتَارَ الْمَبْدُودِيَّةَ عَلَى الْحَرَبَةِ • وَطَى أَبِيكَ وَمَكَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ ! قَالَ : نَعَمْ • انبَسَى نَدَ رَأَيْتَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ شَيْئًا مَا أَنَا بِالَّذِي اخْتَارَ عَلَيْهِ أَحَدًا أَبَدًا • فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ذَلِكَ أَشْهَدَ أَنَّ زَيْدًا ابْنَهُ وَأَنَّهُ يَرِثُهُ وَيُورِثُهُ • فدعى زيدا بن محمد حتى جاء الله بالاسلام فكان زيدا من أول المسلمين • وَحَرَّمَ الْقُرْآنُ التَّبَنِّيَّ فِي السُّورَةِ الدُّنْيَا الرَّابِعَةِ • لِأَنَّهُ لَا يَقُومُ عَلَى مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْإِئْتِمَادِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ عَلَى الْحَقِيقَةِ الْعَادَةِ وَحَدِّهَا • فهو ادعاءٌ بغير الحق يصور به غير الابن ابنا وغير الأب أبَا وَمِنْ ثَمَّ يَقُولُ آيَةُ الرَّابِعَةِ مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ : " مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قُلُوبَيْنِ فِي جَوْفٍ • وَمَا جَعَلَ أَرْزَاقَكُمْ

• فِيهِ ثُمَّ قَالَ : " وَالْأَحَادِيثُ الْمُتَقَدِّمَةُ إِنْ صَحَّتْ • فَإِنْ فِي بَعْضِهَا نَظَرًا • وَاللَّهُ أَعْلَمُ • ثُمَّ الَّذِي لَا يَشْكُ فِيهِ مِنْ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ أَنَّ نَعَاءَ النَّبِيِّ • صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ • دَاخِلَاتٌ فِي قَوْلِهِ : إِنَّمَا يَرِيدهُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا - فَإِنْ سِيَاقُ الْكَلَامِ مَعْنَى " •

(١) انظر " صحيح مسلم " بشرح النووي • : ٢٨٧ : " مَا كُنَّا نَدْعُو زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ إِلَّا زَيْدَ بْنِ مُحَمَّدٍ • حَتَّى نَنْزِلَ فِي الْقُرْآنِ : ادْعُوهُمْ لِأَسْمَائِهِمْ هُوَ أَصْبَحَ عِنْدَ اللَّهِ • " وبشرح ذلك النووي فيقول : " قَالَ الْعُلَمَاءُ : كَانَ النَّبِيُّ • صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ • تَدْتَنِي زَيْدًا وَدَعَا ابْنَهُ • وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَعْمَلُ ذَلِكَ : يَتَّخِذُ الرَّجُلُ مَوْلَاً أَوْ غَيْرَهُ • فَيَكُونُ ابْنًا لَهُ • يَتَوَارَثُ وَنَسَبٌ إِلَيْهِ حَتَّى نَزَلَتِ الْآيَةُ • فَرَجَعَ كُلُّ انْعِمَانٍ إِلَى نَسَبِهِ • إِلَّا مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَسَبٌ مَعْرُوفٌ • فَيُضَافُ إِلَى مَوَالِيهِ • كَمَا قَالَ اللَّهُ : تَعَالَى : " فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَكُمْ فَآخِذُوا بِكُمُ فِي الدِّينِ وَمَوَالِكُمْ " (الْأَحْزَابُ : ٣٣ :)

(٢) الطبري • المنتخب من كتاب ذيل الذيل • في المجلد الحادي عشر من تاريخ الطبري • القاهرة ١٩٧٢ • ص ٤٩٦ • ابن هشام ١ - ٢ : ٢٤٧

اللائى تظاهرون شبه أمهائكم • و ما جعل أدعائكم ابتاعكم : ذلك تولكم بأفواهكم •
والله يقول الحق • وهو يهدي السبيل • (١) ثلاثة أوضاع غير صحيحة توضع نس

(١) الآية الثالثة لهذه الآية تزيد النهى عن التنبى ايضا كما تقول : " ادعهم
لآبائهم • هو أنسط عند الله • فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم •
وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به • ولكن ما تعدت قلوبكم • وكان الله قهرا رحيمًا •
والفسيون يقولون فى الآيتين ما يكفينا منه التنازع الآتية : الايام الشافعية •
الأم ٢٦٥ : ٦ • أحكام القرآن ١٥٦ : ٢ " زعم بعض أهل التفسير أن قول الله
جعل شاورم : ما جعل الله لرجل من تلقين فى جوفه : ما جعل الله لرجل من
أبوين فى الاسلام • واستدل بسياق الآية : قوله تعالى : ادعهم لآبائهم
هو أنسط عند الله • يقول القراء • معانى القرآن ٢ : ٢٢٤ - ٢٢٥ : قوله :
ما جعل الله لرجل من تلقين فى جوفه : انما جرى ذكر هذا لرجل كان يقال له :
جبل بن أوس • وكفى أبا ممر • وكان حافظا للحد يث كثيره • فكان أهل مكة
يقولون : له تلقان وظلان • من حفظه • فانهزم يوم بدر • فربما يس سفيان وهو
فى العمير • فقال : ما حال الناس يا أبا ممر ؟ قال : بين مقتول وهارب •
قال : فما بال احدى تعليك فى رجليك والأخرى فى يدك ؟ قال : قد غشيت أنهما
جسما فى رجلي • فعلم كذبهم فى قولهم : له تلقان • وقوله : و ما جعل
أزواجكم اللائى تظاهرون شبه أمهائكم • أى هذا باطل • كما أن تولكم فى جبل
باطل • اذا قال الرجل : امرأته عليه كظهر أمه فليس كذلك • وفيه من الكفاية •
ما جعل الله • • • قوله : و ما جعل أدعائكم • كان أهل الجاهلية اذا أعجب
أحدكم جلد الرجل وظرفه شبه الى نفسه • وجعل له مثل نصيب ذكر من ولد •
من امرأته • وكانوا يسمون الميم • فيقال : فلان بن فلان الذى أقطعه الله •
فقال الله : ذلك تولكم بأفواهكم • وهو باطل • والله يقول الحق • غير ما قلتم • •
يقول الطبرسى ٧٨٣ : ٨ - ٢٨٥ : ما جعل الله لرجل من تلقين فى جوفه :
قال ابن عباس : كان المنافقون يقولون : لحد تلقان • فأكذبهم الله • وقال مجاهد
وتادة • وفى رواية عن ابن عباس : انه كان رجل من نيرش يدعى ذا القليبين
من دهاته • وهو أبو ممر جبل بن أسد ففتزلت هذه الآية فيه • وقال الحصن :
كان رجل يقول : لى نفس تأمرنى ونفس تنهى • فأنزل الله فيه هذه الآية •
وقال الزهرى : هو مثل فى أن هذا مستبح كاستباح أن يكون ابن غيرة ابنك • • ولا يمكن
أن يكون لائى واحد تلقان فى جوفه لأنه كان يمكن أن يوصل انسانان فيجعلان
انسانا واحدا • وقد يمكن أن يوصلا بما لا يخرجهما عن أن يكونا انسانين • وليس
ذلك الا من جهة القلب الواحد أو القلوب • لأنه اذا جعل لهما تلقان بين
أحدهما بقلبه ما لا يريده الآخر • يشتهى ما لا يشتهى الآخر • ويعلم ما لا يعلم
الآخر : فيما حيان • لا محالة • ولهما حيا واحدا • • وقوله : و ما جعل أزواجكم
• • أى ليس نساؤهم وأزواجكم اذا قلتم لهن : انتن على كظهر أمى يحسن أمهائكم
على الحقيقة • لأن أمهائكم على الحقيقة من اللائى ولدنكم وأرضعنكم • • • وقوله :
و ما جعل أدعائكم ابتاعكم • قال تادة ومجاهد وابن زيد : نزلت فى زيد بن
حارثة • فانه كان يدعى ابن رسول الله • والأدعاء : جمع دعى • وهو الذى تناء
الانسان • ومن الله • تعالى • ذلك ليس ما بين على الحقيقة • •

سأرها الصحيح ، وثلاثة نماذج لغير الحق في المقولات غير الإسلامية :

• ولذلك قال ، في آية أخرى : ما كان محمد أباً أحد من رجالكم - وقوله : ذلكم قولكم بأقوالهم - بمعنى أن قولكم في الدين : انه ابن الرجل ، قول تفكرتم به بالسننكم ، لا حقيقة له عند الله " ويقول الزبخرى ٣ : ٢٤٨ - ٢٥١ " ما جسع الله قلبين في جوف ، ولا زوجة وأمومة ، ولا بنوة ودعوة في رجل ، والمعنى : أن الله ، سبحانه ، كما لم ير ، في حكمة ، أن يجعل للانسان قلبين ، لأنفسه لا يخلو ، اما أن يفعل بأحد هما ما يفعل بالآخر من أعمال القلوب فأحدهما فضلة غير محتاج إليها ، واما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذلك ، فذلك يؤدى الى اتصاف الجيلة بكنهه مريداً كارهها ، عالمنا مؤثماً شاكاً في حالة واحدة ! لم ير ، أيضاً ، أن تكون المرأة الواحدة أما لرجل زوجها له .. وأن يكون الرجل الواحد دعماً لرجل وأبناً له ، لأن البنوة أصالة في النسب ، وعزاة فيه ، والدعوة العاق عارض بالتسمية لا غير ، ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلاً غير أصيل ! وهذا مثل ضربه الله في زيد ابن حارثة ، وهو رجل من كلب ، حين صنيحسراً ، وكانت العرب في جاهليتها يتفاهرون وصبايون ، فاشتراه حكيم بن حزام لعنته خديجة فلما تزوجها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهبته له ، وطلبه أبوه وصيه فخبر ، فاختار رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأعتقه ، وكانوا يقولون : زيد بن محمد ، فأنزل الله ، عز وجل ، هذه الآية ، وقوله : ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ... - ذلكم : النسب هو قولكم بأقوالهم : هذا ابنى لا غير من غير أن يواطئه اعتقاد بصحته وكونه حقا ، والله ، عز وجل ، لا يقول إلا ما هو حقيق ظاهره وباطنه ، ولا يهدى إلا سبيل الحق ، ثم قال ما هو الحق ، وهدى الى سبيل الحق ، وهو قوله : ادعهم لأبائهم ، حين أن دعاهم لأبائهم هو أدخل الأيمن في القسط والمعدل ... فان لم تملأوا لهم آباء ، تصبهم الميم ، فهم اخوانكم في الدين ، وأولياؤكم في الدين ، فقولوا : هذا أخى ، وهذا مولى ... والطبرسى ٨ : ١٢٧ - ١٢٢ يقول : " ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، فان أمر الرجل الواحد لا ينتظم اسمه قلبان ، فكيف تنتظم أمور العالم وله الأسماء معبودان ؟ " وقيل ... : هو رد على النافقين ، والمعنى : ليس لأحد قلبان ، يؤمن بأحدهما ويكفر بالآخر ، وإنما هو قلب واحد ، فإما أن يؤمن ، وإما أن يكفر ... " وما جعل أدعائهم أبائهم : الأدعاء ، جمع الدعوى ، وهو الذى ينتسب الانسان ، بين ، سبحانه ، أنه ليس بابن على الحقيقة ... نزلت في زيد بن حارثة ابن شراحيل الكلبى .. تبناه النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، قبل الوحي ، وكان قد وقع عليه السبي فاشتراه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقدم أبوه حارثة من مكة ، وأتى أباً طالب وقال : سل ابن أخيك ، فإما أن يهبه ، وإما أن يعتقه . فلما قال ذلك أبو طالب لرسول الله ، قال : هو حرفيذ هب حيث شاء ، فأبى زيد أن يبارق رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال حارثة : يا معشر قريش اشهدوا أنه ليس ابنى ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم : اشهدوا انه ابنى . بمعنى زيد ، فكان يدعى زيد ابن محمد ... " وانظر ابن العربي ٣ : ١٤١١ - ١٤١٥ والجديد لديه قوله : " قال جماعة : هذا ناسخ لما كانوا عليه في الجاهلية من التبني والتوارث ، ويكون نسخاً للعنة بالقرآن ، وقد بينا ، في القسم الثانى " .

تد وأمثالها دائما الى الحق لا يصح فيها غيره . ولكن أحد هذه النماذج أكبر خطرا
في النظم القانونية عند العرب - وعند غيرهم مثل الروم والقانون الروماني ^(١) - وهو التني .
ذلك أن القوم لا يصعب عليهم أن يعترفوا بأن يألفوا الصدق فيما أكد القرآن من أن الله
لم يجعل لرجل من تلبين في جوفه . ولا أن يفتلوا الى الصدق في أن زوجاتهم لسن
لهم بأسماء وأن الظهار إنما هو لغو طائر لا ينتهي أن يقوم عليه اعتقاد . أما التني
فنظام الله الآباء والأجداد ومرفود قاعدة قانونية ملزمة ثبتت الناس عليها ولم تغت من نفوسهم
بلغ الواقع العادي الذي لا شك فيه . ومن أجل استحصال هذه العادة التني
في ضمير الناس وصلهم . والغالبية على نكرهم ولمسانهم . جاء القرآن بمسائل من عدة أنسواع
لترسيخ الحق وحده . وترك غير الحق في كل الأمور . وخاصة ما كان على هذه الدرجة
من الشيع . التي بلغها التني . أولا : سلكه . في بيان ما عد بطلا . يجب العدوله
في يطلع أمين آخرين . على ما رأينا . وهما دعوى القلمين في جوف الرجس .

أن هذا لا يكون نمطا لعدم شروط النسخ فيه . ولأن ما جاء من الفريضة لا يقابل
إنما لأكل الخلق وما كانوا عليه من الحال والخلال وفتح الأعمال . وبترسل
الأعمال . الا أن يريد بذلك نسخ الاعتقاد بمعنى الرفع المطلق والازالة البهيمية
فيخر الدين الرازي ٦١٦ : ٥٧٠ - فيضيف أن " الكلام الذي يكون بالقلم فحسب
هو مثل نهيق الحمار ونباح الكلب . لأن الكلام المحتر هو الذي يعتد عليه .
والذي لا يكون عن قلب هوية لا اعتاد عليه . والله تعالى . كما كرم ابن آدم وفعله
على سائر الحيوانات ينبغي أن يحتز من التخلق بأخلاقها . فقول القائل : هذا
ابن فلان . مع أنه ليس ابنه . ليس كلاما . فان الكلام في القواد وهذا في القسم
لا غير . . . والقرطبي ١١٦ : ١٢١ - يقول أن أهل التفسير مجمعون على أن المقصود
الذي نزل فيه : ما جعل أديعهم أبناهم - هو زيد بن حارثة . ثم يذكر قصته
على النحو المشهور في الكتب الأخرى . وهو على خلاف من ابن العربي . يرى
أن الآية " ناسخة لما كانوا عليه من التني " وهو من نسخ السنة بالقرآن .

(١) انظر في القانون الروماني : برغانتير . نظم القانون الروماني . طبعة ١٩٥٧ . ص

١٥١ حيث يقول أن آثار التني مطابقة تماما لآثار الإنجاب في الأسرة
" GLI EFFETTI - ERANO PERFETTAMENTE IDENTICI A QUELLI DELLA
PROCREAZIONE ENTRO LA FAMIGLIA . "

يقول (ص ١٨٦ حاشية ١) أن العلاقة الناشئة بالتني مانع من موانع الزواج بمن
الأصول والفرع حتى ولو خرج الشخص من أسرة الذي كان قد تنه . وكذلك : قوتسرا
الزواج في القانون الروماني . روما ١٩٦١ . ص ٣٤٢ . يقول أرنجور . نظم
القانون الروماني . الطبعة ١٩٤٠ . نابلي ١٩٦٠ . ص ٤٤٠ : " في خط مستقيم
القرابة بالتني كذلك . في أية درجة . مانع من الزواج . أما في الحواشي فالمانع
يقوم فقط بين الأخ والأخت بالتني . يقول عدما يخرج أحد الاثنين بالتحريم من
الأسرة التي كان فيها متلكا . "

ودعوى اعتبار الزوجة فى مقام الأم فى التحريم : وثانيا : ركز على نحو خامر طمسى
التنسى وأتى بآية تالية يحدد فيها ما هو أقسط عند الله فى شأنه ، وثالثا : جمل
تعهد اعتبار التنسى قائما بعد نزول النص بالتحريم ، ولو بالتسمية والتسمية
جاءت (١) يؤخذ الله به ، وإن عذر غير المد فيه ، ورابعا : رتب الله على النحو
التالى ، أن يقوم التنسى ، عليه السلام ، بدور ايجاس حاسى فى نفى كل شك قد يبق
فى الحال أو الاستقبال ، فى أن التنسى تزوير باطل ، لا يحل أن يقوم عليه نظام قانونى
فى شريعة ساهية كل فواها الصدق والحق وراحة اليقين : أن يزوج زيدا ، الذى
كان قد تناء ، احدى قرباته التى كان عليه أن يكلها بالزواج - على النحو الذى
سيأتى بيانه (٢) - ثم يتزوجها هو ، عليه السلام ، بعد أن يستمضى على زيد البقاء
على زواجها . وأن يجمع هذا الزواج بكل وسائل الاطم والاشاعة حتى يتأصل به نهائيا
من النظم الاسلامية كل أثر لحرمة التنسى ، لا فى خلال الادعاء به فحسب بل ، كذلك -
كما رأينا فى القانون الرومانى - بعد نفيه والانصلاح من دعواه . وقد يكون شيئا
فى جلاء الصورة ، منذ الآن ، أن نعرف أن زيدا كان قد تجاوز آنذاك الخمسين من
عمره (٣) ، وأن الزواج كان فى كثير من الحالات من النوع الذى عرفناه باسم الزواج العياسى
اذ المقصود به - فى غير الحالات العادية - أن يكل مجاهد حليم امرأة مسلمة
على نحو مشروع ، اذا لم تكن تحمل لها الاقامة فى كفه بخير زواج . وقد عرفنا فيها تقدم
أن الظروف كانت استثنائية الى أبعد الدى .

(١) يقول الفراء ٣ : ٣٣٥ : " وليس عليكم جناح فيما لم تعدوا له من الخطأ ، انما
الائم فيما تعدتم " . يقول الطبري ٨ : ٢٨٥ : " وليس عليكم جناح ، أى حرج ،
فيما أخطأتم به ، فنسبتموه الى من انتفى اليه ، وإن الله لا يؤخذكم به ، ولكن
ما تعدت قلوبكم ، ففقدتموه من ذلك وأردتموه الذى تؤخذون به . ويوضح
" ما " جر ، تقديره : ولكن فى ما تعدت قلوبكم . وكان الله عذرا رحيمًا ، يغفر
لكم ما لم تعدوا من ذلك ، ويستره عليكم ويرحمكم بترك مؤخذكم به " . ويقول
الزمخشري : " ما تعدت " فى محل جر ، عطفًا على ما أخطأتم . ويجوز أن يكون
مرثما ، على الابتداء ، والخبر محذوف ، تقديره : ولكن ما تعدت قلوبكم ،
فيه الجناح . والمعنى : لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك ، مخطئين جاهلين ،
قبل ورود النهى ، ولكن الائم فيما تعدتموه بعد النهى ، أو لا اثم عليكم اذا قلتم
لولد غيركم : يا بنى ، على سبيل الخطأ وسبق اللسان ، ولكن اذا قلتموه تعدتم
إعظر ما يأتى فى شرح الآية الخمسين من سورة الأحزاب نفسها التى حددت الطوائف
التي يجوز للتنسى - قبل التحريم - أن يتزوج منها .

(٢) يقول الطبري ، ذيل الذيل ، المجلد الحادى عشر من تاريخه ، ص ٤١٧ أن زيد
بن حارثة قد قتل " فى جمادى الاولى " من السنة الثامنة للهجرة ، وهو ابن خمس
وخمسين سنة " وكانت تربت به كثيرا على الشرطين ، كما سياتى

الآية التي تلها فقال (١) : " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم " ومن يحصى الله ورسوله فقد ضل ضللا بعيدا .
 وأذن فنهى وأخوها إذ رفضا الزواج الذى عرضه الرسول ، إنما فعلا ذلك ، كما هو ظاهر من السياق . ومن كتب الضمير والطوخ ، لا لأن زينب لا تريد أن تتزوج ، فقد قبلت الزواج فعلا ، ولا لأنها ترفض الزواج من زيد بن حارثة لذاته ، ولكن لصفة من صفاته هي كونه عتقا غير قرشى دون طهقتها فى النسب (٢) ، والله ورسوله لا يقيمان وزنا للفرق فى هذه الصفة من ناحية ، ومن ناحية أخرى يعلمان أن العار الذى تخشاه ، زينب وخشاه معها أخوها - فى عدم الكفاة هذه ، فى عرف العرب - سيجبوا كل أثر له (٣) الزواج الذى سيكون بين النبي ، عليه السلام ، وبينها ، بعد أن يقضى زيد منها وطرا (٤) وطلقا . وأذن فنهى لم تتركه على رواج لا تحراه ، وإنما أكرهت ، ومعها أخوها ، على إسقاط اعتبار لا يقيم الله ورسوله له وزنا ، ولن يغيرها ولا يغير أصلها إسقاطه فى الواقع الذى يحمله الله ورسوله ، وإن كان محجبا آنذاك عن زينب وأخوها .

بدأ زيد حياته الزوجية الجديدة مع زينب ، فوجد ، غير ما آف فى زواجه السابق زوجة فيها ، مع الحدة ، استملاء ، ما كان له ، وهو ذو السبق فى الاسلام ، وذو الصفة المشوقة فى الجهاد فى سبيله ، وذو الكانة العليا عند رسول الله

(١) الأحزاب ٣٣ : ٣٦ .

(٢) ينقل الطبري ٢٢ : ١٠٠-١٠١ عن ابن عباس ، قال : خطب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، زينب بنت جحش لزيد بن حارثة ، فاستنكته ، وقالت : أنا خير منه ، وكانت امرأة فيها حدة ، فأنزل الله : " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا " الآية . " يقول الطوسي ٨ : ٢١١ : " روى عن ابن عباس - وذهب إليه مجاهد وقادة - أنه نزل قوله : " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة " الآية .
 " فى زينب بنت جحش ، لما خطبها رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، لزيد بن حارثة ، فاستنكته لنفسها من قريش ، وإن زيدا كان عبدا ، فأنزل الله الآية فرفضت به " . " يقول ابن العربي ٣ : ١٥٢٧ - ١٥٢٨ أن الآية " نزلت فى شأن زينب بنت جحش ، خطبها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لزيد بن حارثة ، فاستنكته ، واستنكها أخوها عبد الله لنفسها من قريش ، وأنها كانت بنت عمه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أمها أمة بنت عبد المطلب ، وإن زيدا كان عبدا بالأس ، على أن نزلت هذه الآية فقال أخوها : منى بها بنت ، فزوجها من زيد " . وابن العربي يضيف إلى ما تقدم " فى هذا نص على أنه لا تعتبر الكفاة فى الأحساب وإنما تعتبر فى الأديان ، خلافا لما لك والمناعى .

(٣) سترى أنها متفخر ، بعد ، على سائر زوجات النبي ، عليه السلام ، بالطهقة التى زوجت بها منه .

(٤) الواقع أن زواج زيد منها يدل على أنه لم ينزل فى شيء من درجته الاجتماعية بنفسه بالهتني من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

أن يورث نفسه على قوله ، أو أن يطول صبره عليه ^(١) . ويذهب زيد يشكو إلى رسول الله ما يلقى من زينب ، ويستأذنه في طلاقها . والرسول يعلم أنه لا محالة مطلقها ليم ما أراد الله من أيضا ؛ شريعته وحسم كل شك في الجديد من نظمها ، ولكنه عليه السلام - وهو قائل إن الطلاق يهتزله عرش الرحمن - وأنه أبغض الحلال إلى الله - لا يأمر زيدا بطلاقها ، بل لا يوافق عليه ويأمره بأسائها وتقوى الله - اذن ، لقد أخفى في نفسه ما يعلم أن الله سيظهره ، سُحْرًا انتقاءً لرد فعل يمرسه لدى قومه أن يقولوا : لقد تزوج مطلقته ابنه (ولعله عليه السلام - وقد عرفنا أن زواجه من زينب قد جاء بعد التخيير لأزواجه بين " الدنيا وزينتها " وبين " الله ورسوله واليوم الآخر " - قد خشي أن يحاط بهم أي زواج جديد ، أو أن يكون في هذا الزواج ما يزيد به الحب عليه إلى ما لا يطاق .) وهذا ما ستعالجه الآيات الخمسون والحادية والخمسون (ويريد الله لئلا يكون قد استغفرت خشيته الله وحده فلا يأبه لشيء يخشى غيرها ، وأن يدع شرم الله ، في حسم كل شك في استحصال نظام التنسي ، يأخذ مجراه دين تبيت أو تموتق . وفي هذا يقول القرآن الكريم ^(٢) :

(١) تزوج زيد هـ د من الزوجات بعضها قبل زينب بأحد طولي مثل " أم أيمن واسمها بركة " التي ولدت له ولده المعروف " أسامة " الذي كان رجلاً عندما تزوج أبوه بزینب بنت جحش (انظر ابن سعد ٦١: ٤ ، ابن هشام ٣ : ٦٦ : ٤ : ٢٤٧) وكان له ولدت من أم كلثم بنت عتبة (ابن حجر المصنعي ، الإصابة في تمييز الصحابة ، الجزء الأول ، طبع السعادة بالقاهرة سنة ١٣٢٨ هـ ج ١ ، ص ٥٧٥) .

(٢) سورة الأحزاب ٢٣ : ٣٧ - ٤٠ فسر هذه الآيات القرآنية : ٢٠٤٣ - ٢٤٤٤ فيقول : " قوله : وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم - نزول في زينب بنت جحش الأسمية ، أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يزوجه زيد بن حارثة فذكر لها ذلك ، فقالت : لا ، لعمر الله (أنا بنت عتك وأيم نساء قريش - فتلا عليها هذه الآية ، فرفضت وصلت - وتزوجها زيد - ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم ، أتى منزل زيد لحاجة فرأى زينب وهي في دوح وخمار ، فقال : سبحان مقلب القلوب (فلما أتى زيد أهله أخبرته زينب الخبر ، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم ، يشكوها إليه فقال : يا رسول الله ، ان في زينب كبرا ، وأنها توخى بلسانها فلا حاجة لي فيها . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : اتق الله وأمسك عليك زوجك . فأبى ، فطلقها - وتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ، بعد ذلك . وكان الوجهان جسيما : تزوجه زيد والنبي صلى الله عليه وسلم ، من بعد ، لأن الناس كانوا يقولون زيد بن محمد - وإنما كان يتبعها في حجره ، فأراهم الله أنه ليس له باب ، لأنه قد كان حرام أن ينكح الرجل امرأة أبيه ، أمر أن ينكح الرجل امرأة ابنه ، اذا دخل بها . وقوله : وخفى في نفسه من تزوجه ما الله يظهره ، وخفى الناس ، يقول : تمتحى من الناس ، والله أحق أن تمتحى منه . ثم قال :

• **وَأَنْتَ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ : أَسْكَنَكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ .**

• لكيلا لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم . وقوله : ما كان على الناس من حرج فيما فرض الله له : من هذا . ومن تمنح التسوية . ولم تحل لنفسه . وقوله : سنة الله . يقول : هذه سنة قد مضت أيما لغيرك . كان لداود ولعلسان من النساء ما قد ذكرناه . فصلا به . كذلك أنت .
وينبغي لنا أن نتوقف قليلا عند تفسير القراء هذا لنلاحظ أولا أن دعوى قول النبي عندما رأى زينب في دع وخيار : سبحانه مقلب القلوب . لا يدل - لو كان ثابتا - على شيء . يتصل بأنه قد مال إليها أو أنها أعجبت . لأن أحدا لم يزم أنها - وهي ابنة عته التي عرفها طوال ما يزيد عن خمس وثلاثين سنة سابقة ولم تكن محبة فيها - كانت بغيفة إليه ثم تقلب قلبه عندما رآها في دع وخيار إلى الحب . وسبحان مقلب القلوب . ان صح أنه قالها . إنما تنطفيئ بالآخرى . مع موتها بين زيد وسوق زيد منها . فقد رضى كل شيئا الآخر منذ قليل فتزوجها . وها هو الذي يري فراقها . وها هي ذي توفيه بلسانها وتتعالى عليه . وقول القراء . في تفسير "سنة الله" أنه يعني تمنح التسوية كما كان لداود ولعلسان من النساء العدد الكبير . ليس صحيحا من كلا جانبيه . فهذه الآية نزلت في زينب وهي الزوجة الخامسة فلم يكن هناك تمنح . ولم يكن العدد الكبير من النساء لدى سليمان وأبيه من سنن الأنبياء . لأنه لم يكن عندهما حصر لعدد النساء بشر ينح : لا الأنبياء ولا غيرهم . وقد عرفنا أن غير الأنبياء من الملوك والفراغة كان لهم من النساء أكثر مما كان لداود من سليمان وأبيه . وإنما المقصود بسنة الله في الذين خلوا من قبل أنهم لا يتحرجون ما يأمرهم به الله ويحرمهم ما يخرج على ما أوصى الناس في حرمهم الذي يريه الله هداه . وإزالة آثاره من نفوس المؤمنين بدنيته . ويحرم بعد القراء إلى من جاء بعده من المفسرين لئلا أثر عليهم . وأثر آخر يزيد عن أثره للطبري الذي مات بعده بأكثر من مائة عام . يقول الطبري في تفسيره للآيات - وسنعرف حالا أنه قد تأثر في تفسيره بما جاء في تأريخه وخاصة ما نقل عن ابن حبان عن شيخه من روايات تتعارض تماما مع القرآن والسنة وما لا يجوز تصور غيره في حق الأنبياء - (٢٦ : ١٠ - ١٣) : يقول . تعالى ذكره . لنبيه . صلى الله عليه وسلم . عتابا من الله له : وأذكر . يا محمد . إذ تقول للذي أنعم الله عليه بالهداية . وأنعمت عليه بالعتق . يعني زيد بن حارثة مولى رسول الله . صلى الله عليه وسلم : أسكنك عليك زوجك واتق الله - وذلك أن زينب بنت جحش فيما ذكر . رآها رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فأعجبت . وهي في حال مولاه . فالتقى في نفس زيد كراحتها . لما علم الله ما وقع في نفس نبيه ما وقع . فأراد فراقها . فذكر ذلك لرسول الله . صلى الله عليه وسلم زيد . فقال له رسول الله . صلى الله عليه وسلم : أسكنك عليك زوجك - وهو . صلى الله عليه وسلم . يحب أن تكون قد بانث منه لينكحها - واتق الله : وخف الله في الواجب له عليك في زوجتك . وتخفى في نفسك ما الله بهدي - يقول : وتخفى في نفسك حصة فراقك إياها لتتزوجها ان هو فارقها . والله بهدي ما تخفى في نفسك من ذلك : وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه . يقول : تعالى ذكره : وتخاف أن يقول الناس : أمر رجلا بطلاق امرأته . ونكحها حين طلقها .

تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ جَدِيهِ • وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تُخْفِيََهُ .

• وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تُخْفِيََهُ مِنَ النَّاسِ • وَيَأْخُذُ الطَّبْرِيُّ فِي تَأْيِيدِ هَذَا الْكَلَامِ بِالِاسْتِدَادِ إِلَى اتِّجَاهَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ تَامَا • عَلَى مَا سَتَرِي • فَيَقُولُ : " وَنَحْوُ الَّذِي تَلْتَسَاءُ فِي ذَلِكَ • قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ : - ذَكَرَ مِنْ قَالِ ذَلِكَ : حَدَّثَنَا • عَنْ قَسَادَةَ : وَأَنْتَ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ • وَهُوَ زَيْدٌ • أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالِإِسْلَامِ - وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ • أَحَقُّهُ رَسُولُ اللَّهِ • صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَّا عَلَيْكَ زَوْجُكَ وَاتَّقِ اللَّهَ • وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ جَدِيهِ • قَالَ : وَكَأَنَّ يَخْفَى فِي نَفْسِهِ وَدَّ أَنْهُ طَلَّقَهَا • قَالَ الْحَسَنُ : مَا أَنْزَلَتْ عَلَيْهِ آيَةٌ كَانَتْ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْهَا : قَوْلُهُ : وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ جَدِيهِ • وَلَوْ كَانَ نَبِيَّ اللَّهِ • صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ • كَانَتْ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ لَكُنْتُمْ • وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تُخْفِيََهُ • قَالَ : خَفِيَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ • مَقَالَةَ النَّاسِ • وَظَاهَرُ أَنْ قَسَادَةَ وَالْحَسَنُ فِي اتِّجَاءِ مَعَايِيرِ كُلِّ الْغَايِرَةِ لِاتِّجَاءِ الطَّبْرِيِّ • وَلَكِنْ مَا فِي ذَهْنِ الطَّبْرِيِّ مِنْ رِوَايَةٍ - سَمِعَ مِنْهَا - فِي تَارِيخِهِ • قَدْ أَدَاءَ إِلَى حِلِّ كُلِّ أَجْمَالٍ فِي كَلَامِ السَّابِقِينَ عَلَى مَا رَوَى هُوَ مُفَصَّلًا ذَلِكَ أَنَّ قَسَادَةَ وَالْحَسَنَ • وَالْأَرَاءَ الْآتِيَةَ - لَدَى الطَّبْرِيِّ - مَا عَدَا الْأَوَّلَ الَّذِي عَلَى هَذَا بَيَّانَةٍ - كُلُّهَا • تَصْتَمِعُ تَامَا مَعَ الْإِتِّجَاءِ الْمَخَالَفِ لِرُؤْيَاهُ • وَسَمِعْتُ لِبَيَّانِ هَذَا • يَقُولُ الطَّبْرِيُّ • بِحَدِّ الْكَلَامِ السَّابِقِ نَقْلَهُ هُنَا • بِهَاسِرَةٍ : " حَدَّثَنِي يُونُسُ • قَالَ : أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ • قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : كَانَ النَّبِيُّ • صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ • قَدْ زَوَّجَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ • ابْنَةُ عَمِّهِ • فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ • صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ • بِهَا يَرِيدُهُ • وَعَلَى الْبَابِ سِتْرٌ مِنْ شَعْرِ مَرْفُوعَتِ الرِّيحِ السَّيْرِ • فَانْكَشَفَ وَهِيَ فِي حِجْرَتِهَا حَاسِرَةٌ • فَوَقَعَ أَعْيَابُهَا فِي قَلْبِ النَّبِيِّ • صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ • فَلَمَّا وَضِعَ ذَلِكَ كُرِّهَتْ إِلَى الْآخِرَةِ • فَجَاءَ • فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ • إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَفَارِقَ صَاحِبَتِي • قَالَ : مَا لَكَ ؟ أَرَأَيْكَ مِنْهَا شَيْءٌ ؟ قَالَ : لَا • وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ رَأْيِي مِنْهَا شَيْءٌ • يَا رَسُولَ اللَّهِ • وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا خَيْرًا • فَقَالَ لِلَّهِ رَسُولُ اللَّهِ • صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَّا عَلَيْكَ زَوْجُكَ وَاتَّقِ اللَّهَ • فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ • تَعَالَى : وَأَنْتَ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ : أَمَّا عَلَيْكَ زَوْجُكَ وَاتَّقِ اللَّهَ • وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ جَدِيهِ - تَخْفَى فِي نَفْسِكَ : أَنْ فَارَقَهَا زَيْدٌ تَزَوَّجَتْهَا • حَدَّثَنِي • عَنْ أَبِي حَمْزَةَ • قَالَ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ • فِي زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ • حَدَّثَنَا • - سَفْيَانُ بْنُ عَمِيْنَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ جَدِّهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ • قَالَ : كَانَ اللَّهُ • تَبَارَكَ وَتَعَالَى • أَعْلَمَ نَبِيَّهُ • صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ • أَنَّ زَيْنَبَ سَتَكُونُ مِنْ أَزْوَاجِهِ • فَلَمَّا آتَاهُ زَيْدٌ يَشْكُوهَا • قَالَ : اتَّقِ اللَّهَ وَأَمَّا عَلَيْكَ زَوْجُكَ • تَعَالَى اللَّهُ : وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ جَدِيهِ • حَدَّثَنِي • عَنْ طَائِفَةٍ مِنْ عَائِشَةَ • قَالَتْ : لَوْ كُنْتُ رَسُولَ اللَّهِ • صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ • شَيْئًا • مَا أَوْحَى إِلَيَّ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ • لَكُنْتُ • وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ جَدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تُخْفِيََهُ " - ابْنُ زَيْدٍ فَقَطُّ هُوَ الَّذِي سَاطَرَهُ الطَّبْرِيُّ فِي رِوَايَتِهِ • مِنْ عَدَاءِ • مِنْ ذَكَرَ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ هُنَا • وَخَاصَّةً عَلَى بَنِ حُسَيْنٍ الَّذِي أَخَذَ بِقَوْلِهِ سَفْيَانُ بْنُ عَمِيْنَةَ • بِمَعْنَى رَأْيِهِمْ مَسَارًا مُخَالَفًا • ذَلِكَ أَنَّ عَلِيًّا بْنِ حُسَيْنٍ يَقُولُ أَنَّ الَّذِي أَخْبَاهُ النَّبِيُّ إِنَّمَا طَعَنَهُ سَمْتَزَوْجَ زَيْنَبَ " أَعْلَمَ اللَّهُ نَبِيَّهُ أَنَّ زَيْنَبَ سَتَكُونُ مِنْ أَزْوَاجِهِ " فَأَخْفَى هَذَا • فَظَاهَرَهُ اللَّهُ •

فلما قص زيد منها وطرا زوجهاها ، لكن لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم

• أي أن زواجه أياها هو " ما الله بهديه " لا الحب ولا الإعجاب إذ لم يبد الله شيئا منها •

وسعود إلى ابن زيد ، فكيف عرف أن " أعجبها وقع في قلب النبي ؟ " انه يقول انه هو الذي أخفاه ، وأذن فانه لم يقله ، فكيف عرفه هو أو غيره ؟ ومسئ ابن زيد هذا ؟ وهل كان معاصرا للنبي ؟ ابن زيد هذا هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم • ويقول الأستاذ شاذلي ، في الجزء الأول من التفسير ، طبع دار المعارف ، ص ١٧٦ في الباشر (١) : " عبد الرحمن بن زيد متأخر من أتباع التابعين ، مات سنة ١٨٢ • وهو ضعيف جدا ، يهتد ضقه في حديث المسند ٢٢٣ • وكفى منه قول ابن خزيمة : ليس هو من يحتج أهل العلم بحديثه لسوء حفظه ، وهو رجل صنّعه المباداة والتقف ، ليس من أحلاس الحديث " • ويهود الأستاذ شاذلي ، ص ٤٦٢ في الباشر " فيقول أن " ابن زيد " وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، لم يدرك إلا بعض التابعين • هذا إلى أنه ضعيف جدا ، كما سبق •

والطبري ، مع ذلك ، يناقش نفسه في روايته التي أخذ بها هنا ، مع روايات أخرى في الاتجاه غير الضيق مع القرآن ولا مع تفسيره لباني الآيات ، كما سيأتي • ذلك انه يقول في تاريخه (تاريخ الطبري ٢ : ٥٦٢ - ٥٦٣) : " حدثت عن محمد بن عمر قال : حدثني عبد الله بن طاهر الأسدي عن محمد بن يحيى بن حبان قال : جاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم بمهيت زيد بن حارثة ، وكان زيدا ، أنا يقال له : زيد بن محمد ، ربما فقد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم • الساعة فيقول : أين زيد ؟ فجا : منزله يطلبه فلم يجد • وقامت إليه زينب بنت جحش فغلا ، فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : ليس ها هنا يا رسول الله ، فادخل بأبي أنت وأمي : فابى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم • ان يدخل وأنا عجلت زينب أن تلبس إذ قيل لها : رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، طى الباب ، فوثبت عجلة • فاعجبت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقلبي وهو يهيم بهي • لا يكاد يفهم • الا أنه أعلن : سبحان الله العظيم (سبحان الله معترف القلوب) قال : فجا : زيد إلى منزله • فأخبرته امرأة أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أتى منزله • فقال زيد : ألا قلت له : ادخل • فقالت : قد عرضت عليه ذلك فأبى • قال : فسيحيتي يقول شيئا ؟ قالت : سيعتق يقول • حين رآني : سبحان الله العظيم (سبحان الله معترف القلوب) فخرج زيد حتى أتى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، بلغني أنك جئت منزلي فنهلا دخلت بأبي أنت وأمي • يا رسول الله ، لعل زينب أعجبتك فأفارقها ؟ فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : أمك عليك زوجك • فلما استطاع زيد إليها سبيلا بعد ذلك اليوم فكان يأتي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيخبره • فيقول له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : أمك عليك زوجك • ففارقها زيد وأهزلها وحلت • ويهود الطبري بعد ذلك ما جاء به في تفسيره ما ناله ابن زيد ، على ما تقدم تماما • والرواية الثانية هذه تزيد غرابتها عن السابقة لأنها

إذا قضاََ منهن وطرا ، وكان أمر الله فمضوا . ما كان على النبي من حرج فيها فرض الله له .

• ثانياً مشبعة بأدلة الصناعة كلها مثل مهمة الرسول بما لا يفهم ، ثم سبحانه الله العظيم وسبحان الله صرف القلوب ، وتفسير كل ذلك بأعجاب الرسول المكرم بزينب ثم يأتي قول زيد بن حارثة لزينب " فَمَعِيْتُهُ يَقُولُ شَيْئاً " ثم يصل الأغراب والخروج من كل ما لوفد أن ينسب إلى زيد الذهاب إلى الرسول ليقول له : " لعل زينب أعجبتك " (يا للبهول) ثم يزيد " فأفارقها " والطريف أن زيداً لم يكن يعلم آنذاك أنه إذا فارق زينب أنها تحل للنسب ()

وبعد ذلك ، فإن الطبري يحدد ، في النهاية ، إلى الاتيان بالرواية الصحيحة خالية من كل هذا الاغراق في الافتراء على رسول الله . ذلك أنه يقول في ذلك المذيل (٤٩٦ - ٤٩٥) وهذه المرة نقلا عن ابن عباس أن النبي زوج زيد حارثة " زينب بنت جحش بن رثابدة " وأما أمية بنت عبد المطلب بن هاشم فطلقها زيد بعد ذلك ، فتزوجها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فتكلمهم السائقون في ذلك ، وطعنوا فيه ، وقالوا : محمد يحرم نساء الولد ، وقد تزوج امرأة ابنه زيد (فأنزل الله عز وجل : " ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ") ثمعود إلى تفسير الطبري في باقي الآيات فتجد ، يتجه إلى صهيل غير التي كان قد حدد من التزام صريح النص فيها ، إذ يعود إلى الالتزام فيقول : " قوله : فلما قضى زيد منها وطرا زوجناها - يقول ، تعالى ذكره : فلما قضى زيد بن حارثة من زينب حاجته ، وهي البوط ، ومنه قول الشاعر :
ودعي قبل أن أودع . . . لما قضى من شهابنا وطرا .

زوجناكها ، يقول : زوجهاك زينب ، بعد ما طلقها زيد ، وانت منه ، لكن لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم ، يعني : في نكاح نساء من تنسبوا إليهم بينهم ولا أولادهم على صحة ، وإذا هم طلقوهن منهن ، إذا قضاََ منهن وطرا - يقول : إذا قضاََ منهن حاجتهن وأربابهم ، فأرتهن وحلن لغيرهم ، ولم يكن ذلك نزولاً منهن لهم منهن ، وكان أمر الله فمضوا . يقول : وكان ما قضى الله من قضاء فمضوا ، أي كاتنا لا محالة . وإنما يعني ، بذلك ، أن قضاََ الله في زينب ، أن يتزوجها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كان ماضي فمضوا كاتنا - ما كان على النبي من حرج فيها فرض الله له ، سنة الله في الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدرا قدورا . يقول ، تعالى ذكره : ما كان على النبي من حرج : من أمه فيما أحل الله له من نكاح امرأة من تنسب بعد فراقه إياها - وقوله : سنة الله في الذين خلوا من قبل ، يقول : لم يكن الله ، تعالى ، يلوئم نبيه فيما أحل له مثال فعله بين قبله من الرسل الذين مضوا قبله ، في أنه لم يؤتمم بها أحل لهم : لم يكن لنبيه أن يخشى الناس فيما أمر به أو أحله له . . .

على أن المفسرين ، وإن تأثروا كثير منهم بالطبري ، لم يسيروا جميعاً بمساره بل إن منهم من صحح هذا المسار ، وفي ما دس على السيرة من الاسرائيليات وحسبنا ، هنا وقد طال الهاشمي ، ما قاله أبو بكر الرازي الجصاص المتوفى في القرن الذي مات فيه الطبري ، حيث شرح الآيات (٣ : ٣٦٠ - ٣٦١) هكذا :
" وأد تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه الآية : روى سفيان بن عيينة "

سنة الله في الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدرا مقدورا ، الذين يملكون رسائل الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله ، وكفى بالله حسيبا ، ما كان محمد أبدا أحد من رجاكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليما .

هذا هو نص القرآن في هذه المسألة التي ستقوم لها بالافتراء منها الطائفتان فلا تعتمد ، ويتصيد لها المحابون لله ورسوله ، قديما وحديثا ، خطأ في التفهيم ، لا يعلم أن يقع فيه أحد ، يجرى به قلم خسر للقرآن ، أو كاتب في السيرة النبوية ، أو ناقل لا تستقيم له الأمانة في النقل ، وحسبنا ، هنا ، أن يكون سلسا ، غير مشوب ، المعمار الآتي في التفسير : كل قول يقوله خسر أو أخذ يقوله أو ناقل عنه ، وفي تفسيره ما يتعارض مع صحيح كلام الآية ، أو لا يستقيم كل الاستقامة مع صحيحها ، فهو رد لا يجوز لأحد أن يعمل عليه ، أو أن يحتج به ، وإذا جاء قول من خسر ، مهما كان قسوده لدى رجال التفسير أو مكانته فيه عندهم ، وجا معه قول مخالف له من خسر آخر ،

عن علي بن زيد ، قال : قال لي علي بن الحسين : ما كان الحسين يقول في قوله ، تعالى : ويخفى في نفسك ما الله مبديه ؟ قال : قلت : كان يقول : انبأ كانت تعجبه ، بأنه قال لنبي : اتق الله وأمسك عليك زوجك ؟ قال : لا ، ولكن الله أعلم نبيه أن نهب ستكون من أزواجه ، فلما جاء ، نهد يعكضهن ، قال له : اتق الله وأمسك عليك زوجك ، قال الله : ويخفى في نفسك ما الله مبديه . - وقيل : أن زيدا قد كان يخاضم أمواته إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ودام الشر بينهما ، حتى ظن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه لا يثقان وأنه سيفارقها ، فاضمر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه انطلقها زيد تزوجها ، وهي نهب بنت جحش ، وكانت بنت عمه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن يضمها إليه ، صلة لرحمها ، واعتافتا عليها ، فعاتبته الله على اضمار ذلك ، واعتافته ، وقوله لنبي : اتق الله وأمسك عليك زوجك ، وأراد أن يكون باطنه وظاهره عند الناس سوا كما قال في قصة عبد الله بن سعد ، حين قيل له : هلا أوطأت الهنا بقتله ، فقال : ما ينهني للنبي أن تكون له خاتمة الأنبياء ، وأيضا ، فإن ذلك لم يكن مما يجب اخفاؤه ، لأنه جاح جائز ، والله ، تعالى ، عالم به وهو أحق أن يخفى من الناس ، وقد أباحه الله ، تعالى ، فالتاس أولي بأن لا يخشوا في اظهاره وإعلانه . وهذه القصة نزلت في زيد بن حارثة ، وكان من أنعم الله عليه بالسلام ، وأنعم النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عليه بالعتق ، ولذلك قيل للعتق مولى نعمه . - قوله ، تعالى : فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكمها لكيلا لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم . الآية : قد حوت هذه الآية أحكاما ، أحدها الإبانة من علة الحكم في إباحة ذلك للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، وإن ذلك قد اقتضى إباحته للمؤمنين ، فدل على اثبات القياس في الأحكام واعتبار المعاني في إيجابها ، والثاني أن النهوة من جهة التهنئ لا تضع من جواز النكاح ، والظلم أن الألة مساوية للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، في الحكم ، إلا ما خصه الله ، تعالى ، به .

فأحق الآراء بأن يؤخذ بها هو أقربها الى نص القرآن وأكثرها استقامة معـــــــــــــــــه .
 وإذا عوّنا بعد الأخذ بهذا المعيار ، أن نرى كتب السابقين من الغسرين والشواح ،
 كما نرى ما نصب الى النبي ، عليه السلام ، من أحاديث ، موضوعةً وصحيفةً ، وأن هذا
 الموضوع قد يكون مقصوداً به التشويه والاتساع مثل ما عرف باسم " الاسرائيليات " التي
دسها اليهود بعد إسناده ، زوراً وبهتاناً ، الى من شهبين المسلمين
 بالدقة في التحصين ، اعتداداً على حسن نية المطلق ، وعلى أن الموتى المزور قولهم
 لا يتكلمون ! ومن دلائل الاسرائيليات ، التي لا يجوز أن تخفى على الباحث ، أن يكون
 المنسوب زوراً الى نبي الاسلام قد حكى على منوال قصة معروفة في العهد القديم .
 وإذا أخذنا ما قيل في مسألة زواج النبي من ثعب بنت جحش مثلاً ، لأنها موضع هذا
 البحث ، نجد التشابه الواضح بين ما قيل هنا وقيل في شأن الملك داود عليه
 السلام مع زوجة أحد رجاله ^(١) ، بل إن بعض الغسرين قد احتج فعلاً بهذا التشابه
 في شعره ! وكان واجب الموضوعية يقتضيه أن يقف — وعنده مجرد التفسير —
 عند النص الذي يهد شعره ، لا يعدوه الى غيره . حتى إن ملايحات النص حقيقة
 بأن تكون في ذهن الغسرين والقارئ ، ولكن الرجوع الى ملايحات قصة يظن فيها التشابه
 من قصص الأنبياء السابقين — بغرض صحتها — لا يجوز لمن يفسر الموضوعـــــــــــــــــة .

(١) في الكتاب الثاني صهيل (٢ : ١١ - ٢٢ : ١٢ : ١٥) قصة غريبة تتلخص
 في أن الملك رأى من شفة قصره امرأة جميلة جداً تستحم ، ولم أنها زوجة " أوريا " الحيث
القاتل في جيفه ، فاستحضرها ، وأمرها ، فحلبت منه ، فاستحضر
 زوجها من الجيش لتخطية الموقف ، ووفى الزوج أن يدخل منزله والجيش يحارب
 في الميدان ، ولم لم يجد الملك حيلة معه أرسله ثانية الى الجيش ليوضع في أخطر
 المواقع يقتل . وبعد قتله ، تزوج الملك المرأة . وجاء النبي " ناان " ليقص
 عليه بمثل قصة فينحاً له قطع من الفم والأنعام كثير جداً ، وأخبر فقيراً يملك الا نعمة
 واحدة . وجاء شيف الى النبي فأضافه على نعمة الفقير ، التي سرقها ، ولم يرد
 أن يفيجي بأحدى تعاجبه . ولم قال الملك ان هذا النبي خرف أن يقتل وأن يمسوس
 الفقير أضعافاً من تعاجبه فقال له النبي أن النبي هو أنت وسرى هذه
 القصة تدس ، وأعطاه بغير مناسبة ، وغير اغاق ما مع النص ، في كتب كثير من
 بغسرى القرآن الكريم ، في موضعين مختلفين ، أحدهما هذا الموضع ، الذي نحن
 بصددده ، من سورة الأحزاب فتأخذ زوجة نهد بن حارثة مسحة من قصة زوجة " أوريا " !
 والثاني في شعور سورة " ص " ٣٨ - ٢١ - ٢٦ حيث تأخذ قصة تعليم الملائكة لداود
 مبادئ القضاء من ألا يحكم وهو خاف ، وألا يحكم قبل سماع الطرفين الآخري الدعوى ،
 وألا يحيل به الهوى في جانب الفقير ضد الغني بل يلتزم إعطاء كل ذي حق حقه
 غنياً وفقيراً . كل هذا في آيات القرآن يأخذ اعتسافاً الشطر الثاني من قصة العهد
 القديم هذه !
 والأمثلة لدى الغسرين كثيرة . أنظرني الشق الثاني الطبرى نفسه (٢٣ : ٨٩ - ")

لأن المراد تفسير القرآن من معانيه هو لا من نصوص أخرى تختلف معه في المعنى والمناسبة والسباق !

وإذا عدنا ، بالتزام كل الموضوعية في الاختصار على معنى الآيات ، نجدها تقول ، مبتدئة بحكاية ما حدث ، على النحو الآتي :

١ - " وإذ يقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه : أَسْكُ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ " المخطب هو النبي الذي يقول : لمن أنعم الله عليه وأنعم هو عليه - ونعترف أنه زيد بن حارثة من آية تالية - : أَسْكُ عَلَيْكَ زَوْجَكَ : احتفظ بها ولا تطلقها : واتقِ الله - ولا تدمها بالنسبة للكبر وأذى الزوج " (١) .

٢ - " وَتَخْفَى فِي تَفْئِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ " والخطاب موجه لها هنا للنبي ، عليه السلام أنه أخفى في نفسه ما أبداه الله بعدد . فما الذي أخفاه فأبداه الله ؟ يقول متبعوا الاسرائيليات إنه أخفى حُبَّهُ زَيْنَبَ وَرُضَّةَ نُبُهَا . ويقول فريق من الذين لا يجدون ضرورة للتحميم ، للوقوف عند الحقيقة الموضوعية وحدها ، أيًا كانت : هب أنه أخفى هذا لماذا عليه فيه (٢) ؟ يقول الذين يبدون الحقيقة لذاتها - من حيث هي واقع ظاهر - لا يجوزني سبيل التأكيد منها أن نفترض ما لم يكن لأنه لا مبرر فيه ، لأنهم يبدون ما كان أيًا كان وصفه ، ولا يتساهلون في تحميمه لجرد أنه ، على أية حال ، غير معيوب . وهذا هو وحده - في اعتقادنا - الجائز في كل ظاهر ، وهو وحده المأذون فيه لمن أراد تفسير آيات الله . وإذن فما الذي أخفاه ؟ لا يستطيع مؤمن ، ولا ناصب يفتنى بمعرفة الحق بمعايير الحق ولو كان غير مؤمن ، أن يدعي أنه يحف الغيب فيقول إنه أخفى حبا أو رغبة أو إعجابا أو ميلا أو ما شئت من خفايا النفس : إِلَّا أَنْ يَقُولَ هُوَ لَقَدْ أَخْفَيْتُ كَذَا وَكَذَا

١٢ - وسنرى أثره على من جاء بعده كبيرا . وأنظرني شأن زينب بنت جحش : الزمخشري ٣ : ٢٦٢ - ٢٦٤ ، الطوسي ٨ : ٣١٢ - ٣١٤ ، فخر الدين الرازي ٦ : ٥٨٠ - ٥٨٢ الذي يقول صراحة : وكما قال : سنة الله في الذين خلوا : إشارة إلى قصة دأود ، عليه السلام ، حيث افتتن بامرأة أوريا ، البياضى ، ص ٥٥٨ ، الألبسي ٢٢ : ٣٠ - وهو ، وإن أنكر اتجاه الطبري ومن تابعه ، يقول : سنة الله - الآية . وقيل : إنه جل وعلا ، أشار بذلك إلى ما وقع لدأود ، عليه السلام ، من تزوجه امرأة أوريا - ثم ينتهي إلى أن " هذا ما لا يلتفت إليه والقصه عند المحققين لا أصل لها " وسأأتى المفسرون الذين رفضوا الأخذ بهذا الاتجاه ، والتمسوا آيات القرآن ومعناها فقط دون اللغات إلى الاسرائيليات ، وهددهم أكبر من الأولين ، على ما سنرى .

(١) يقول الزمخشري ٣ : ١٦٢ في " واتقِ الله " : فان قلت : ما أراد بقوله ، واتقِ الله ؟ قلت : أراد : اتقِ الله ولا تطلقها ، وقصد نهي تزنيها ، لا تحميمها ، لأن الأولى أن لا يطلق . وقيل : أراد : اتقِ الله فلا تدمها بالنسبة إلى الكبير وأذى الزوج .

(٢) سنعرض نماذج من قال ، في هذا الموضوع على ذلك النحو ، وسنرى منهم من اكفى به ، ومنهم من وقف عند النصوص ومودها الصحيح بعد أن عرض هذا القرض .

يقول الله سبحانه وتعالى : فلما قضى زيد منها وطرا . أى فلما انقضى
أمره وحاجته ورغب عنها طيبة نفسه ^(١) . وطلقها . غير موجبه ولا يفتعل . بل عمن
رغبة ذاتية متروكة . زوجانها ^(٢) . والقرآن هنا ينصب انتباه الرعية الى نهى
الى زيد صراحة . وينصب الى الله سبحانه وتزويج النبي اياها .
جاء بالمقصود من ذلك التزويج . وهو أن لا يكون في الاسلام حرج ^(٣) . أو مانع
من زواج من طلقهن الأديعاء . على من ادعوا نسبهم . غير الحقيقة . اليهم ^(٤) .

(١) يقول البيضاوى ص ٥٥٨ : " فلما قضى زيد منها وطرا : حاجة بحيث
ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها " . يقول الزمخشري ٣ : ٢٦٣ : " اذا بلغ
الهاغ حاجته من شيء له فيه همة . قيل : قضى منه وطره . والمعنى : فلما
لم يبق لزيد فيها حاجة . وتناصرت عنها همة . وطلبت عنها نفسه . وطلقها .
وانقضت عدتها . زوجانها " . يقول الشوكاني . فتح القدير ٤ : ٣٧٥ : " فناء
الوطر . أى اللذة : بلوغ شهته بأى النفس من الشيء . يقال : قضى وطرا
شبهه . اذا بلغ ما أراد من حاجته فيه . ومنه قول عسبر بن أبى وهبة :

أيها الراجح المجد ابتكارا . . . قد قضى من تهامة الأطارا

أى : فرغ من الحج بلغ ما أراد منه . والبراد هنا : أنه قضى وطره شهيا
بتكاها والدخول بها بحيث لم يبق له فيها حاجة . وقيل : البراد به الطلاق
لأن الرجل يطلق امرأته اذا لم يبق له فيها حاجة .
وقال الجرد : الوطر : الشهوة والسجية . وأنشد :

وكيف ثواني بالمدينة بعدما . . . قضى وطرا منها جميل بن معمر

(٢) يقول الزمخشري ٣ : ٢٦٣ : " قرأه أهل البيت : زوجتكم . وقيل لجمعقرين محمد
رضى الله عنهما . أليس هوأ على غير ذلك ؟ فقال لا . والذي لا اله الا هو
ما قرأها على أبى الا كذلك . ولا قرأها الحسين بن على . على أبيه .
الا كذلك . ولا قرأها على بن أبى طالب على النبي صلى الله عليه وسلم . لا كذلك
وانظر كذلك القرطبي ١٤ : ١٩٣ .

(٣) ابن الأثير . النهاية فى غريب الحديث والأثر ١ : ٢١٣ - ٢١٤ : " الحرج . أى
الأصل : الضيق . يقع على الاسم والحرام " . ويبدو أن أصله من " الحرجة "
وهى - كما يقول ابن الأثير : " مجتمع شجر ملتقى " .

(٤) يقول غير الدين الرازى ٦ : ٥٨١ - ٥٨٢ : " إن الله علم " أن من الحكمة أكل شعير
محمد صلى الله عليه وسلم بمزوجه بزوجته . فتكملا للشرع . من حيث
أن قول النبي صلى الله عليه وسلم . يفيد شرا . لكن اذا امتنع هو عنه
يعنى فى بعض النفوس قفرة . ألا ترى أنه ذكر بقوله ما فهم منه جلأ أكل الضئيب
ثم لما لم يأكله بقى فى النفوس شيء . ولما أكل لحم الجمل : طاب أكله
مع أنه فى بعض الملل لا يؤكل . وكذلك الأوتب " .

٥ - " وكان أمر الله فعمولا " وما أمر الله ، تعالى ، أن يكون لابد أن يفعل —
وما كان لا محالة فعمولا لا يجوز التراخي في إضائه ، ولا التراخي مع الناس عليه
بالتمهيد له ، وسبأولة إيلامهم أيام قبل وقوعه ، وتلك سنة الله في الذين
خلوا من قبل .

٦ - " ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله في الذين خلوا من قبل ،
وكان أمر الله قدرا مقدورا " ما كان على النبي من ضيق فيما أمره الله ، تعالى ، أن يفعله
فالضيق بالنسبة للأنبياء والمؤمنين إنما يكون فيما ضيق الشرع لا فيما ضيق الناس ، وإنما
النبي في سعة فيما فرض الله له وإن كان هذا الغرض لا تتمه عادات الناس ، فأنسه
أنما جاء لإبطال غير المشروع من هذه العادات . وتلك سنة الله في كل أنبيائه أن يصدروا
بما أمروا به ، وأن يكونوا أول القائلين له ، كما هم أول المؤمنين بما شرع الله —
والنقطة هنا واضحة بين السعة الشرعية والسعة الاجتماعية فشرع الله ليس حقا أن يكون اقترابا
لما جرى عليه الناس ، ولا أخذًا لازما لما اعتادوا ، وإنما شرع الله رَمْ لما ينبغي أن يكون
عليه مجتمع المؤمنين ، وتحديد لما يجب أن يأخذوا أنفسهم به ، إذ أنه تقدير من حكم
خير ، ومن ثم كان قدرا مقدورا ^(١) .

٧ - الذين يملكون رسالات الله يخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله ، وكفى بالله حسيبا .
دلت هذه الفقرة على أن القصد بالذين خلوا من قبل هم رسل الله ، وأن الرسل
أنما يخشون الله وحده ولا يخشون في إضائه دعوتهم وإبلاغ رسالتهم أحدا غيره ، ذلك
أن حساب الأنبياء لا يكون على ما يخالفون فيه ما لفت الناس ومعتقداتهم ، وإنما يكون
حسابهم وفق ما يلتزمون فيه شرع الله وكفى بالله حسيبا ^(٢) ، حافظا لأعمالهم وبطاسها عليها .

(١) الطبري ٨ : ١٨٢ " قيل : معناه : جازيا على قدر لا يكون فيه غاوت من جهة
الحكمة ، وقيل : أن القدر القدر هو ما كان على قدر ما تقدم من غير زيادة
ولا نقصان " .

(٢) يقول الطبري ٢٢ : ١٢ " يقول : تعالى ذكره : سنة الله في الذين خلوا من
قبل محمد من الرسل الذين يملكون رسالات الله إلى من أرسلوا إليه ، يخافون الله ، فانهم إياه يرهبون
إلى الله في تركهم تبليغ ذلك إياهم ، ولا يخافون أحدا إلى الله ، فانهم إياه يرهبون
أن هم قصروا عن تبليغهم رسالة الله إلى من أرسلوا إليه ، يقول تنبيه محمد ، فمن
أولئك الرسل الذين هذه صفتهم تكن ، ولا تخشى أحدا إلا الله ، فان الله ينعك
من جميع خلقه ، ولا ينعك أحد من خلقه منه ، أن أراد بك سوء " . وقوله : وكفى
بالله حسيبا ، يقول : تعالى ذكره : وكفا يا محمد بالله حافظا لأعمال خلقه ،
وبطاسها لهم عليها " والطبري ٨ : ٣١٣ يقول : " الذين يملكون رسالات الله
ولا يكتسبونها بل يؤدونها إلى من يحتوا إليهم ، يخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله
أي لا يخافون سوى الله أحدا " . وقوله : وكفى بالله حسيبا ، أي كافيها وسجانيها " .

" ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليماً " ، هذه الآية تدل ، في نظرنا ، والله ، تعالى أعلم ، على أن زواج النبي صلى الله عليه وسلم ، زنيب ، بعد زيد ، لم يكن المراد به ، في التظيم الإلهي ، مجرد تحريم النبي ، الذي سبق تحريمه في الآيتين الرابعة والخامسة ، ولا مجرد تأكيد هذا التحريم ، وانتزاع كل اعتقاد عليه أو قول به من الضمير الاجتماعي للمؤمنين ، بل أهد به ، مع كل ذلك ، في كل شك في أن النبي ، عليه السلام ، لا يورث ، لأنه لا ميراث في الرسالة ، ولأنه ، عليه السلام ، هو خاتم النبيين . وكما قد عرفنا أن النبي ، عليه السلام ، كان قد قال عندما أعلن تنحيه لزيد بن حارثة ، أنه يرثه وورثه . فجاء تحميم النبي نسخاً لذلك القول ، وجاء الزواج من مطلقه زيد تأكيداً لهذا النسخ ، ثم تعميماً في نفس كل تصور لميراث بين النبي وبين أي رجل من الرجال في النبوة وغيرها من أنواع الخلافة الوراثية في الحكم أو العلم أو ما إلى ذلك . بل أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لمزيد التأكيد وضوح شمولاً حين يقول ^(١) : " لا نورث ما تركناه ، فهو صدقة " .

وإذا عدنا إلى رجال التفسير لانتفأ نماذج من ترددهم حول هذه الآيات بين النص وبين روايات مشبهة بالأساطيليات ، على ما تقدم ، وجدنا :

الطوسي ، المتوفى سنة ٤٦٠ هجيرة ، يقول ^(٢) : " وتخصي في نفسك ما الله جديده

= والزمخشري ٣ : ٢٦٤ يقول : " وصف الأنبياء بأنهم لا يخشون إلا الله تعاض بهد التصريح في قوله ، تعالى : وتخصي الناس والله أحق أن تخشاه . حسيماً : كافياً للمخاوف ، أو مضاعفاً على الصغيرة والكبيرة " . ويقول الطبرسي ٨ : ١٨٢ " وصف سبحانه ، الأنبياء ، المخلصين ، وأثنى عليهم فقال : الذين يملكون رسالات الله ، أي يؤدونها إلى ما من بعثوا إليهم لا يكتسبونها ، خصمته ، أي يخافون الله ، مع ذلك ، في ترك ما أوجبه عليهم ، ولا يخشون أحداً إلا الله ، ولا يخافون من سوى الله فيها يتعلق بالآداب والتبليغ . وفي هذا دلالة على أن الأنبياء لا يجوز عليهم التخصي في تبليغ الرسالة . ومتى قيل : فكيف ما قال لنبينا ، صلى الله عليه وآله وسلم ؟ وتخصي الناس ؟ — فالقول : أنه لم يكن ذلك فيها يتعلق بالتبليغ ، وإنما تخصي العقالة القبيحة فيه . والعامل ، لما يتحيز من البضار ، يتحيز من أسامة الظنون به ، والقول ليس فيه . ولا يتعلق شيء من ذلك بالتكليف ، وكفى بالله حسيماً ، أي حافظاً لأعمال خلقه ، وسامعاً مجابياً عليها " .

(١) البخاري ٢٥ : ٥ باب مناقب قرابة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، (عن عائشة عن أبي بكر) .

(٢) التبيان ٨ : ٣١٢ - ٣١٣ والطوسي ، بعد هذا التردد والاضطراب ، يعود إلى شرح الآية ملتزماً معناها فيقول : أن الله أراد بزواج النبي زنيب ، نسخ ما كان عليه أهل الجاهلية من تحريم زوجة العمي . . . بين الله ، تعالى ، أن الفرض بهذا أن لا يكون المقتضى به ، إذا طلق المرأة ، يجري مجرى تحريم امرأة الابن ، إذا طلقت ، أو مات .

فالذى أخفى نى نفسه أن يطلقها زيد تزوجها ، وخفى اظهار هذا للناس .
وكان الله تعالى أمره بتزويجها اذا طلقها زيد ، فقال الله تعالى له :
ان تركت اظهار هذا خفية الناس ، فترك اضاره خفية الله أحق وأولى (١) وقال
الحسن : معناه وتخفى عيب الناس .

والمتأخر نى هذا الكلام غاية نى الظهور (فهو يقول ان الله أمره بتزويجها
اذا طلقها زيد . ومع ذلك فانه يقول : فترك اضاره خفية الله أحق وأولى (كيف يكون
ترك اضارها أمر الله به أحق وأولى ؟) فان قصد فترك إخفائه بإظهاره

مجرد الى رواية أخرى يعرضها . هي أنه " قيل : ان هذا لما جاء مخصصا
زوجته ، فلو أنها التبت ، صلى الله عليه وآله وسلم ، استحسنها ، وتضى أن يبارأها زيد
حتى يتزوجها ، فكنتم . قال البخاري : وهذا جائز ، لأن هذا التضى هو ما طبع الله
عليه البشر ، فلا شيء على أحد اذا تضى عيضا استحسنه . "

والمتأخر عارض (١) ، المتوفى سنة ٤٤٠ هـ (٢) ، الذى يقول ان التبت
" لا يجوز عليه ، صلى الله عليه وسلم ، أن يبارأ أحدًا بشيء ، أو أن ينسأ أحدًا عن شيء ،
يضمن خلافه . وقد قال : ما كان التبت أن تكون له خاتمة الأيتام . - فكيف أن يكون
له خاتمة القلب ؟ فان قلت : فما معنى قوله تعالى : نى قصة زيد : وان تقول
لذى أنعم الله عليه ، وأتممت عليه . الآية ، فاعلم ، أنك لم تسمع الله عز وجل . ولا تترب
نى تنهيه التبت ، صلى الله عليه وسلم ، عن هذا الظاهر ، وأن يبارأ زيدا بما ساكبها ،
وهو يحب تطليقه إياها ، كما ذكره جماعة المحققين . وأصح ما نى هذا ما حكاه بعض أهل
التفسير ، عن علي بن الحسين ، أن الله كان أعلم نبيه أن يهرب ستكون من أزواجه ،
فلما ساكبها إليه زيد قال له : أسك عليك زوجك واتق الله . وأخفى نى نفسه ما أعلمه
الله تعالى به ، من أنه سيتزوجها ، ما الله بهديه ومظهره بنظام التزوج ، وطلاق زيد لها .
ويروى نحوه عن عمرو بن قنبل ، عن الزهري ، قال : نزل جهيل على التبت ، صلى
الله عليه وسلم ، يعلمه أن الله سوزجه يهرب بنت جش ، ولذلك الذى أخفى نى نفسه .
وصحح هذا قول الحسين ، نى قوله تعالى : بعد هذا : وكان أمر الله ضمولا - أى :

عنها الابن . وقوله : وكان أمر الله ضمولا ، معناه : وكان تزويج التبت ، صلى الله
عليه وآله وسلم ، يهرب بنت جش كاتلا لا محالة . يقول : نى قول الله تعالى
ما كان على التبت من حرج نى ما فرض الله له . أى : لم يكن عليه اثم نى ما قدره
الله أن يتزوج يهرب بنت جش ، التى كانت زوجة زيد ، الذى كان معها له .
(١) ألفاظا بتمتص حقوق الصطفى . الطبعة الاولى . القاهرة ١٣٢٢ هـ . ص ٢٦٧

(٢) ٢٧٦ هـ .
(٣) نى كثر العلوم واللغة لمحمد محمد . وجدى أنه توفى سنة ٤٤٠ هـ . وهناك رواية أخرى أنها
سنة ٥٥٤ هـ .

لا بد لك أن تتزوجها . يوضح هذا أن الله لم يبد من أمره معها غير زواجه لها ، فدل أنه الذي أغواء ، ما أعلمه الله به ، وقوله ، تعالى ، في القصة : ما كان على النبي من حرج . الآية - فدل أنه لم يكن حرج في الأمر . وقال الطبري : ما كان الله ليومئذ نبيه فيها أحل له ، مثال فعله لمن قبله من الرسل . قال الله ، تعالى : سنة الله في الذين خلوا من قبل ، أي من النبيين فيما أحل لهم . ولو كان على ما روى ، في حديث قتادة ، من وقوعها في قلب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عندما أعجبته ، ومحبته ، طلاق زيد لها ، لكان فيه أعظم الحرج ، وما لا يليق به من مد عينه إلى ما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا ^(١) . وكان هذا من الحسد الذموم الذي لا يرضاء ولا يتم به الأنبياء ، فكيف بسيد الأنبياء ؟ قال القسيري : وهذا اقدام عظيم من قائله ، وقلة معرفة بحق النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وفضله . وكيف يقال : وأها فأعجبته ، وهي بنتعت ، ولم يزل يراها منذ ولدت ، ولا كان النساء يحتجبن منه ، وهو زوجها لزيد ؟ وإنما جعل الله طلاق زيد لها ، وتزويج النبي إياها ، لازالة حرية التني وبطلان سنته ، كما قال ، تعالى ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ، وقال : لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم - ونحوه لابن نورك . وقال أبو الليث السمرقندي : فان قيل : فما فائدة أمر النبي زيدا بإسكانها ؟ - فهو أن الله ، تعالى ، أعلم نبيه أنها زوجته ، فنهاه عن طلاقها ، إذ لم يكن بينهما ألفة ، وأغنى في نفسه ما أعلمه الله به ، فلما طلقها زيد خشي قول الناس : يترج امرأة ابنه ، فأمره بزواجها ليأخ ذلك لأمته ، كما قال ، تعالى : لكيلا . يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم .

والقاضي عياض ، مع ذلك ، يذكر بعد ما تقدم ماعرة أنه " قد قيل : كان أمره ليند بإسكانها ، قسماً للشبهة ، وردا للنفس عن هواها . وهذا - إن جازنا عليه أنه وأها فجأة ، واستحسنها - ومثل هذا لا تكرهه ، لما طبع عليه ابن آدم - استحسانه الحسن . ونظرة الفجأة محفوضها ، ثم قبح نفسه عنها ، وأمر زيدا بإسكانها . وإنما تترك تلك التهادات التي في القصة " . وهكذا نظر القاضي عياض بما ينكر وما لا ينكر ، والتفت عما يصح مشتقا مع الآية وما لا يصح لا اختلافه عن معناها : غير أنه سوطان ما يمسود ليقول ماعرة : " والتجمل ، والأولى ما ذكرناه عن علي بن حسين ، وحكاية السمرقندي وهو قول ابن عطاء ، واستحسنه القاضي القسيري ، وعليه عوّل أبو بكر بن نورك ، وقال :

(١) الآية في سورة طه ٢٠ : ١٣١ " ولا تدنّ عنكم إلى ما تمنّا به أزواجاً منهم ، زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم ففسه ، ويزقّ مك غير وأيقى " .

انه معنى ذلك عند المحققين من أهل التفسير قال : والنبي صلى الله عليه وسلم ،
 منزوع عن استعمال النفاق في ذلك ، واطهار خلاف ما في نفسه ، وقد نزهه الله عن ذلك
 بقوله تعالى : ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له . قال : ومن ظن ذلك بالنبي ،
 صلى الله عليه وسلم ، فقد أخطأ . قال : وليس معنى الخشية هنا : الخسوف ،
 وإنما معناه : الاحتشام ، أى يستحي منهم أن يقولوا : تزوج زوجة ابنه : وأن خشية
 صلى الله عليه وسلم ، من الناس كانت من أرجاف المنافقين واليهود ، وتشغيبيهم على المسلمين
 بقولهم : تزوج زوجة ابنه ، مبعذ نبيه عن تكاح حلال الأبناء . كما كان نعمته الله
 على هذا ، ونزهه عن اللغات الهميمة أحله له ، كما عتبه على امرأة رضى أزواجه ، نسي
 سورة التحريم ، بقوله : لِمَ تَحَرَّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ . الآية . كذلك قوله له ها هنا :
 وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه . وقد روى عن الحسن وعائشة : لو كنتم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، شيئا لكنتم هذه الآية ، لما فيها من عبه وأبداء ، ما أغشاه . *

وفى اتجاه الصحيح يحى غير متروك ابن العربي ^(١) (المختصر سنة ٤٣٠ هـ حجة
 أى قبل انقضاء عياضه لكه كتب فى الموضوع بعده ، كما سئرى هنا) الذى يذكر
 " أن أحدا لا ينهى أن يذكر نبيها إلا بما ذكره الله ، لا يزيد عليه " ويقول ان أخبار
 الأنبياء " مبررة ، وأحد يشتم عقوبة بنيادات تولها أحد رجلين : إما غي عن قداهم ،
 وإما يدعى لا أى له فى برهم وقارهم ، نهى عن تحت القات الطلاق الدواهي ، ولا يراعى
 الأدلة ولا النهاي " . ثم يقول : " فهذا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ما عسى قطعه ،
 لا فى حال الجاهلية ولا بعدها " . ثم ينتقل الى ما جاء فى الموضوع من الروايات السابقة
 ذكرها ، فيقول : " وهذه الروايات كلها ساقطة الأسانيد ، انما الصحيح منها ما روى عن
 عائشة أنها قالت : لو كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كاتما من الرحي شيئا
 لكنتم هذه الآية : وإن تقول للذى أنعم الله عليه - يعنى : بالاسلام - وأنعمت عليه -
 يعنى : بالمعق ، فأعفته : أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخشى فى نفسك ما الله
 يديه ، وتخشى الناس ، والله أحق أن تخشاه . . . الى قوله : - وكان أمر الله خفوا
 وإن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لما تزوجها قالوا : تزوج حليلة ابنه ، فأنزل الله
 تعالى : ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين . . .

وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، تقياً وهو صغير ، فليكن حتى سار رجلاً
 يقال له : نهى بن محمد ، فأنزل الله ، تعالى : ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله .

فان لم تعلموا آباءهم فأخواتكم في الدين وبأئبكم . قال القاضي : وما وراء هذه الرواية غير معتبر . فأما قولهم : ان النبي صلى الله عليه وسلم وأهله نكحتني قلبه فباطل . فانه كان معها في كل وقت وموضع ولم يكن حينئذ حجاب . فكيف تنكح بمعه شيئاً معها . ولحظها في كل ساعة . ولا تقع في قلبه الا اذا كان لها زوج . وقد وهبته نفسها وكرهت غيره . فلم تخطر بهاله . فكيف يتجدد له هوى لم يكن ؟ حاشا لذلك القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة . وقد قال الله له : ولا تدن عنيك الى ما تمنعنا به أزواجنا منهم وزهرة الحياة الدنيا لفتنهم فيه . والنساء أفتن الزهراء وأنفسهم الهاشميين . يخالف هذا في المطلقات . نكحتني المتكوتات السحرات ؟ - وانما كان الحديث أنها لما استقرت عند زيد . جاءه . جهل ان نكح زوجته . ولم يكن بأس من ان جاءه . بهتوا منها . فقال له : اتق الله . وأسك عليك زوجك . فأبى زيد الا الفراق . وطلقها . وانقضت عدتها . وخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم . على يدى مولاة زوجها . وأنزل الله القرآن المذكور فيه خبرها . هذه الآيات التي تلونها وخسوها . فقاسال : وذكره . يا محمد . ان تقول للذي أنتم الله عليه . وأنصت عليه : أسك عليك زوجك واتق الله . في فراقها . وتحنى في نفسك ما الله جديده . - يحنى : من تكاحل لها . وهو الذي أبداء . لا سواء . وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم . أن الله تعالى ينهى عن أوصى اليه أنها زوجته . لا يد من وجود هذا الخبر وظهوره . لأن الذي يخبر الله فيه أنه كائن لا بد أن يكون . لو جوب صدقه في خبره . هذا يد لك على براءته من كل ما ذكره من صور من الحسن (١) .

وقول الطبرسي (٢) المتوفى سنة ٤٢٨ هـ حجة . بعد إيراد الرواية التي تضمنت إعجاب النبي بنكاحه : " والذي أخفاه في نفسه هو أنه ان طلقها زيد تزوجها . ويحسب لامة الناس أن يقولوا : أمره بطلاقها ثم تزوجها " ثم يتجه الى التصحيح فيقول : " وقيل : الذي أخفاه في نفسه . هو أن الله سبحانه . أعلمه أنها ستكون من أزواجه . وأن زيدا سيطلقها . فلما جاء زيد . وقال له : أهد أن أطلق نكاحك . قال له :

(١) والطيف الجمد في الأغواب أن ابن العربي يعود بعد ذلك (ص ١٥٥١) فيقول : ولو نقلا . ما يعد من أكبر غيبة تفتى على الرسول صلى الله عليه وسلم . ذلك أنه بعد من بين ما يحس الله به رسوله : " اذا وقع بصره على امرأة وجب على زوجها طلاقها وحل له نكاحها . قال القاضي : هكذا قال امام الحرمين . - وقد بينا الأمر في قصة زيد بين طارئة كيف وقع . " والمجيب أن هذا القول سيكرره القزطبي (١٤ : ٢١٢) والسألة تجد تهورها . - صبح الأسف . - من وجهة نظر خاطئة بكل المعايير . نعم . انبها هي ظن البعض ان الله في التنديد الدقيق الذي فرضه على النبي لا يمكن أن يكون قد أراد أن يضييق عليه ما وسع غيره من الأنبياء أو سائر الناس من أمور الزواج .

أَسْك عليك زوجك • فقال • سبطانه : لِمَ قُلْتَ : أَسْك عليك زوجك • وقد أعلمتك أنها
ستكون من أزواجك ؟ روى ذلك عن علي بن الحسين عليه السلام • وهذا التأويل مطابق لتلاوة
الآية • وذلك أنه • سبطانه • أعلم أنه يُدعى ما أخفاء • ولم يُظهر غير التزوج • فقال :
زوجناكِ • فلو كان الذي أضمره محبتها • أو إرادة طلاقها • لأظهر الله ذلك •
مع هذه بأنه يُدعى • فدل ذلك على أنها عوتب على قوله : أسْك عليك زوجك • مع علمه
بأنها ستكون زوجته • وكتمان ما أعلمه الله به • حيث استحيا أن يقول لزيد : ان التمس
تحتك ستكون امرأتى • ثم ينقل • مع ذلك • رواية البخاري أنه " يجوز أن يكون أَيْضاً
على ما يقوله : ان انسى استحسنتها • فتعنى أن يفارقها زيد فيتزوجها وتكون ذلك •
لأن هذا التمس قد طبع عليه البصر • ولا حرج على أحد من أن يتعنى شيئاً استحسنته "
ليعود فيقول : " وقيل : انه انما أضمر أن يتزوجها • ان طلقها زيد • من حيث أنها
كانت ابنة عمته • فأراد ضمها الى نفسه • لتلا يصيبها ضيعة • كما يفعل الرجل بأقاربه •
عن الجاهلي قال : فأخبر الله • سبطانه • الناس بما كان يضره • من يكثر ضمها الى نفسه •
ليكون ظاهره مطابقاً لماطنه • ولهذا المعنى قال • صلى الله عليه وآله وسلم •
إن الأنبياء لا تكون لهم خاتنة أمين • • • • • وقيل : كان النبي • صلى الله عليه وآله
وسلم • يريد أن يتزوج بها • اذا فارقها • ولكنه عزم أن لا يتزوجها مخافة أن يطعنوا
عليه • فأنزل الله هذه الآية • كيلا يمتنع من فعل المباح • خفية الناس • ولم يرد بقوله :
والله أحق أن تخفاء : خفية القوى • لأنه • صلى الله عليه وآله وسلم • كان يتقى الله
حق عاقته • يخفاه فيما يجب أن يخفى فيه • ولكنه أراد خفية الاستحيا • • لأن الجاهل
كان غالباً على غيبته الكريمة • صلى الله عليه وآله وسلم • كما قال سبطانه : ان ذلك كان
يؤذي النبي فيستحي منك • • • • • وقيل : ان زيدا كانت هرة • فزوجها رسول الله • صلى
الله عليه وآله وسلم • من زيد مولا • ولحقها بذلك بعض الممار • فأواد • صلى الله
عليه وآله وسلم • أن يهداها شيئاً بأن يتزوجها • لأنه كان السبب في تزوجها من زيدا •
نعمز أن يتزوج بها • اذا فارقها • وقيل : ان العرب كانوا يزوجون الأعداء منزلة
الأبناء في الحكم • فأراد • صلى الله عليه وآله وسلم • أن يبطل ذلك بالكلية • وينسخ سنة
الجاهلية • فكان يخفى في نفسه تزوجها لهذا الغرض كيلا يقول الناس • انه تزوج
امراً ابنه • وهو تزوجه بما هو منزله • ولهذا قال : أسْك عليك زوجك • من أبي مسلم •
وشهد لهذا التأويل قوله فيما بعد : فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكِ لكيلا يكون
على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً • • • • • ومعناه : فلما قضى زيد
حاجته من نكاحها • نطقها • وانقضت عدتها • ولم يكن في قلبه ميل اليها •

ولا وحشة من فراقها . فان معنى القضاء هو الفراغ من الشيء على التمام ، وزوجنا كها ، أى : أدنا لك فى تزويجها . وأما فعلنا ذلك توصية على المؤمنين حتى لا يكون عليهم اثم فى أن يتزوجوا أزواج أديانهم الذين تنهونهم ، اذا قضى الأديان منهم حاجتهم ومارفهم ، فهين ، وبطلانه ، أن الفرض فى ذلك ، أن لا يجرى التهنى فى تزويج أمواته ، اذا طلقها ، على المتهنى ، مجرى الامن فى النسب والرضاع ، فى تزويج أمواته ، اذا طلقها ، على الأب . وكان أمر الله معمولاً : أى كافتا لا مخالفة . وفى الحديث أن ريثب كانت تخرج على نساء النبي وتقول : زوجنى الله من النبي ، وأنتن إنما زوجكن أولياؤكن .

يأتى نضر الدين الرازى (١) المتوفى سنة ٦٠٦ هجيرة ، فيعرض شرح الآيات يقتضيا ، على خلاف عادته ، ولا يذكر أقوال غيره فيها ، ولكنه ، على أية حال يتجسس الاجتهاد الصحيح ، فيقول : ان فى الآية : اشارة الى أن التزويج من النبي ، عليه السلام لم يكن لقضاء شهوة النبي ، عليه السلام ، بل لبیان الصحة بفعله ، فان الشرع يستفاد من فعل النبي . " هو كذا هذا مأوا " فيقول : " ثم بين أن تزويجه عليه السلام ، بهما ، مع أنه كان ميتا لضرع ، مقتبل على فائدة ، كان خاليا من الفاسد . " .

يأتى أبوحيان (٢) المتوفى سنة ٧٤٥ هجيرة ، فيأخذ الموقف الصحيح بحزم ، ويرد بطلا غيره ، وذلك اذ يقول : " قال على بن الحسين : كان قد أوحى الله اليه أن يهدا سيطلقها ، وأنه يتزوجها بتزويج الله اياها ، فلما شكك يهد خلقها ، وأنها لا تطيعه ، وأعلمه بأنه يهد طلاقها ، قال له : أسكت عليك زوجك واتق الله على طهوق الأدب والوصية ، وهو يعلم أنه سيطلقها . وهذا هو الذى أخفى فى نفسه ، ولم يود أنه يأمره بالطلاق ، وليأعلم من أنه سيطلقها ، وخشى رسول الله أن يلحقه قول من الناس فى أن يتزوج يهد بحد يهد ، وهو مولا ، وقد أمره بطلاقها ، فعلمته الله على هذا القدر ، فى شيء قد أباحه الله ، قال : أسكت - مع علمه أن يطلق ، فأعلمه أن الله أحق بالخشية فى كل حال .

وهذا المروى عن على بن الحسين ، هو الذى عليه أهل التحقيق من الفسنيين كالزهري وكرين العلا ، والقشيري والقاضي أبى بكر بن العمري وغيرهم ، والمراد بقوله : وتخفى الناس ، إنما هو ارجاف المنافقين فى تزويج نساء الأبناء . والنبي ، صلى الله عليه وسلم ،

(١) "خاتيج الغيب" ٦ : ٥٨٠ - ٥٨٢ .

(٢) "البصير المصطف" ٢ : ٢٣٢ - ٢٣٧ وفى هامشه "النهر الطام من البحر" لأبى حيان نفسه ، وفيه الاتية الصحيح وخاصة ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

معصوم في حركاته وسكناته • ولبعض الفسرين كلام في الآية يقتضي النقص من منصب النبوة • ومنها عنه صفحا *

وسير في الطريق نفسه ابن كثير^(١) المتوفى سنة ٧٢٤ هجرية • حيث يقول :
ان النبي زوج زيدا بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية • * قال مقاتل ابن حيان :
لمكنت عنه قريبا من سنة أو فوقها • ثم وقع بهنبط • فجاء زيد يشكوها الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم • فجعل رسول الله • صلى الله عليه وسلم • يقول لــــه :
أسسك عليك زوجك واثق الله • قال الله • تعالى : وتخي في نفسك ما الله مبديـه
وتخي الناس والله أحق أن تخشاه • ذكر ابن جرير • وابن أبي حاتم • ما هنا •
أخارا عن بعض السلف • رضى الله عنهم • أحيانا أن نضرب عنها صفحا فلا نوردها • • •
وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق • حدثنا ابن عينية • عن علي بن
زيد بن جدهان • قال : سألت علي بن الحسين • في قوله : وتخي في نفسك
ما الله مبديـه • فذكرت له • فقال : لا • ولكن الله أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل
أن يتزوجها • فلما أظـهـر زيد يشكوها اليه • قال : اثنى الله وأسسك عليك زوجك • فقال :
قد أخبرتك أنك تزوجها • وتخي في نفسك ما الله مبديـه • وهكذا روى عن السدي
أنه قال نحو ذلك • *

ونستطيع الاستمرار طويلا في عرض نماذج من هذا الاتجاه في تحصيل الروايات
وأخذ أحقاها بالقبول • ووض أبعادها أن تكون غسيرا لما هي مناقضة له • وحسبنا بحسب
ما تقدم أن نحصل الى القرطبي^(٢) • والذي مات في القرن السابع الهجري • والآراء الصَّحَّحِ

(١) ضمير القرآن العظيم • المجلد السادس • ص ٤١٩ – ٤٢٦ •

(٢) القرطبي • الجامع لأحكام القرآن ١٤ : ١٨٨ – ١٩٢ يقول : * اختلف الناس في
أهل هذه الآية • وحد أن يأتي برواية الاتجاه الذي تزعمه الطبري • على ما تقدم •
يأتي بما روى عن علي بن الحسين • في الاتجاه الذي يتفق مع الآية • ثم فيه قال :
” وهذا القول أحسن ما قيل في أهل هذه الآية • وهو الذي عليه أهل التحقيق
من الفسرين والعلماء الراغبين • كالزهرى • والقاضي بكر بن العلاء القفيري • والقاضي
أبي بكر بن العربي • وغيرهم • والبراد يقره • تعالى : وتخي الناس انما هو ارجاف
الضائقين بأنه تهى عن تزوج نساء الأبناء • وتزوج بنات جوارينه • فأما ما روى أن النبي • صلى
الله عليه وسلم • هو زينب امرأة زيد • وعطاء بن يحيى الجبان لفظ عشق • فهذا
إثما يحدرو عن جاهل بمصمة النبي • صلى الله عليه وسلم • عن مثل هذا • أو مستخفي
بحرته • قال الترمذي الحكيم • في نزود الأصول - - • وأخذ الى علي بن الحسين قوله :
فعلى بن الحسين جاء بهذا من خزنة العلم جوهرا من الجواهر • وقد رآ من الدرر : أنه انما
عقب الله عليه في أنه قد أعلمه أن ستكون من أزواجه • فكيف قال • بعد ذلك • لزيد : أسسك
عليك زوجك وأخذته خيمة الناس • أن يقولوا : تزوج امرأة ابنه • والله أحق أن تخشاه • • • *

لديه • ثم إلى الأولى^(١) الذي ط سنة ٢٧٠ هجيرة • وغيرها كثير •

(١) روح المعاني ٢٢ : ٢٢ - ٢٦ حيث يقول في : " وتغنى في نفسك يا الله
 جديده " : " عطف على " تقول " وجوزت الطالبة بتقدير : وأنت تغنى • وأبدت فيه •
 كما هو ظاهر كلام الزمخشري • في مواضع من كتابه • والمراد بالوصول - على ما أخسج
 الحكيم الترمذى • وغيره • عن علي بن الحسين • رضي الله تعالى عنهم •
 ما أوحى الله تعالى • به إليه : أن تهب سيطقتها زيد وتزوجها بعد • عليه الصلاة
 والسلام وإلى هذا ذهب أهل التحقيق من الفسطين كالزهري ويكره من العلأ والقشيري
 والقاضي أبي بكر بن العمى وغيرهم • وتغنى الناس : تخلف من اعتراضهم • وقيل :
 تستحي من قولهم إن محمدا • صلى الله تعالى عليه وسلم • تزوج زوجة ابنه • والمراد
 بالناس : الجنس والخائفون • وهذا عطف على ما تقدم • أو حل • وقوله : والله
 أحق أن تخشاه • في موضع الحل لا غير • والمعنى : والله تعالى • وحده • أحق
 أن تخشاه في كل أمر • فتمحل ما أباحه • سبحانه • لك • وأذن لك فيه • والعتاب
 عند من سمعت • على قوله • عليه الصلاة والسلام • ذلك • مع علمه بأنه سيطقتها وتزوجها
 هو • صلى الله تعالى عليه وسلم • بعده • وهو عتاب على ترك الأولى • وكان الأولى •
 في مثل ذلك • أن يصمت عليه الصلاة والسلام • أو يفوض الأمر إلى أي زيد • رضي الله
 تعالى عنه •

وأخرج جماعة • عن قتادة • أنه • صلى الله تعالى عليه وسلم • كان يخفى
 إرادة طلاقها • وتغنى قالة الناس • أن أمره بطلاقها : وأنه • عليه الصلاة والسلام •
 قال له : أسك عليك زوجك وأق الله - وهو يحب طلاقها • والعتاب عليه • على اظهر •
 ما يناقض الاضمار • وقد رد ذلك القاضي عياض • وذكر بعضهم أن إرادته • صلى الله
 تعالى عليه وسلم • طلاقها وجبته إياه • كان مجرد خطوره بباله الشريف • بعد العلم
 بأنه يريد خارتها • وليس هناك حصد منه • عليه الصلاة والسلام • وطاعة • له
 عليها • فلا محذور • والأسلم ما ذكرناه عن زين العابدين • رضي الله تعالى عنه •
 والجمهور • وحصل العتاب : لم قلت : أسك عليك زوجك • وقد أعلمت أنها ستكون من أزواجك ؟
 وهو مطابق للتلاوة • لأن الله تعالى • أعلم أنه جدي ما أخفاء • عليه الصلاة والسلام • ولم
 يظهر غير تزوجها منه • فقال • سبحانه : زوجناكها • فلو كان الضم محتملا وإرادة طلاقها •
 ضحو ذلك • لأظهره • جل وهلا • وللقصاص في هذه القصة • كلام لا ينبغي أن يجعل في حيز القبول

وقد تعمدا الاطالة في عرض الآراء المختلفة في قصة زينب هذه ، وحررنا
على اظهار أهمية الترتيب التاريخي في تناول الأحداث ، وفيه النصوص ، وسنأمر
الانسلاخ من تحرى معنى الآيات في لفظها الصحيح ، سعيًا وراء أنوال في كتب ،
أو مناصبات ، أخرى ، بوزن أنها لموصحت في ذاتها - وأكثرها غير ثابت بمعيار
الموضوعية - لما جاز قرصها على نصوص هي بواضع صيغتها تأباها . وفي ان نتاول
جانبا آخر من جوانب هذا الموضوع حقيقا ، من المسلمين ومن غير المسلمين ،
بمنايئة خاصة ، حتى يكون البحث عن الحقيقة يعزّل عن الرغبة في التزييف تحسّينا
أو تقيحا . فيكون نصارى الباحث أن يقول في فهم نص تاريخي ما إنه في ذاته ،
يقول ما تمنحه الفاظه وفق استعمالها المألوفة في زمنه . وإن أراد أن يضيف ما لا يخلص
له من النص ، فعليه أن يتحرى ما تحراه في النص نفسه من معيار الصحة التاريخية .
هذا اذا كانت الاضافة تستقيم مع معنى ذلك النص . أما اذا جاء - كحالتنا هذه -
بنص من كتاب لا يشك المسلمون ولا غيرهم ، شكّا جادا ، في تاريخيته ، وأراد ، أو
أرشد له ، أو حمله الهوى على أن يفرض عليه ، بنصوص أخرى ، معنّى لا يستقيم
نقيا مع معناه ، اذا فعل هذا فعليه أن يثبت أن النصوص الأخرى هذه ، من حيث
التاريخية ، على الأقل ، في مستوى النص الأول ، وأنها من حيث الصدق ، في ذاتها ،
أنوى من ذلك النص ، ومن ثم يفرض معناها على معناه ، والمسلم ، متى صح اسلامه ،
لا يتأتى له أن يضع في محتوى القرآن نعا آخر ، لأنه بذلك يخرج عن أن يكون مؤمنا
بأنسه كلام الله الذي لا يرتى اليه شك ولا يسمو الى منزلته كلام ، أيا كان صاحب هذا
الكلام . وفيه المسلم عليه أن يتحرى في غير القرآن اثبات أن ما يدعيه - حين يريد
أن يفهم منه شيئا لا يجده في صريح آياته ولا يحتمله ما قد يفهم عليه منها - انما هو
من حيث الصدق التاريخي الثابت أجدر قبولاً لديه من الآيات . أما ان يأتي بكلام
غير مستقيم ولا مسلم الصحة التاريخية ، بمعياره هو ، ليشوه به استقامة الآيات ، ويزوج معناها ،
اخذادا على أن مُسلماً قد قاله أو كتبه ، وهو لا يقبل هذا القول من ذلك المسلم ولا من
غيره عند التحقيق له فرضا آخر غير الموضوعية ، هو الطعن في الاسلام وتزييف الاسلام ، وكل
ما له حرمة في نظر أهل الاسلام .

والجانب الآخر الذي هناه هنا هو جانب عرض بعض المستشرقين ^(١) لمسألة

(١) كتب في هذا الموضوع الدكتور محمد حسين هيكل في حياة محمد ، فقال : " أما
قصة زينب بنت جحش ، وما أضفى بعض الرواة ، وأضفى المستشرقون والمبشرون
عليها من أسرار الخيال حتى جعلوها قصة غرام وثقوب ، فالتاريخ الصحيح يحكم بأنها "

زواج النبي زينب بنت جحش : وسختار نموذجين أحدهما ظلت عليه الصليبية

من مفاخر محمد ، وأنه ، وهو المثل الكامل للإيمان ، قد طبق فيها حد يشهد
الذي معناه : لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وقد جعل
نفسه أول من يصوب المثل لما يصع من تشريع يحويه تقاليد الجاهلية وعاداتها
ويُؤثر النظام الجديد الذي أنزل الله هدى ورحمة للعالمين . ثم انتبه إلى
أن تكرار المستشرقين والمبشرين للأفكار غير الصحيحة في هذه المسألة يرد السي
" شهوة التشهير المكشوف تارة ، والتشهير باسم المعلم أخرى ، والخصومة القديمة
للإسلام خصومة تأصلت في النفوس منذ الحروب الصليبية ، التي تلى على هولا
جميعا ما يكتبون ، وتجعلهم في أمر زواج النبي ، وفي أمر زواجه من زينب بنت
جحش خاصة ، يتجشون على التاريخ ، ويتلمسون أضعف الروايات فيه ما دس عليه
ونسب إليه . ولكن الدكتورة عائشة عبد الرحمن (نساء النبي ، ١٦٦ - ١٧٠) تكفي
بما جاء بتاريخ الطبري وكتب السيرة وطبقات الصحابة ، وتضيف إليها ما استكبره
غيرها ، قبل الحروب الصليبية بعدها ، من كلام الزخسري ، وتقول : " ولست
أدري ما الذي أنكره الدكتور هيكل منها حتى اندفع يردّها إلى مختبرات المستشرقين
والمبشرين ؟ " ثم تقول : " وفي الحق أن القصة في جوهرها لم تكن قط قصة
غرام هولا ، وآيات القرآن فيها تشهد بأن المصطفى ، عليه الصلاة والسلام ، خرج
من هذا الزواج ، خشيّة أن يقول الناس : تزوج من كانت زوجا لابنه . ولكن
المرويات الإسلامية في السيرة من العصر الذي رفعته الريح ، وانصراف المصطفى عن
بيت زید ، وهو يقول : سبحان الله مقلب القلوب ، قد كتبت قبل أن تسمع الدنيا
بالحروب الصليبية ، بأقلام نفر من مؤرخي الإسلام ورواة السيرة ، لا يرقى إليهم
اتهم بعداء النبي ، عليه الصلاة والسلام ، والدس على الإسلام . " ثم تنتهي
إلى قولها : " فان يكن من المستشرقين والمبشرين من تعلقوا بهذا التأويل مثله ،
فليس يجدى أن تنتهم بافتراءه ونسجه من الخيال بعد الحروب الصليبية .
بل الأولى أن يقال : انهم أخذوا ما أخذوا من المرويات الإسلامية في تأويل
آيات الأحزاب ، بمعزل عن سياقها في موضع التنبئ الذي هو جوهر القضية
وسائط التشريح " .

والحق أن الدكتور هيكل قال ما ظننت الدكتورة عائشة أنه لم يقل (فهو
ما أنكر أن " المرويات الإسلامية " قد كتبت قبل الحروب الصليبية ، بل قال : أما قصة
زينب بنت جحش وما أضفى بعض الرواة ، وأغنى المستشرقين والمبشرين ، عليهم
من أستار الخيال " ولكنه أنكر أولا على " بعض الرواة " ما أنكره عليهم قبل الحروب
الصليبية الرواة الآخرون - الذين أتينا بقولهم فيما تقدم - وينكره عليهم لفسط
القرآن هو نفسه الذي عتب على النبي أن يخفى ما الله بيديه ثم أبدى أن الله
هو - لا النبي - المزوجه إياها " لكي لا يكون على المؤمنين حرج " . والدكتورة
عائشة حقيقة أن تعرف أن الرواة ، وإن كانوا " لا يرقى إليهم اتهام بعداء النبي " .
عرضة أن يرقى إلى كلامهم الشك في الصحة ، وأن يدخل فيه من الأسرائيليات
ما يحتاج إلى نفي بعد التخصيص ، فهم غير معصومين ، لأنهم يشر فقط ، ولهم
مثل النبي الذي كان " بشرا رسولاً " لأن البشر الرسول تعصمه الرسالة من أن يكون
بشرا فقط ، وتجعله أنقى الناس من شهوات البشر ، وأبعد هم عن أن ينظر نظيرة -

والآخر فيه كثير من الإيجابية: (١) موريس جودفروا - ديموبين الذي يقول ، في كتابه الكبير " محمد " الصادر سنة ١٩٥٢ (٢) : ليست ثمة ما يدھر في اكتشاف أن لغالب زيجات النبي سببا سياسيا أو احتراما لعرف . ولكنه ، في الحال ، يرى أن هناك نجما طبيعيا من التقوى ، ومن السياسة ، ومن الشفيع بالملاذ (٣) في هذه الزيجات)

والذي يهمنا هنا أنه يقول ، عن زواج النبي بزینب بنت جحش : انهم " قصة هوى " اهتم بها القرآن كثيرا . ويدعي أن الرواية تؤكد أن محمدا لم يكن يعسرف مطلقا بنت خالته (٤) هذه ، ومنذ زواج زيد بها لم تواته قط فرصة مقابلتها

• اعتبا • لاحد النعا • أو يلا عنه من زوجة غيره اذا رفعت الريح مستوره • والدكتورة عائشة نعمت في كتابها ، أكثر من مرة ، أن الله اذ خير زوجات النبي ، بين الحياة الدنيا وزينتها وبين الآخرة فاخترن الآخرة ، قد أصبحن • وهن بشر غير رسول ، في مستوى أعلى من المستوى الذي دس علي " نفر من مؤرخي الاسلام " فأجازوا أن يتصورن في حق " البشر الرسول " الذي شغيل عن الشهوات بعظيمات الأمور والامتنع في التفكير فيها حتى قبل أن يمسه الوحي من شهوات البشر غير الرسول •

وعلى أية حال ، فانا نرجو أن يكون في المثال الحديث (بعد أن كتسب الدكتور هيكل) الذي سيأتي حالا لأحد المستشرقين ، ما يدل الدكتور على أن الدكتور هيكل كان مصيا في الإنكار على هؤلاء أنهم يتركون وسائل التحجير عمدا كلما جدوا فرصة للنيل من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم)

(١) MAURICE GAUDEFRUY-DEMOMBYNES, " MAHOMET ", PARIS, 1957.

(٢) " ON A MU ET ON REVERRA L'ASSEMBLAGE NATUREL DE LA PIÉTÉ, DE LA POLITIQUE ET DE LA SENSUALITÉ. "

وهو يأتي بعد هذا جائرة بكيرة لا يغفر لأحد ادعاؤها الباطل ، فيقول :

" LE PROPHÈTE PREND LE LIT DE AÏCHA POUR QÛBLA DE SA PRIÈRE . "

(٣) " FILLÉ DE SA TANTE MATERNELLE " • ٢١٥ •

وهو كذلك يخلص ، ص ٢٢٠ بين زينب بنت جحش وأم أسامة بن زيد فيظن أنها أمه ، مع أنها تزوجت من أبيه وأمامه رجس • ثم يرتب على هذا أن النبي كان يحب أسامة حبا عظيما ، استجابة لسلطات أمه زينب عليه

حتى كان ذات يوم ، في ثقبه زيدا بمنزله ، أن تحدث إليها ، وكان يفصل بينهما ستار عشت به الريح فحدث لعنينة المنيعة في شعار جذاب . ثم انحسب . لكن الزوج الذي شك في الحادثة ذهب الى أبيه بالتبني ليعلمه أنه يريد طلاق امرأته ، دون أن يكون لديه ، مع ذلك ، أى تشرب عليها . ولكن محمداء معنينا باخاء هواء ، طلب اليه ألا يفعل ، فبر أنه ، بلا شك ، قد انتشرت الاشاعة عن مقاصد النهى الحرة . وأخذ اليهود والمنافقين يشتمون كما تقول الرواية . ذلك أن للتبني الحقوق والواجبات نفسها التي للبنوة الطبيعية ، فلا يُتَزَوَّجُ البتة بامرأة الابن . فمن الضروري إذن أن يتدخل الوحي ^(١) ، وأن يُعْطَلَ التبني ، وأن يُقَرَّ طلاق زنب ، وأن يُقَلَّى بها في أحضان النهى ^(٢) .

(١) يقول مرة أخرى ، ص ٢٢٦ :
 "MÊME UN COUP DE PASSION COMME CELUI DU MARIAGE
 AVEC ZAÏNAB LUI EST VENU D'UN DESSEIN D'ALLAH."

ثم يضيف أن محمدا لم يكن رجل نظريات بل كان رجل عمل .

ومرد ثالثة فيقول : ان محمدا كان محتاجا للوحي لتهدئة ضميره
 بعد زواجه من زنب :

"MOHAMMED A BESOIN QUE LA RÉVÉLATION APAIS SA
 CONSCIENCE APRÈS SON MARIAGE AVEC ZAÏNAB."

(٢) يقول ، ص ٢٢٥ :
 "LA TRADITION AFFIRME QUE MOHAMMED NE CONNAISSAIT POINT CETTE FILLE
 DE SA TANTE MATERNELLE ET QUE, DEPUIS SON MARIAGE AVEC ZAÏD,
 IL N'AVAIT JAMAIS EU L'OCCASION DE LA RENCONTRER. UN JOUR, NE
 TROUVANT POINT ZAÏD AU LOGIS, IL S'ENTRETINT AVEC ZAÏNAB QU'UNE
 TENTURE SÉPARAIT DE LUI; UN SOUFFLE DE VENT SOULÈVE LE RIDEAU, ET
 ELLE APPARAÎT A SES YEUX ÉMERVEILLÉS EN UN DÉSHABILLÉ AFFRÉOLANT.
 IL SE RETIRE, MAIS LE MARI, QUI SOUPÇONNE L'INCIDENT, VIENT ANNONCER
 À SON PÈRE ADOPTIF QU'IL A L'INTENTION DE RÉPUDIER SA FEMME.
 SANS AVOIR, DU RESTE, AUCUN REPROCHE À LUI FAIRE. MOHAMMED, METTANT
 UN SOIN JALOUX À CACHER SA PASSION, LUI RECOMMANDE DE N'EN RIEN
 FAIRE. MAIS SANS DOUTE, LE BRUIT SE RÉPAND DES DESSEINS SECRETS DU
 PROPHÈTE; LES JUIFS ET LES FAUX CROYANTS CLABAUDENT, NOUS DIT
 LA TRADITION; CAR L'ADOPTION CRÉE LES MÊMES DROITS ET LES MÊMES
 DEVOIRS QUE LA FILIATION LÉGITIME: ON N'ÉPOUSE POINT LA FEMME
 DE SON FRS. IL EST NÉCESSAIRE QUE LA RÉVÉLATION INTERVIENNE,
 QU'ELLE ABOLISSE L'ADOPTION, QU'ELLE APPROUVE LA RÉPUDIATION
 DE ZAÏNAB ET QU'ELLE JETTE DANS LES BRAS DU
 PROPHÈTE."

والمثال الثاني هو ما كتب وليام منتوجرى "وَأَتَّ بِعَنْوَانِ " محمد في الدينونة " (١) وقد نشر بالانجليزية في لندن سنة ١٩٥٦ وترجم الى الفرنسية ونشر بهاريس سنة ١٩٥٩ في منشورات PAYOT ، والاشارة هنا الى تلك الترجمة (٢) . يقول الأستاذ "وَأَتَّ" وهو أستاذ اللغة العربية بجامعة الينهورج . EDIMBOURG ، في شأن تحرير التتبي ما يحدّ دأ على المثال السابق نقله لدى الأستاذ مورييس جودفروا - ديموبين . ذلك أنه يقول (٣) : إنه غالبا ما يذكّر أن اباحة زواج الزوجة السابقة لابن بالتبني إنما شرعت فقط لأن محمدا كان يريد الزواج من زينب ، وذلك استتاجا لغيره من الناس ، فذلك الحالة لم تكن وحدها التي استلزم فيها وجود الرابطة الحقيقية الطبيعية (٤) . ثم أشار الى الظهار ، وقال : انه يبدو أن محمدا قد حارب ، من كل جانب ، الزناية الصورية ، أو ، قد يمكننا أن نقول : كل فواحة بعض اجتماعية ، تحد من حرية الفرد . "

محمد أن يمتنع من بعض الآيات الخاصة بزواج التتبي (٥) ، يقول إنه استعمل

W. MONTGOMERY WATT, "MuHAMMAD AT MEDINA" (MAHOMET À MEDINE, PARIS, 1959. PAYOT)

(١) الأصل الانجليزي ، الذي اطلعت عليه منذ سنوات ، لا يختلف عن الترجمة الفرنسية ، التي هي الآن بين يدي ، الا في ترجمة آيات القرآن ، لأن المترجمين استبدلوا بترجمة المؤلف ترجمة مؤلفه الفرنسية ، تخلطها من ترجمة القرآن .

(٢) ص ٣٤٢ ، وهو ، مع الأسف ، يتوهم - بعد أن يقول (ص ٣٤٢) إنه لا يعرف عن مزاوله التتبي ، في عصر ما قبل الاسلام ، الا القليل ، وأنا نستطيع ، فقط ، أن نستنتج أن محمدا قد أبطله - إنه ، ربما ، كان الرجل حينما يتزوج امرأة ، من سيدة البيت ، بعيد ، تلقائيا ابنا لمن يعيش في البيت من البنين والبنات ، ربما ، صارت بين حارثة ابنا لمحمد عندما تزوج خديجة له ، ما أحق به ، وهذا التوهم قائم على وهم آخر هو أن العرب قبل الاسلام كانوا يعيشون نظام الأسرة الأمية)

(٣) "ON A SOUVENT ALLÉGUÉ QUE LA PERMISSION D'ÉPOUSER L'ANCIENNE FEMME D'UN FILS ADOPTIF FUT PROMULGUÉE UNIQUEMENT PARCE QUE MAHOMET VOULAIT ÉPOUSER ZAYNAB. C'EST UNE DÉDUCTION INJUSTIFIÉE. CE CAS N'EST PAS LE SEUL POUR LEQUEL ON AURA MIS EN CAUSE LE VÉRITABLE LIEN PHYSIQUE QUI PEUT EXISTER.."

(٤) ص ٣٤٦ وما بعدها . حيث يقول كلاما غاية في الممد عن الموضوعية ، بل هو التجني على كل القيم العلمية ، والفهم الصحيح لما ينهني للباحث أن يقول . ذلك أنه ، ، يقول :

زيجاته وزيجات الأدين من أصحابه لأغراض سياسية • وأنه كان في ذلك استمرارا لعرف
 همس قديم • نكل زواج لحد كان له اتجاه الى تحييد طائفة سياسية • وأخذ يذكسر
 زوجاته • عليه السلام • ابتداء من السيدة خديجة • واستمررا حتى ليقول عن زينب
 بنت جحش إنه كانت هناك لزواجه منها اسباب سياسية وأخرى • وهي الأهم • اجتماعية
 وهو يعنى بها تحريم التنى (١) • وكذلك القرامنة •

"ON SAIT PAR QUELQUES DOCUMENTS QUE, EN PLUS DE SES MARIAGES
 RÉGULIERS ET DE SES UNIONS AVEC DES CONCUBINES, MAHOMET
 EUT DES RELATIONS AVEC DIVERSES FEMMES, CELA EN ACCORD AVEC LE
 VIEUX RÉGIME MATRIARCAL. LE VERSET DU QUR'ÂN À CE SUJET
 (SOURATE 33 VERS. 49) PERMET À MAHOMET D'ÉPOUSER TOUTE FEMME
 CROYANTE, SI ELLE SE DONNE AU "PROPHÈTE". IL SEMBLE QUE
 PLUSIEURS FEMMES AIENT AGI AINSI, MAIS LA PREUVE N'EN EST
 PAS NETTE."

والخطا الواضح هنا أنه ظن أن وراء الزواج والتنرى بملك الهين (وترجعه بالكلمة
 CONCUBINE التى تعنى خديجة • وهو في هذا مثل مائير الفريسيين
 الذين يمسر عليهم فهم التنرى) نوا تالما هو الذى تَوَقَّعَ أنه يخلق مع الممادات
 القديمة في نظام الأسرة الأمية • والتي بينا • فيها سبق • أنه لا يثبت في تاريخ
 العرب شيء منها باطلاق • وهو • في الواقع • يذكر • في ترجمة غير دقيقة
 قول القرآن : " وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي • ان اراد النبي ان يستكحبها •
 والنس • كما هو واضح • يتكلم عن الزواج مع هبة المهر • أو بدون مهر • وأذن
 فليس هناك نوع ثالث وإنما هو النزع الأول لكل أحكام ما هذا المهر : وهو نفسه يقول
 إنه لا دليل لديه على مَنْ تَزَوَّجَ النبي بهذا النزع من الهبة والذي نستطيع أن نوضحه •
 ضد الآن • ونعود اليه في تفسير الآية المغار اليها تفصيلا • أن النمس
 فَعَدَّ بِهِ رَفْعَ الْعَارِ مِنْ مَنْ تَقَدَّمَ لِلنَّبِيِّ تَهْنِئَةً أَنْفُسُهُنَّ إِلَيْهِ • زوجات على ذلك
 النحو • ولم يَهَيَّجَ الْهَيْئَةَ أَنَّهُ اخْتَذَ زَوْجَةً مِنْ هَذَا النَّحْوِ •

بقيت مسألة أخرى هي خطبة المؤسف (ص ٢٤٥) بين بيوت نساء النبي
 حول المسجد وبين قوله • غير الصحيح • أن نسا مكن يمكن المسجد نفسه •

(١) ص ٢٥٠
 "ZAYNAB BINT DJAHSH, EN PLUS DU FAIT QU'ELLE ÉTAIT LA COUSINE
 DU PROPHÈTE, APPARTENAIT À UN CLAN CONFÉRÉ DU CLAN MAQWIS
 DE 'ABD-SHAMS, MAIS EN CE QUI CONCERNE SON MARIAGE AVEC
 MAHOMET, UN MOTIF D'ORDRE SOCIAL PEUT L'AVOIR EMPÔRÉ
 SUR LES RAISONS POLITIQUES; MAHOMET VOULAIT PEUT-ÊTRE
 DÉMONTRER QU'IL AVAIT ROMPU AVEC LES ANCIENS
 TABOUs."

هو عبد الأستاذ "وات" الى الموضح ، في نهاية الكتاب (9) فيقول ان هناك انتهاكاً لروايتها وسيحيا لحد انه شوهي اوبال لغة غير الهندية في القرن السابع عشر "Vieux DÉBARCÉ (10) ولكنه يرى أن هذا الاتهام يخطأ اذا قصر على تسو من الأفكار التي كانت سائدة في عصر محمد - وبعد ان يتم - بحق - الاتجاه غير المسلمين في النقد الاسلامي الى شعور النبي بصورة القولة (11) التي تترد عن الطائفة الانسانية ، باختلاق ما لم يكن ، يتحدث عن اتجاه المسلمين الاولين الى سوء الظن بالهذه والاعتراض عليها في كل الظروف (12) فيقول ان معاصري محمد كانوا يستحسنون ان يحدد روابطه بالزواج (13) - وان فان الذي كان متقدماً ، في زواجه ، لدى معاصريه انما هو زواجه بختب بنت جحش - ومختلفة كزوجة النبي رواها ابن مسعود والطبري عن رواية النبي مثل زه - ورواه زيب ، على النحو السابق ذكره فيما تقدم ، يقول انه لا نزاع على الخطوط المعروفة لهذه القصة ، وانما الخلاف حول عناصرها تخيلات ، فتنه شي ، فيه يوه هو ان سبب نقد معاصري محمد لم يكن الجانب الشهواني في هذا المسلك ، بل كان اعتراضهم على هذا الزواج لأنه كان ، في انهم ، نوعاً من ربا العالم لاحارهم الابن بالثمن في التولية نفسها التي للابن الحقيقي - والتفسير الخ لآيات القرآن في هذه الحالة يعود الى انه كان يجب ، في هذا الموضع ،

(9) م 100 ولاحدا -

(10) "LA PENSÉE MUSULMANNE DES PREMIERS TEMPS DE L'ISLAM AVANT D'ARRIVER À AMPLIFIER OU, POUR LE MOINS, À RENDRE SURABONDANTE LA PERSONNALITÉ HUMAINE DE LEUR PROPRIÉTÉ. IL EXISTE MÊME UNE TRADITION SELON LAQUELLE MAHMET AVAIT REÇU EN PARTAGE DE TELLES QUALITÉS VIBILES QU'IL ÉTAIT CAPABLE DE PARTAGER SA MUIT ENTRE TOUTES SES FEMMES. IL SEMBLE BIEN QU'ON AIT AFFAIRE ICI À UNE INVENTION."

وهو يشير - في هذا - الى ما في 98-99. وهو ان هذه الروايات قد جاءت بآثارها أيضاً : فمع هذه شكوك الكافية عند القوة لثقة أو القليل (اميد : 100) بموثوقية ايضا - بين اليه - عليه السلام - الضميمة في ترك القوة نفسها !
يقال : بين النبي وبين عبد العزيز ابن مسعود ، فيقول :
(11) "S'IL ON COMPARÉ LE PROPHÈTE AVEC LE DEFIANT ROI ABD AL-AZZIZ D'ARABIE, ONNE SENS LE NOM D'UN SEUL, MAHMET ÉTAIT MARIÉ EN CE QUI CONCERNANT SES ÉPOUSES."

(12) يقول ان تعدد الزوجات في نظر معاصريه ون بعد هم حاشرة هو ما كان يتلزم مع وضعه السياسي

-DES CONTEMPORAINS N'AVAIENT PAS UNE SI BONNE OPINION DE LUI DU FAIT DE SES MULTIPLES MARIAGES ; POUR ENCE C'ÉTAIT BIEN LÀ CE QUI CONCERNAIT À UN HOMME D'UNE TELLE PRÉSENCE POLITIQUE.

التخلص تماما من الأفكار القديمة في التنبي (١) . والقول يدل على أن محمدا لم يكن يريد زواج زينب خشية الاستنكار العام ، ولكنه فعله بعد ، باعتباره واجبا يفرضه الله . ومما سأل ، بعد تنويره لفكرة إبطال التنبي ، من أهمية هذه الفكرة بالقائمة مع غيرها مما يراه قد أثر في مملكة محمد ، فيقول : ليس من التفاضل قول أن كل زواج لمحمد كان بفرض سياسي ، وأن فنحن محققون في قولنا أن محمدا ، في حالته زينب بنت جحش ، لم يكن ضحية هوى جامع ، ولكنه كان يرى بوضوح المزايا السياسية لهذا القرن (٢) . ومحمد أن يتكلم عن أهمية زينب من وجهة التأثير على أبي حفيظان قبل زواج النبي من ابنته ؟ يتنبه (٣) ، في مسألة زواج النبي ، عليه السلام ، من زينب بنت جحش ، إلى أنه يرى ، بوضوح ، دعوى النروم التي قبلت ، أن من التفاضل احتمال أن يكون محمد قد أخذ سحر جمال زينب ، لأنها كانت وقت زواجها (٤) بين الخامسة والثلاثين والثامنة والثلاثين ، وهذه من مقدمة بالنسبة للمرأة العقيمة . بل انه يرى أنها كانت أكبر زوجاته الأخريات (٥) . ووجه عام لا يدوله على حياة النبي الزوجية أي شيء ، اعتبره معاصره ، عليه السلام ، غير متلائم مع صفته نبيا ، فما اعتبره معاصره شيئا ولا خليفا ، وأن حكت الصادر أنه قد أخذ عليه شيء ، فإن ذلك النقد لم يتم على معايير خلقية ، وإنما قام على مخالفة لنظم متخلفة قريبة من الشبهة والخرافة (٦) .

- (١) ص ٤٠٢ يشير في الهامش إلى مؤلف بالألمانية لكونه ، يقول فيه : أن محمدا لم أراد مجرد الزواج من زينب لجعلها " خالصة له " وما جعل منع التنبي وإبطال أثره قانونا عاما . ونعترف ماذا يقصد "خالصة" فيها بعد .
(٢) "MAHOMET NE FUT PAS VICTIME D'UNE PASSION SANS RECOURS, MAIS QU'IL VIT CLAIEMENT LES AVANTAGES POLITIQUES DE CETTE UNION." (٣)

- (٤) ص ٤٠٤
(٥) يقول ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبيرة ٨ : ٨١-٨٢ ، طبع ليدن ، أن زينب هاجرت إلى المدينة وهي بنت بضع وثلاثين سنة ، وأن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، تزوجها ، ليلال ذي القعدة سنة خمس للهجرة ، وهي يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة . لكنه يقول أنها ماتت سنة عشرين هجرية وهي ابنة ثلاث وخمسين سنة . فإذا أخذنا بهذا التاريخ ، فإن زواجها يكون في الثامنة والثلاثين . وهو يعتقد أن خديجة ، عليها السلام ، كانت في الأربعين وقت أن تزوجها النبي . وقد بينا فيما تقدم أنها كانت أصغر سنا من ذلك . وأن خديجة هي وحدها التي كانت أكبر من زينب .

- (٦) "LES CRITIQUES NE PRENAIENT PAS COMME POINT DE DÉPART UN CRITÉRIUM MORAL, MAIS DES CONCEPTIONS ARCHAIQUES PROCHES DE LA SUPERSTITION." (٧)

ثم يقول انه ، ورغم ما صور الكتاب المسلمون من أفاقيهم عن رغبتهم في النساء ، ويرقسهم انه - أي الأستاذ وات - لا يجد جريرا لاقتراض أنه - عليه السلام - قد أهمل كل الاهتمامات الجاذبة الطبيعية ، غفائه عن المحقق علما أنه ظل مهيمنا تماما على مشاعره في مواجهة " الجنس " اللطيف " ، وأنه ما عقد زواجا الا ما كان يمتنى سياسيا واجتماعيا . بل انه يرى من الممكن الذهاب بعدها على أساس يقوم فقط وفق البادية ، القبولية في رضى ، لا طوا ، النماذج التي نهل فيها بعدم الالتزام والشهوانية ، فبالنسبة لصره وجهه ، كان محدد صلحا للأحوال الاجتماعية ، وفي الواقع ، كذلك ، صلحا في مجال القيم الأخلاقية (١) .

والسألة الأخيرة التي أثارها اليها الأستاذ " وات " خطيرة جدا . ذلك أنه حصر في تكوين حاصر رأيه وفق ما يصح له من وثائق ، ومصدر إذا اخطأ عليه بعضها ففعل الأمر على غير محله الدقيق . ولكنه حين يشير مشكلة معيار الزمان والمعاصر - يخرج بنتيجة ، طيبا ، غير صحيحة ، وهدم الصحة فيها يبلغ من الظلم للنبي غاية الذي الذي كان يمتنى الوصول اليه من طابا عليه ما نفاء ، هو ، هذه (ذلك أنه كان يستطيع أن يحتصل معيار العصر والمعاصر للوصول الى قرار ذي شقين : الأول انه فعل ، عليه السلام ، ما فعل متوافقا تماما مع عصره وجهه ، ولكنه في معيار الموضوعية لا يتوافق مع غير ذلك من النظم التي يمتنى الاعتراف بصحتها في كل زمان ومكان . وهذا ما اختاره غير ملطف لبحث الفقه الثاني ، وهو الوحيد الواجب اتخاذ قرار فيه على أساس موضوعية ، وإن كان صميا جدا ، وخاصة على الفكر اجنبي ليست لديه روح الفكر الاسلامي . والذي نعتى بالشق الثاني ، هو ، هل كان تصرف النبي ، في ظروفه بين الزمان ومتطلباته ، والمكان ومتطلباته - كل ذلك بالمعيار الموضوعي - يتفق مع ما يفعله أي انسان سوي يروى من شواجب الأهواء والغرائز في عصرنا هذا وفي كل صر ، في مثل هذه الأحوال ؟ وهذا ما نحاول بيانه في بحثنا .

(١) استعملنا في ترجمة " MAÎTRE DE SES SENTIMENTS VIS-À-VIS DU BEAU-SEXÉ " .

المبارة المشهورة ، وإن كان الصحيح ، " النج " لا الجنس ، و " الجيسل " لا " اللطيف " .

(٢) انظر لديه في ذلك ما يتصل به من ٤٠٤ وما بعدها .

والاستاذ "وات" لم يشر الى حقيقة أخريه لا تفل في ظرفها الحاضرة ، أهمية وأثرا ، ان لم تزد . تلك الحقيقة هي تلك الفكرة الموطنة في الخطأ التي ما زال الناس في الغرب يرددونها حتى اخذت في الأذهان ماخذ الحقائق التي لا تناقض ولا يتصور أن يصح غيرها ، عن الاسلام ، وعن مبادئه السمحة في العلاقات الدولية ، وعن تحريره الحرب غير الدفاعية . وعن تحريره الوثائق ، وعن نبى الاسلام ورامته من كل ما حيك حوله من أكاذيب ، شارك في اشاعتها مع الأسف ، بعض الداخلين في الاسلام نفاقا ، افتراء واختلاقا ، او البسطاء من أهله الذين شكروا - بعض الظن اثم - ان النبى ، وقد عرّله ما تقدم وما تأخر ، لا حرج عليه في ان يوصف بما ليس به حتى في حق أصحابه وسائر المسلمين - بل انهم ظنوا - وكل هذا الظن اثم - انه من نعم الله عليه أن عتري الروايات في وصف كاذب لشغفه بالنساء ، واستباحته في ذلك ما هو غير معقول ولا مقبول في حق الناس ، أى الناس ، حتى أنه اذا نظروا الى زوجة آخر حرمت على زوجها وحلت له (كل ذلك ، وغير ذلك من المساوي والمخالف بكل المعايير ، في كل زمان ومكان ، قد شغف كتاب الغرب بترديد ما ، وتكرار اشاعتها ، وعدم التواني في التكثير بها ، عدة قرون ، حتى أصبحت معيارا للصدق في كل حديث مع الغرب من الاسلام وبني الاسلام والمؤمنين بالاسلام . وكان الأثر الطبيعي لكل ذلك أن تحول الأمر من فهم خاطئ للاسلام الى اظهار كل من ينسلك في الاسلام مؤثما بالخرافات وحدتها بما لا يجوز لماعقل أن يعتقد ، أو يؤمن به ، ثم ان ايمانه بأن ديننا هذه مبادئه وفيها هذا اسرافه في الشهوات وانصرافه الى النساء وسائر الملذات ، لا يتأتى لانسان أن ينسلك في مجتمعه الا أن يكون متعصبا لا يرجى في صداقته خيرا ولا يؤمن ، مع عداوته ، شر (وكان طبيعيا ، اذن ، أن ينف الغرب ، في أكثر المواقف ، من العرب المسلمين خاصة ومن المسلمين غير العرب عامة ، موقف الخلق في كل صدق في القول

INFLUENCER L'OPINION MONDIALE, TOUT AU MOINS EN CE QU'IL
TOUCHE AUX PRINCIPES MORaux. DANS LE DOMAINE PLUS
VASTE DES IDÉES RELIGIEUSES, ILS PEUVENT PROBABLEMENT CONT-
RIBUER À L'ENRICHISSEMENT DU MONDE PARCE QU'ILS ONT
CONSERVÉ UNE GRANDE INTENSITÉ D'EXPRESSION POUR CER-
TAINES IDÉES..."

والحق أن في الاسلام ما هو أوسع من المبادئ الأخلاقية والأفكار الدينية
(بالمعنى الغربي لكلمة دين) والمسالمة هي مسألة حسن العرض بالنطق المعقول
طالما .

أو حسن في القيم أو سلامة في التدبير ، ثم كساد هذا الانطباع يكون حسيمة حتى يوشا هذا في المحافل الدولية : **يُصَوِّرُ حَقَّ عَرَبٍ** فلحمطين في أرضهم وديارهم على أنه أرهاق ! ويعبر اقتصاب أرضهم واستباحة عرضهم وسفك دماشهم مبررا تقوم عليه دولة المقتصب ، وسلطة المستعبر ، وتستقيم عليه شرعية سفك دماشهم وسحق أخالقهم ، وقطع دابرهم .

وإذا ن فقيمة الدول الإسلامية ، التي تريد أن تعيش في المجتمع الدولي ، ولها في ميزان الحق الموضوعي نصيب أصحاب الحقوق ، أن تُعْمِدَ العَرَضَ ، لما التزمت الايمان به ، على العالم ، **صَحَّاحًا بَرِّقًا** من كل عواكب الافك والتشويه ، متعمدا كان ذلك أو غير متعمد ، حتى يستقيم لها أن تُظَهِّرَ للعالم غير الاسلامي أنها من إيمانها على ضيق لا ينكر سلامته **مُضَيِّفٌ** ولا **يَجْعَدُ قُوَّةَ** عالم أو متعلم . **هــــــــــ** أن يحدث هذا - وما أصغته بخير المبر والملم والتزام الحق كل الحق ولا شيء غير الحق - سيعرف العالم للمسلمين حقهم في أن يعيشوا في أوطانهم غير بحاجة أمرارهم ولا استباحة حقوقهم ، وغير متوقع من قوتهم عدوان ، ولا من سلطانهم طغيان ، ولا من سابق مجدهم **يَسْأَلُ** بحق لسان ، أي انمان ، منها اختلافت الأديان والأوطان .

ومجد الى زواج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، **بِزَيْبِ بِنْتِ جَعْفَرٍ** ، لأنه ، في الواقع ، كان عشا لمضيف الى أماء الرسول المشغل عن المجتمع الاسلامي الأول ، لا بياناً للشرعية ورسالة لهاج تطبيقها فحسب ، بل كذلك في حمل ما لا يستطيع أن يحمله غيره ، من أماء أنصاره وخاصة المهاجرات من أقاليمه دين أن يكن في ذلك **يَسْأَلُ - أدنى يسأل - بكراتهن ومزة أنفسهن (١) :** فهذا زيب بنت عته ، أسلمت وهاجرت معه ، وانقطعت بها وسائل الزواج الناحية - **أَوَّلَهَا أَنْ تَكُنَّ** ذلك - لو بنت على دين نفسها . وها هي ذى تلخ من المعرما يزيد على الخامسة والثلاثين ولا يسدو أن أحدا من الصحابة قد تقدم يشيع حاجتها الى الزواج . وها هو ذا النبي ، عليه السلام ، يختار لها زيدا - أقرب خلصائه - وها هي ذى ترى في ذلك الزواج ما لا يحفظ لها ، في عرف رضا وأهلها ، ما يقتضيه زواجٌ مثليها من كفاية وشرف ومحدد ،

(١) عرفنا أن المرأة ، وخاصة المهاجرة ، لم تكن تجد أسباب العيش الا في كسب عائل من الرجال الذين يكسبون رزقهم بضمي غير ميسور ، في الأصل ، الا للرجال وينبغي أن تعرف أن الاسلام ، والتقاليد العربية والشرقية ، على اتفاق في أنه لا يجوز لامرأة مساكنة رجل ليس من محارمها الا أن تكون زوجة له ، وإذا فالنبي لم يكن ليعاير ، في كفه احداً أقاليمه ، التي تحتاج الى رعايته ، الا على أنها زوجة ، ومثلها في ذلك ، سائر المسلمين .

وها هوذا القرآن الكريم يأمرها وأخاها باسقاط هذا المقتضى والاكتفاء بشرف الدين والخلق^(١)،
 وها هي ذى تبتل ولكن يبرز لزوجها ما فى طبعها من حدة واعتزاز بما يظنه زيبه
 غير جائز الاحتمال . وها هوذا يسرع الى النهى يشكو والنهى يعلم أن الله مزوجه بماها ،
 فيوجل النهى ما علم أنه لا محالة كائن تأخيرا لعدم مالوف العرب فى التنهى . وان كان
 قد سبق تقريره أنه خارج عما عليه الاسلام من التزام للصدق فى النسب وفرضه من نظم القرآن ،
 يلقن القرآن النهى . ومن لمن بعده من المؤمنين . أنه لا ينهى لنبى . ولا لحاكم
 بعده . أن يخشى . فى سبيل ايضا شرح الله سيادة قانونه . لومة لائم . ويضيف
 النهى . عليه السلام . بزواجه زينب الى أمائه مما جديدا . وتأتى زينب بيت النبى
 وهى فى الثالثة والثلاثين . فتى من النهى غاية خاصة بزوجة سابقة لما تبلغ الرابعة
 عشرة . هى العبدية طائفة . فتأخذها الحدة^(٢) الى أن ترسل الى النهى ابنته ثم تذهب
 شخصيا اليه فى حجرة طائفة . محلة النهى . فى طائفة . التى عرفنا^(٣) أنها بالمعمار
 الموضعى . حقيقة برعاية خاصة . ما كان النهى فى غي عنه لو كان حرا فى زواجه .
 أو فى تحديد ما يجب الوقوف حده من أمائه .

ونقف هنا عند مسألة حقيقة يبحث خاص . وهى أننا عرفنا من كتب السنة^(٤)
 أن الله سبحانه وتعالى . أمر نبيه . عليه الصلاة والسلام . أن يخبر زوجته بين الحياة
 الدنيا وزينتها . وبين الله ورسوله والدار الآخرة . فاختار الله ورسوله والدار الآخرة .
 وعرفنا أن ذلك كان قبل زواج النهى بزينب بنت جحش . لأن التخيير كان قبل الأمر بالحجاب
 الذى لم يكن الا فى الخلل الذى أراد النهى . عليه السلام . أن يفهر به . على نحو
 خاص . زواجه من كانت امرأة دعيه .

كيف . والحال هذه . أرسلت زينب . ثم ذهبت . الى النهى . تطلب أن
 يسوى بينها وبين بنت أبى بكر ؟ هل غشت زينب أنها . وقد تزوجت النهى . بعد التخيير
 بين الدنيا وزينتها . والدار الآخرة . أنها غير ملزمة بما اختار غيرها من الأزواج ؟ أو أنها
 لم تكن ترى فى طلب المساواة^(٥) أنه متعلق بالدنيا وزينتها . ولكنه متعل بالحق نفسى
 رسول الله وأن يكون لكل زوجة من رسول الله الذى اختزنه . بالمعنى الديوى . حسب
 فى الصحة على سبيل ؟

(١) ما تقدم . ص

(٢) ما تقدم . ص

(٣) ما تقدم . ص

(٤) الحق أن طلب المساواة منها كان قائما على ما تنهه من مساواة . لأن الموضوعية
 فى تدبير المساواة تستلزم تغفيل طائفة .

جاءت في تحديد حاسم لهذا الأمر ، ولغيره من وضع حد لما يجوز للنبي أن يقف غده من حمل لأعلاء المؤسسات المحتاجات الى عائل ، وما الى ذلك من أمور تتصل بالوضع القانوني الخاص بزواج النبي ، عليه السلام ، الآيات الخمسين والحادية والخمسين من سورة الأحزاب ، حيث تقولان : " يا أيها النبي : انا أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن ، وما ملكت يمينك ما أقام الله عليك ، وبنات عاتك ، وبنات خالك ، وبنات خالاتك ، اللاتي هاجرن معك ، وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ، ان أراد النبي أن يستحكما ، خالصة لك من دون المؤمنين - قد طفا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيانهم ، لكلا يكون عليك حرج ، وكان الله قهرا رحما ، ترجى من تشاء ، ونهى اليك من تشاء ، ومن اجتنبتهن من عزلت فلا جناح عليك - ذلك أدنى أن تتراهنهن ولا يحزنن يرضين بما آتيتهن كلهن ، والله يعلم ما في قلوبكم ، وكان الله عليما حلما " .

والآيات ، كما هو واضح لرجل القانون المعاصر ، متكاملتان ، لا يمكن فصل احدهما عن الأخرى ، ولا فهم واحدة منها بمعزل عن الأخرى ، غير أن أغلب الشراح كان في شرحه ، اقرب الى التجزئة وفهم الأولى استقلالاً ثم الانتقال الى الثانية بعد أن يكون تحدد موقفه من الفهم غير الكلي .

من أجل ذلك نبدأ بمسئلة من كتب الصغير ، وخاصة أقدمها ، ثم نصور وجهة النظر التي نعتقد أنه لا يجوز لرجل القانون المعاصر أن يتخطى عن عرض النص ، على معاصره ليفهمه ، على منهجها . ذلك أن عليه أن يفهم معنى كل كلمة في الآية نفسها دقيقا ، ثم يقرأ ما كتب الأقدمين جيلا فجيلا في شرحها ، بعد أن يتأكد أنه لم يخطئ ، فهم مصطلح ، أو ربط ما ينبغي الهبط بينه من ملاحظات حول الآية ، ثم على هدى من فهم صحيح تام للنظام القانوني العام للموضوع الذي تتعلق به الآية - وهو هنا نظام الزواج والتمدد فيه وما يتصل بذلك من التمرى - يأخذ هو في عرض الآية بلفظه معصومه ومصطلحات منه القانوني الحديث ، ملتزما في ذلك دقة الترجمة وسلامة التعبير حتى يفهم معاصره مسلمين أو غير مسلمين ، عربا أو غير عرب ، ولا ينكره غير هؤلاء ، وهؤلاء من الآخذين بشبه الشراح الأقدمين ، أو الذين لا شأن لهم بالقانون ولا دراسة فقه رجال القانون .

وحسبنا في المتن ثلاثة نماذج ، تصيف اليها في الحاشية (١) ما تحسن اضافته

(١) نحتطع ، منذ الآن ، أن نضع بين القارئ ، ما قال الامام الشافعي ، في هذا الشأن ، وان كان لم يأت على نحو الشرح الكامل ، ذلك أنه يقسول -

ليكون القارىء معنا في محاورق الوصول للمعنى الذى يطعن - أو نوجوان يطعن -
- اليه الباحث الحديث :

يقول الفراء ، في معاني القرآن (١) : " قوله : وبنات خالك وبنات خالاتك
اللاتى هاجرن منك . وفي قراءة عبدالله : وبنات خالك وبنات خالاتك واللاتى هاجرن
منك - فقد تكون المهاجرات من بنات الخال والخالة ، وإن كان فيه الواو . فقال :
واللاتى . والعرب تتعصب بالواو ، وغير الواو ، كما قال الفراء :
فإن ربهذا وأين مروان لم يكن . . . ليفعل حتى يُعبدَ الأمرُ صدرا .

(الأم : ١٢٤ - ١٢٧ جمع حوان : " ما جاء في امر رسول الله ، صلى الله
عليه وسلم ، وأزواجه ، أنزلن على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أضيافاً خفيفاً
من خلقه ، ولبيدها ، أن هاء الله ، هيبة الله وكرامة ، وأباح له أضيافاً حظرها
على خلقه ، زائدة في كرامته ، وحبنا لفضيلته مع ما لا يحصى من كرامته له ، وهي
موضوعة في مواضعها " وحد أن تكلم عن " التخخير " قال في آية : " أنا أحللتها
لك أزواجك - الى قوله - خالصة لك من دين المؤمنين " . قال : " فذكر الله
في رجل ، ما أحل له ، فذكر أزواجه اللاتي آتى أجورهن ، وذكر بنات
وبنات عاتق بنات خاله وبنات خالاته ، وأما مؤمنة أن وهبت نفسها للنبي " - قال :
" فدل ذلك على معنيين : أحدهما أنه أحل له ، مع أزواجه ، من ليس له
بزوج يوم أحل له ، وذلك أنه لم يكن هذه ، صلى الله عليه وسلم ، من بنات عاتق
وبنات عاتق ولا بنات خاله ولا بنات خالاته أمراً ، وكان هذه عدد نسوة ، على أنه
أباح له من العدد ما حظر على غيره ، ومن أن يأتيه بغير مهر ما حظر على غيره .
ثم جعل له ، في اللاتي يهبن أنفسهن له ، أن يأتيه بغير مهر ، فقال : ترجى
من تشاء متهن وتوى اليك من تشاء . . . الى - عليك ، فمن أتيت بهن منهن
فهي زوجة ، ولا تحل لأحد بعده ، ولم يأتيه فليس عليها اسم زوجة ، وهي تحل
له ولغيره . أخبرنا الشيخ ، قال : أخبرنا الشافعي ، قال : أخبرنا مالك ، عن
أبي حازم ، عن سهل بن سعد : أن امرأة وهبت نفسها للنبي ، صلى الله
عليه وسلم ، فقامت قياماً طويلاً ، فقال رجل : يا رسول الله ، زوجتها ، إن لم
يكن لك بها حاجة ، فذكر أنه زوجة لها .

وتلاحظ على ما تقدم أن الشافعي ، رضي الله عنه ، أهل الجانب التاريخي أهملوا
جملة يقول أن الآية نزلت وليس ضد النبي ، عليه السلام ، أحد من بنات عاتق . .
مع أن زينب بنت جحش كانت هذه ، وهي من بنات عاتق ، وسبأ القرآن ، كما
رأينا ، يدل على ذلك .

والشافعي أهمل أيضاً التحقيق التاريخي لمعنى الآية ، نزلت هذه الآية ، ولا حظر على
حلم في العدد ، أو نزلت بعد آية النساء التي تنص الزيادة عن أربع
والظاهر أنها سابقة ، ولذا فهي تحظر عليه ، عليه السلام ، ما كان مباحاً لنفسه
آنذاك ، بتعدد الطوائف الذي يجوز له أن يتزوج منها ، على النحو الذي يبدو
واضحاً من الآية .

وأنت تقول في الكلام : ان زرتي قوت أخاك وابن عمك القريب لك ، وان ثلثه :
والقريب لك ، كان صوابا .

وقوله : وامرأة مؤمنة نصبتها بأهلنا . وفي قرائع عبدالله : وامرأة مؤمنة
وهبت . ليس فيها : إن . ومعناها واحد ، كقولك في الكلام : لا بأس أن تنسرق
عدا وهبت لك ، وعدا أن وهبت لك : سواء . وقرا بعضهم : أن وهبت ، بالفتح ،
على قوله : لا جناح عليه أن ينكحها في أن وهبت ، لا جناح عليه في هبتها نفستها ،
ومن كسر ، جملة جزاء . وهو مثل قوله : لا يجرنكم شأن قوم أن صدركم - فإن صدركم .
إن أراد النبي - مكسورة ، لم يختلَفَ فيها . وقوله : خالصة لك ، يقول : هذه
الخالصة خالصة لك ورخصة دين المؤمنين ، فليس للمؤمنين أن يتزوجوا امرأة بخير مهر . ولو
رفعت خالصة لك على الاحتشاف ، كان صوابا ، كما قال : لم يلبثوا إلا ساعة من نهار .
أي : هذا بلاغ . وما كان من سنة الله ، وصفة الله ، وشبهه ، فإنه منصوب ، لا مفعول
بما قبله ، على مذهب : حقا ، وشبهه . والرفع جائز ، لأنه كالجواب . ألا ترى أن الرجل
يقول : قد قام عبدالله . فتقول : حقا ، إذا وصلته . وإذا نهيت الاحتشاف ،
رفعت وقطعت مائلا . وهذه بعض القطع الذي تسميه من النحويين . - وقوله :
ترجى من تشاء منهم ، بهمز وفيه همز ، وكل صواب . وتوصي اليك من تشاء . - هذا
أيضا ما خص به النبي ، صلى الله عليه وسلم : أن يجعل لمن أحب منهم يوما أو أكثر
أوقال ، صحت من شاء منهم فلا يأتيه . وقد كان قبل ذلك لكل امرأة من نساءه
يوم وليلة . - وقوله : ذلك أدنى أن تفرأهم ، يقول : إذا لم تجعل لواحدة
منهم يوما ، وكان في ذلك ، سواء كان أخرى أن تطيب انفسهن ولا يحزن . وقال :
إذا طعن أن الله قد أباح لك ذلك ورضي ، إذ كان من عند الله . ويقال : انه أدنى
أن تفرأهم إذا لم يحل لك غيرهن من النساء . وكل حسن . - وقوله : يرضين
بما آتتهن كلهن : رفع ، لا غير . لان المعنى : وترضى كل واحدة . ولا يجوز
أن تجعل كلهن نعمتا للنساء ، في الإتياء ، لأنه لا معنى له . ألا ترى أنك تقول :
لأكرين القوم ما أكرهني أجمعين ، وليس لقولك : أجمعون ، معنى . ولو كان له معنى
لجاز نصبه .

يقول الطبري ^(١) ، وشرى اثر ما تقدم عليه ، وإن كان أثره غصلا . - يقول :
تعالى ذكره ، لنبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم : يا أيها النبي انا أحللتنا لك أزواجك
اللاتي آتيت أجورهن - يعني : اللاتي تزوجتهن بحدائق مسمى . - قوله :

وما ملكت يمينك مما أنفاه الله عليك . يقول : وأحللنا لك إمامك اللواتي سيبتنهم من
 فليكنهن بالسما . وصرن لك يفتح الله عليك من الفتي . وبنات معك وبنات عاتك وبنات
 خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك - فأحل الله له . صلى الله عليه وسلم
 من بنات عمه وبنات عاتك . وخاله وخالاته المهاجرات معه منهن . دون من لم يهاجرنهن
 معه . . . وقد ذكر أن ذلك في ترواح ابن مسعود : وبنات خالاتك واللاتي هاجرن معك ،
 بما وه . وذلك . وإن كان كذلك في ترواحه . محتمل أن يكون بمعنى قرأتها بغير راء وه
 وذلك أن العرب تدخل الواو في تحت من تقدم ذكره . أحيانا . كما قال الشاعر :
 فان وشيدا وابن مروان لم يكن . . . ليفعل حتى يمدد الأمر مددا
 ورشيد هو ابن مروان . وكان الضحاك بن مزاحم يتأول ترواح عبد الله هـ هـ
 أسن نوح غير بنات خالاته . وأسن كل مهاجرة هاجرت مع النبي . صلى الله عليه وسلم
 وسلم . . . عن مجاهد . قوله : وامرأة مؤمنة أن وهبت نفسها للنبي بغير صداق ،
 فلم يكن يفعل ذلك . وأحل له خاصة من دين المؤمنين . وذكر أن ذلك . في قراءة
 عبد الله : وامرأة مؤمنة وهبت نفسها للنبي بغير راء . ومعنى قرأتها
 وفيها إن واحد . وذلك كقول القائل . في الكلام : لا بأس أن يطأ جارية ملوكة
إن ملكها . وجارية ملوكة ملكها . . . وقوله : أن أراد النبي أن يستكحبها . يقول :
 أن أراد أن ينكحها فحلل له أن ينكحها . إذا وهبت نفسها له بغير مهر . خاصة لملك
 يقول : لا يحل لأحد من أمته أن يقرب امرأة وهبت نفسها له . وإنما ذلك لك يا محمد .
 خالصة لك من دين سائر أمته . . . واختلفت القراء في ترواح قوله : أن وهبت نفسها .
 فقرأ ذلك عامة قراء الأحرار : إن وهبت . بكسر الألف . على وجه الجزاء . بمعنى
 أن شهب . وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ . أن وهبت . يفتح الألف . بمعنى :
 وأحللنا له امرأة مؤمنة . أن ينكحها . ليهبتها له نفسها . والقراء التي لا أستجيز
 خلاصها . في كسر الألف . لاجتماع الحجة من القراء عليه . . . وأما قوله : خالصة لك من
 دين المؤمنين . : ليس ذلك للمؤمنين . وذكر أن لرسول الله . صلى الله عليه وسلم .
 قبل أن تنزل عليه هذه الآية . أن يتزوج أي النساء شاء . فقصره الله على هؤلاء . فلم
 يعدن . وقصر سائرته على منى وثلاث وربع . . . واختلف أهل العلم في التي وهبت
 نفسها لرسول الله . صلى الله عليه وسلم . من المؤمنات . وهل كانت عند رسول الله .
 صلى الله عليه وسلم . امرأة كذلك ؟ فقال بعضهم : لم يكن عند رسول الله . صلى
 الله عليه وسلم . امرأة إلا بعد نكاح أو ملك يمين . فأما الهبة فلم يكن عند من أحد .
 عن ابن عباس قال : لم يكن عند رسول الله . صلى الله عليه وسلم . امرأة وهبت نفسها . .

عن مجاهد ، انه قال ، في هذه الآية : وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ، قال : ان تهب . وأما الذين قالوا : قد كان عدده منهن ، فان بعضهم قال : كانت ميمونة بنت الحارث ، وقال بعضهم : هي أم شريك ، وقال بعضهم : زينب بنت خزيمة . . . وقوله : قد طنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم ، يقول ، تعالى ذكره : قد طنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم ، اذا أرادوا نكاحهن ، وما لم يفرض عليك وما خصناهم به من الحكم في ذلك ، وذلك ، وهو اننا فرضنا عليهم أنه لا يحل لهم عقد نكاح على حرة مسلمة الا بولي عصبة وشهود عدول ، ولا يحل لهم منهن أكثر من أربع . . . وقوله : وما ملكت أيمانهم ، يقول ، تعالى ذكره : قد طنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم ، لأنه لا يحل لهم منهن أكثر من أربع ، وما ملكت أيمانهم ، فان جيبهن اذا كن مؤمنات أو كتابيات ، لهم حلال ، بالعيا ، والنسوة ، وغير ذلك من أسباب الملك . . . وقوله : لكيلا يكون عليك حرج ، وكان الله قهرا رحيا ، يقول ، تعالى ذكره : انا احللتنا لك ، يا محمد ، أزواجك اللواتي ذكرنا ، في هذه الآية ، وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي أن يستكحها ، لكيلا يكون عليك اثم وضيق ، في نكاح من نحن تحت من هؤلاء الاصناف ، التي ايجت لك نكاحهن ، من المسيات في هذه الآية ، وكان الله قهرا ، لك ولاهل الايمان بك ، رحيا ، بك وهم ، ان يعاقبهم على سالف ذنب منهم سلف ، بعد توبتهم منه .

القول ، في تأويل قوله ، تعالى : ترجى من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ، ومن ابتغيت ميمنة فلا جناح عليك . ذلك أدنى أن تقرأيهن ولا يحزن ، ويرحمهن بما آتيتن كلهن ، والله يعلم ما في قلوبكم ، وكان الله عليهما حلما . . . اختلف أهل التأويل ، في تأويل قوله : ترجى من تشاء منهن ، وتؤوي اليك من تشاء ، فقال بعضهم : قس يقوله : ترجى : توخر ، وقوله : تؤوي : تضم . . . عن ابن عباس ترجى . . . توخر . . . عن مجاهد : ترجى : تمزّل بخير طلاق من أزواجك من تشاء ، وتؤوي اليك من تشاء : تردّها اليك . . . عن قتادة : قال : فجعله الله في حل من ذلك : أن يدع من يشاء منهن ، ويأتي من يشاء منهن ، بخير قس ، وكان نبي الله يقسم . . . عن ابن زرين : قال : لما أشفق أن يطلقهن ، قلن : يأنى الله ، اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت فكان من أوجا منهن : سودة بنت زمعة ، وجوهيرة ، وصفية ، وأم حبيبة ، وميمونة ، وكان من آوى اليه : عائشة ، وأم سلمة ، وحفصة ، وزينب . . . عن الضحاک : . . . فما شاء صنع في القسمة بين النساء ، أحل الله له ذلك . . .

وقال آخرون : معنى ذلك أن تطلق وتخلي سبيل من شئت وتسلك من شئت منهن

فلا تطلق - عن ابن عباس . . . يقول : من شئت خلعت حبله منهن . ومن أحببت أسكت منهن .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تترك نكاح من شئت . وتكلم من شئت من نساء .
 أنك . . قال الحسن : . . كان نبي الله . صلى الله عليه وسلم . إذا خطب امرأة . لم يكن لرجل أن يخطبها حتى يتزوجها أو يتركها . وقيل ان ذلك إنما جعل للتي . حين غار بعضهن على النبي . صلى الله عليه وسلم . وطلب بعضهن من النفقة زيادة على الذي كان يعطيها . فأمره الله أن يخبرهن بين الدار الدنيا والآخرة . وأن يخلي سبيل من اختار الحياة الدنيا ويثبتها . ويملك من اختار الله ورسوله . فلما اخبر الله ورسوله . قبل لهن : اقربن الآن على الرضا بالله ورسوله . قسم لكن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . أولم يقسم . أو قسم ليعلمنكم ولم يقسم ليعلمكن . وفعل بمشكسن على بعض في النفقة أولم يفعل . سوى يبينكم أولم يحو . قال : الأمر . في ذلك . الى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ليس لكم من ذلك شيء . وكان رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فيها ذكر . مع ما جعل الله له من ذلك . يسوى بينهن في القسم الا امرأة منهن أراد طلاقها فوضعت يدها على القسم لها . . . من طائفة . انها كانت تُقسم النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله . صلى الله عليه وسلم . وقالت : أما تتخى امرأة أن تعرض نفسها بخير صداق . فنزلت . أو فأنزل الله : ترجى من تشاء . . . وأولسى الأقوال . في ذلك . هدى . بالصواب أن يقال : ان الله . تعالى ذكره . جعل لنبية أن يرجى من النساء اللواتي أحلن له . من يشاء . وهووى اليه منهن من يشاء . وذلك أنه لم يحصر معنى الارجاع والاياء على المنكوحات اللواتي كن في حالهن هدا نزلت هذه الآية . دون غيرهن من يتحدث ابواؤها منهن . واذ كان ذلك كذلك . فمعنى الكلام : توخى من تشاء . من وهبت نفسها لك . وأحللت لك نكاحها . فلا تنقلها . ولا تتكها . أو من هن في حالك فلا تقربها . وقسم اليك من تشاء . من وهبت نفسها لك . أو أردت من النساء التي أحللت لك نكاحهن . تنقلها أو تتكها . ومن هن في حالك فتجامعها . اذا شئت . وتتركها اذا شئت بخير قسم .

وقوله : ومن اجتخت . من عزل . فلا جناح عليك . اختلف أهل التأويل . . :

فقال بعضهم : معنى ذلك : ومن تكلمت من نساءك فجاءت من لم تكلم فعزلته عن الجماع . فلا جناح عليك . - عن ابن زيد . . قال : ومن اجتخت أصابه . ومن عزل لم يجبه

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن استبدلت من أوجبت فخلت سبيله من نساءك ،
أو من مات منها ، من أحلت لك ، فلا جناح عليك . . . عن ابن عباس : قوله :
ومن ابتغيت من عزلت فلا جناح عليك ، ذلك أن ^{مأذون} قراءتهم ولا يحزن ويحزن بما
آتيتهم كلهن . - معنى بذلك : النساء اللاتي أحل الله له ، من بنات العيسم ،
والعمة والخال والخالة ، واللاتي هاجرن منك . يقول : ان مات من نساءك
اللاتي عندك ، أحد ، أو خلعت سبيله ، فقد أحلت لك أن تستبدل من اللاتي
أحلت لك ، مكان من مات من نساءك ، اللاتي هن عندك ، أو خلعت سبيله منهن .
ولا يصلح لك أن تزاد على عدة نساءك اللاتي عندك هي .

وأولى التأويلين بالصواب ، في ذلك ، تأويل من قال : معنى ذلك :
ومن ابتغيت أصابته من نساءك ، من عزلت من ذلك منها ، فلا جناح عليك ، لدلالة
قوله : ذلك أدنى أن قراءتهم ، على صحة ذلك . لأنه لا معنى لأن قراءتهم
إذا هو ، صلى الله عليه وسلم ، استبدل بالهبة أو المطلقة منها ، إلا أن معنى بذلك :
ذلك أدنى أن قراءتهم الشكوة منها ، وذلك ، ما يدل عليه ظاهر التنزيل ، بمجرد
وقوله : ذلك أدنى أن قراءتهم ولا يحزن . يقول : هذا الذي جعلت لك ، يا محمد ،
من أدنى لك أن ترجى من نساء ، اللاتي جعلت لك إرجاءهن ، وتزوي من
نساء منها ، ويضع عنك الحرج في ابتغائك أصابة من ابتغيت أصابته من نساءك ،
وبذلك ، في ذلك ، من عزلت منها : أقرب لنساءك أن قراءتهم به ، ولا يحزن .
ويضمن كلهن ، بما آتيتهم كلهن ، من تخفيف من فضلك ، من قسم أو ثقة ، وإيسار
من آتيت منها بذلك على غيره من نساءك ، إذا هن علمن أنه من رضى منك بذلك ، وأدنى
لك به ، وأطلقني ، لا قبلك .

والصواب من القراءة في قوله : بما آتيتهم كلهن : الوجه ، غير جائز غيره معتدا
وقوله : والله يعلم ما في قلوبكم - يقول : والله يعلم ما في قلوب الرجال من ميلها
إلى يحمي من غده من النساء دون يحمي ، بالهوى والصحة . يقول : لذلك وصح عنك
الحرج يا محمد ، فيما وصح عنك ، من ابتغاء من ابتغيت منها ، من عزلت ، فضلا
منه عليك بذلك وتكرمة . وكان الله عليا - يقول : وكان الله ذا علم بأعمال عباده ، وهو
ذلك من الأشياء كلها ، حليط - يقول : ذا حلم عن عباده أن يهاجل أهل الذنوب
منهم بالعقوبة ، ولكنه ذو حلم وأناة عنهم ، ليتوب من تاب منهم ، ويتوب من ذنبهم
من أتى منهم .

ويزوج آخر لدى الشيعة الامامية يقدمه الطوسي ، في تفسير التبيان (١) ،
 ويلاحظ فيه ، ابتداءً ، أنه يجعل الآيتين ٤٩ و ٥٠ في مجموعة ثم الآيتين
 ٥١ - ٥٢ في مجموعة أخرى ، ويصرف ، بعد ، أهمية هذه الملاحظة -
 يقول الطوسي : " يا أيها النبي انا أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن - يعني :
 مهورهن ، لأن النكاح لا ينفك عن المهر -

(٢) الجزء الثامن ، ص ٣١٨ - ٣٢٢ والألفاظ الأخرى كثيرة منها : أبو بكر
 البازي الجصاص ، أحكام القرآن ٣ : ٣٦٥ - ٣٦٨ ، الذي يقول : " انتظمت
 الآية ضرب النكاح الذي أباحه الله تعالى ، ونبيه ، صلى الله عليه وسلم ،
 فيها قوله : اللاتي آتيت أجورهن ، يعني : من تزوج ضمن مهر مسمى
 وأعطاهن ، ومنها ما ملكته اليمين ، بقوله : وما ملكت يمينك ما أنا ، الله عليك :
 مثل حبانة ، وصغية وجهية ثم أعطها وتزوجها ، وذلك ما أنا ، الله عليه من
 الفتنة ، وذكر ، تعالى ، بعد ذلك ، ما أحل له من أتائه ، فقال : وثبات
 عليك وثبات عاتك - ثم ذكر ما أحل له من النساء بمهر مهر ، فقال : وأمسوا
 زوجة ان وهبت نفسها للنبي - وأخير أنه يخص بذلك ، دون أخته ، وأنه
 يأتي سواء ليمين تقدم ذكرهن ، وقوله ، تعالى : اللاتي هاجرن معك - قال
 أبو يوسف : لا دلالة فيه على أن ما عداه يخلقه ، وروى داود ... عن أبي بن
 كعب ، قال : قلت له : أؤيت لو ملك نساء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
 أكان له أن يتزوج ؟ قال : وما يتبعه ؟ أحل الله له غيرها من النساء فكان
 يتزوج ضمن ما عدا : ثم تلا : يا أيها النبي انا أحللتنا لك أزواجك - الآية -
 وهذا يدل على أن تخصيص الله ، تعالى ، للذكوات بالاباح لم يرجع
 عليه حظ من سواءهن ، عند أبي بن كعب ، لأنه أخبر أنهن ، لو هلكسن ،
 لكان له أن يتزوج غيرهن ، وقد روى عن أم هانئ ، خلاف ذلك .. قالت : خطبني
 رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فاعتذرت إليه بحذر ، فأنزل الله : انا أحللتنا
 لك أزواجك - الى قوله : اللاتي هاجرن معك : قالت : فلم أكن أحل لبيده
 لأنني لم أهاجر معه ، كت مع الطائفة - فان صح هذا الحديث ، فإن ذهب
 أم هانئ ، أن تخصيصه للنساء جوات ضمن قد أوجب حظ من لم تهاجر ، يحصل
 أن تكون قد علت حظهن بغير دلالة الآية ، وأن الآية انا نهيها اباحه من هاجرت
 ضمن ، ولم تمرض لمن لم تهاجر بحظ ولا اباحه ، الا أنها قد علت ، من جهة
 أخرى ، حظهن - قوله ، تعالى : وأمرأة بومة ان وهبت نفسها للنبي -
 الآية ، فيها نص على اباحه عند النكاح بقض الهبة ، للنبي ، صلى الله عليه وسلم ،
 واختلف أهل العلم في عند النكاح بقض الهبة ، لتصرف النبي ، صلى الله عليه
 وسلم ، فقال أبو حنيفة وأبو يوسف وزفر وسعيد والثوري والحسن بن صالح : يصح
 النكاح بقض الهبة ، ولها ما سوى لها ، وإن لم يصح شيئا ، فلها مهر مثلها .
 وذكر ابن القاسم من مالك ، قال : الهبة لا تحل لأحد بعد النبي ، صلى الله
 عليه وسلم ، وإن كانت هبة اياها ليست على نكاح ، وإنما وهبها له ليحييتم
 أو ليكفها ، فلا يرى بذلك بأسا . قال الشافعي : لا يصح النكاح بقض الهبة .

وأحللنا لك ما ملكت من الاماء أن تجمع شهن ما شئت ، ما أقام الله عليك ،
من الغنائم والأثقال ، وشأت نفسك ، أى وأحللنا لك شئات عملك ، وشأت عمتك وشأت خالك
وشأت خلائك اللاتي هاجرن معك ، أن تعقد عليهن وتعطينهن مهرهن —

— وحد اطالة واسباب في تهريه ذهب الحنفى في جواز الزواج بلقظ الهمزة
ينتهي الجصاص الى أن الخاص بالثني في الهمزة هو " اسقاط المهر " وقول:
" وما يدل على أن خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم ، كانت في الصداق ،
ما حدثنا عن . . . أحد بن حنبل . . . من عائشة أنها كانت تعبر النساء اللاتي
وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالت : ألا نتحن أن تمرض
نفسنا بفهر صدقي ، فأنزل الله تعالى : ترجى من تشاء وتزوي اليك ممن
تشاء — الى قوله : فلا جناح عليك " (وعائشة كانت تمرضها بالماء الصام
والآداب المألوفة لا تقدم المرأة الى رجل لتطلب اليه أن يتزوجها — وغير مهر —
ولكن هذا المرف العام ، وهو صحيح فيختلف الحال فيه بالنسبة للعائشة
بين المؤمنين ورسول الله ، لأنه " أولى بالمؤمنين من أنفسهم " كما يقول آية ٦
من سورة الأحزاب ، ومن ثم فتمرض المؤمنة اليه لاجئة لاخذها من حياة لا يملك
أحد الا الله كنهه كانت ، وإن كان غير ما لوف ، وفيه للرسول حق ، لكنه ، نسي
وفي الرسول وما يثق مع كرام أخلاقه ، غير حقيق بغير من تعبير . وشيئرى
أن الآية جاءت لتحمي الوهبة من كل ما لا يجوز فليس يلجأ الى أن هو أولى
بالمؤمنين من أنفسهم) . وحد أن يأتي الجصاص بقصة المرأة التي وهبت نفسها
لنبي ، ونزوحها أحد أصحابه ، وحد أن يذكر الخلاف حول " المرأة التي وهبت
نفسها للنبي " — بالانفراد ، والاختلاف حول من هي هذه الواحدة — بقول
نبي : " قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم ، قال قتادة : فرض أن لا يتكح أسوأ
الا بول وشاهدين صدق ، ولا يتكح الرجل الا أوصا . وقال مجاهد وسعيد بن
جبير : أوب . وقوله : وما ملكت أيانكم : يعنى : ما أباح لهم بملك اليمين ،
كما أباحه للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، قوله : لكيلا يكون عليك حج : يرجع
والله أعلم ، الى قوله : انا أحللنا لك أزواجك ، وما ذكر بعده ، فيها أباح
لنبي ، صلى الله عليه وسلم ، كلا يخيق عليه ، لأن الحرج : الضيق :
لأخبر ، تعالى ، بتوصيته على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فيها أباح له ،
وهي المؤمنين فيها أطلقه لهم . — قوله تعالى : ترجى من تشاء شهن —
وتزوي اليك من تشاء : حدثنا . . . عن أبي بن رزين في قوله تعالى : ترجى من
تشاء شهن : المراجعة : حمزة وسودة وصفية وجهية وأم حبيبة ، وكانت عائشة
وصفة وأم سلمة زينب : سواء في القسم ، وكان النبي ، صلى الله عليه وسلم ،
يساوى بينهن . وحدنا . . . عن الزهري ، في قوله تعالى : ترجى من تشاء
شهن : قال : كان ذلك حين أنزل الله أن يخرجن . قال الزهري : وما علمنا
رسول الله أرحى شهن أحدا ، ولقد آؤهن كلهن ، حتى مات ، صلى الله عليه
وسلم . قال مجر : وقال قتادة : جعله الله في حل أن يدع من تشاء شهن
يؤزوي اليه من تشاء ، يعنى : قسم ، وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
قسم . قال مجر : وأخبرنا من سبغ الحسن يقول : كان النبي ، صلى الله عليه

ثم قال : وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي - فاقولوا لهم على كسر ان -
على انه شرط . وقرأ الحسن بفتحها - على انه بمعنى احللنا لك ان - وهبت .

• وسلم . اذا خطب امرأة فليس لاحد ان يخطبها حتى يترجها رسول الله
صلى الله عليه وسلم . او يدعها . فمن ذلك نزلت : ترجى من تشاء منهم
قال ابو بكر : روى زكريا عن الشعبي : ترجى من تشاء منهم . قال : نعم
كن وهبن انفسهن لرسول الله . صلى الله عليه وسلم . فارجى بعضهم
ودخل بعضهم . منهم ام هانئ . ولم يترج بعد . (هكذا في الكتاب) . وقال
مجاهد : ترجى من تشاء منهم - قال : ترجيهم من غير طلاق . فولا تأنيهم .
وروى عاصم . عن معاذة العدوية . عن عائشة . قالت : كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمسكنا فمما نذتنا على يوم احادنا بعد ما انزل : ترجى من
تشاء منهم - فالت لها بمعاذة . فما كت تقولين لرسول الله . صلى الله عليه
وسلم . اذا استاذن ؟ قالت : كنت اقول : ان كان ذلك لى لم اشر على
نفس احدا . قال ابو بكر : وقد روى عن النبي . صلى الله عليه وسلم
انه كان يقسم بين نسائه . ولم يذكر فيه تخصيص واحدة منهم باخراجها من القسم .
عن عائشة . قالت : كان رسول الله . صلى الله عليه وسلم يقسم فبعدل
يقول : اللهم هذا قسمي فيما املك . فلا تلحقني فيا تملك ولا املك . - قال
ابوداود : معنى : اقلب عن عائشة : كان رسول الله . صلى
الله عليه وسلم . لا يفضل بعضنا على بعض في القسم . من مكته عندها .
وكان قل يوم الا وهو يطوف علينا جميعا فيدنو من كل امرأة . من غير سببه
حتى يبلغ الى التي هو يومها فيبيت عندها وهذا يدل على انه قد كان
يقسم لجميعهن وهو اصح من حديث ابي رزين الذي ذكر فيه انه ارجى . جماعة
من نسائه ثم لم يقسم لهن . وظاهر الآية يقتضى تغيير النبي . صلى الله عليه وسلم
في ارجاء من شاء . منهم وايدا . من شاء . فليس يستحب ان يخطأ رايه الجميع . الا
سودة طائفا وضعت بان يجعل يومها لعائشة . قوله . تعالى : ومن ابتغيت
من عزلت فلا جناح عليك . معنى . والله اعلم . في ايادى من ارجى منهم
ايام له بذلك ان يحتزل من شاء . منهم . وروى من شاء . وان يروى منهم
من شاء . بعد الاعتزال . وقوله . تعالى : ذلك أدنى ان تقرضهم - معنى .
والله اعلم : اذا علم بعد الارجاء ان لك ان تؤوى وتود الى القسم . وهذه الآية
تدل على ان القسم بمنهم لم يكن واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم . وأنه
كان مخيرا في القسم لمن شاء . منهم وترك من شاء . منهم .
وابن العربي . أحكام القرآن ٣ : ١٥٤١ - ١٥٥٨ يقول : " المسألة الأولى في
سبب نزول (الآية الخمسين) : روى الترمذى وغيره ان ام هانئ بنت ابي طالب
قالت : خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم . واعتذرت اليه . فعذرى . ثم
انزل الله تعالى : يا ايها النبي انا احللنا لك أزواجك . . . الى آخر الآية
- قال ابو عيسى : هذا حديث لا يحرف الا من حديث السدى . قال القاسمى :
وهو ضعيف جدا . ولم يأت هذا الحديث عن طريق صحيح يحتج به
ثم ينتقل الى الخلاف " في معنى الزوجة في حق النبي . صلى الله عليه وسلم . "

والمعنى واحد • لأنه بمنزلة قولك : سرتي إن ملكت • وسرتي أن ملكت • أى سرتي ما ملكت • - ان أراد النبي : وأحللنا لك المرأة إذا وهبت نفسها لك ان أردتها وهبت نفسها • فنرى عن ابن عباس أنه لا تحل امرأة بغير مهر • وان وهبت نفسها •

هل هن كالمساكين عندنا ؟ أو حكمهن حكم الأزواج المطلقة ؟ قال اصحاب الحرمين : نرى ذلك اختلاف • وسنبينه فى قوله : ترجى من ثمن • فهن والصحيح أن لهن حكم الأزواج فى حق غيره • فإذا ثبت هذا • فهل المأدوم بذلك كل زوجة أم من تحته فهن ؟ وفى ذلك قولان : قيل لا ان المعنى أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن • أى كل زوجة آتيتها مهرها • ولى هذا تكون الآية صواب للنبي • صلى الله عليه وسلم • ولأنه • والثانى • وهو قول الجمهور : أحللتنا لك أزواجك اللاتي عندك • وهو الظاهر لأن قوله : آتيت خبر عن أمر ما فيه • فهو محمول عليه بظاهره • ولا يكون الفعل الماضي بمعنى الاستقبال إلا بشرط ليست ها هنا • ثم ينقل ابن العربي السى عسبر " ما ملكت يملكك " فيقول : " معنى السراى • وذلك أن الله • تعالى • أحل السراى لثبته • صلى الله عليه وسلم • ولأنه بغير عدد • وأحل الأزواج لثبته مطلقا • وأحللن للخلق بعدد : وكان ذلك من خصائصه فى شريعة الاسلام • وقد روى عن كان قبله • فى أحد يشبه • أن داود عليه السلام كانت له مائة امرأة • كما تقدم • وكان لسان عليه السلام • ثلثائة حرة وسبعة سبية • - ما أفاء الله عليك • والمأدوم بالثمن : الأخذ على وجه القهر والغلبة الشريفة • وقد كان النبي • صلى الله عليه وسلم • يأكل من عمله • وطا من ملك يمينه • بأهرف وجوه الكسب • وأعلى أنواع الملك • وهو القهر والغلبة • لا من الضيق بالأسواق • - هتات معك هتات عاتك هتات خالك هتات خاللاتك : المعنى أحللتنا لك ذلك • وأما • الى ما عندك من الأزواج اللاتي آتيت أجورهن • قاله أبى بن كعب • فأما من عادهن • من الميئتين من المسلمات • فلا ذكر لخاللن ها هنا • بل هذا القول بظاهره • يقتضى أنه لا يحل له غير هذا • وهذا يهون أن معناه : أحللتنا لك أزواجك اللاتي عندك • لأنه لو أراد أحللتنا لك كل امرأة تزوجت وآتيت أجورها • لما قال بعد ذلك : هتات معك هتات عاتك • لأن ذلك داخل لها تقدم • فان قيل : انما كرهه لأجل شرط الهجرة • فانه قال : اللاتي هاجرن معك • قلنا : وكذلك أيضا لا يصح هذا • مع هذا القول • لأن شرط الهجرة لو كان كما قلتم لكان شرطنا فى كل امرأة تزوجها • فأما أن يجعل شرطنا فى القواية المذكورة • فلا يتزوج فهن الا من هاجر • ولا يكون شرطنا فى سائر النساء • فمتزوج فهن من هاجر ومن لم يهاجر • فهذا كلام ركيك من قائله • بين خطا • لم تأمله • حسبنا قدما ذكره • من أن الهجرة • لو كانت شرطنا فى كل زوجة • لما كان لذكر القواية فائدة • قلنا • قوله : اللاتي هاجرن معك • وفيه قولان : أحدهما : أن معناه • لا يحل لك أن تتك من هتات معك هتات عاتك الا من أسلم • لقوله • صلى الله عليه وسلم : المسلم من أسلم المسلمون من لسانه • وهذا • والمهاجر من هاجر من هجر ما بين الله عنه • - الثانى : أن المعنى • لا يحل لك فهن الا من هاجر •

الا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة . وقال ابن عباس : لم يكن عند النبي امرأة وهبت نفسها له . وفي رواية أخرى : عن ابن عباس : أنه كانت عنده مبروسة

الى الدينة . لأن من لم يهاجر ليس من أوليائك . قوله : تعالى : والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا . - ومن لم يهاجر لم يكمل . ومن لم يكمل لم يصلح لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كمل وتكملت حكمته . وهذا يدل على أن الآية مخصوصة برسول الله صلى الله عليه وسلم . ليست بحجة له ولأخته . كما قال بعضهم . لأن هذه الشروط تخص به . ولهذا المعنى نزلت الآية في أم هانئ . بأنها لم تكن هاجرة . فضعفها لنفسها بالهجرة . والبراد يقول : هاجرين : خرجن الى الدينة . وهذا أصح من الأول . لأن الهجرة عند الإطلاق هي الخروج من بلد الكفر الى دار الإسلام . وأنا تحل على عبها . والهجرة في الصفحة الإسلامية أشهر من أن تحتاج الى بيان . قوله : معك : والمعنة . هاهنا : الاشتراك في الهجرة . لا في الصحة فيها . فمن هاجر حل له . كان في صحته أن هاجر ولم يكن . يقال : دخل فلان معي . وخج معي . أي كان معه كعظمي . وإن لم يقتن فيه ملكا . ولو قلت : خرجنا معا . لاقتضى ذلك المعنيين جميعا : المشاركة في الفعل . لاقتوان فيه . فصار قولك : معي : للمشاركة . وقوله : معا : للمشاركة . لاقتوان .

قوله : وثنا معك . فذكره خيرا . قال : وثنا معاك . فذكرهن جميعا . وكذلك قال : وثنا خالك . فردا . وثنا خالاتك جميعا . والمعنة في ذلك أن العم والخال كلفه الإطلاق . اسم جنس كالشاعر والواجز . وليس كذلك في العم والخالة . وهذا عوف لقوى عجا . الكلام عليه بنهاية البيان لرفع الاشتكالات . وهذا دقيق . فتلوه . ثم ينتقل ابن العمري الى فائدة الآية وما سقت لأجله . فيذكر الروايات الأربع الآية : الأولى - نسخ الحكم الذي كان الله قد ألزمه بقوله : لا يحل لك النساء من بعد . - فأعلمه الله أنه قد أحل له أزواجه اللواتي عنده . وحرهن من ساء معهن في هذه الآية .

الثانية - أن الله تعالى أعلمه أن الإباحة ليست مطلقة في جملة النساء . وإنما هي في المصنفات المذكورات . من بنات العم والمعات . ههنا الخال والخالات . البنات . والمهاجرات . واللوات .

الثالثة - أنه إنما أباح له نكاح السليمة . أما الكافرة . فلا سبيل له اليها . على ما يأتي بيانه . إن شاء الله تعالى . الرابعة : أنه لم يحل له نكاح الأمهات . أيضا . صيانة له . وتكثيرة لقدرة . على ما يأتي بيانه . إن شاء الله تعالى .

ومعنى الكلام قد روي عن ابن عباس . قوله : " وأما مبروسة ان وهبت نفسها للنبي " - بعد أن يذكر عدة آراء . في سبب نزول الآية . يقول ابن العمري : " أما سبب نزول هذه الآية فلم يرد عن طريق صحيح . وإنما هذه الأقوال وأردة بطريق غير علمي ولا ريب . في أنه روي عن ابن عباس ومجاهد . أنها قالوا : لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امرأة موهومة . وقد بينا الحديث الصحيح في معنى المرأة الى النبي " .

بنت الطارث بلا مهر ، وكانت وهبت نفسها للنبي . وروى عن علي بن الحسين عليه السلام ، أنها امرأة من بني أسد يقال لها : أم شيك . وقال الشمسي :

• صلى الله عليه وسلم ، ووقعها عليه ، وهبتها نفسها له ، عن طريق سهل وغيره في الصحاح ، وهو القدر الذي ثبت عنده ، وصح نقله . والذي يتحقق أنها لما قالت ، للنبي صلى الله عليه وسلم : وهبت نفسي لك ، فكنت عندها ، حتى قام رجل فقال : زوجنيها يا رسول الله ، إن لم تكن لك بها حاجة . ولو كانت هذه الهبة غير جائزة لما سكنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . ثم ذكر أن عائشة قالت : " أما تستحي امرأة أن تهب نفسها " - حتى أنزل الله الآية . ثم قال : " فاقضى هذا اللفظ أن من وهبت نفسها للنبي هبة ، ولكنه لم يثبت عندنا أنه يتزوج حين واحدة أم لا " . - قوله : وامرأة ؛ المعنى أحللتك امرأة تهب نفسها من غير صداق ، فإنه أحل له في الآية قبلها أزواجه اللاتي لم يزوجهن . وهذا معنى يشاركه فيه غيره ، فزاده فضلا على أنه أن أحل له الموهبة ، ولا تحل لأحد غيره . - قوله : موهبة . وهذا تعميم من طريق التخصيص بالتعليل والتشويق ، لا من طريق دليل الخطاب ، حسبما تقدم بيانه في أصول الفقه ، وفي هذا الكتاب في أصل هذا الكلام أن الكافرة لا تحل له . . . - قوله : إن وهبت نفسها - وهذا يبين أن النكاح عقد معاوضة ولكنه على صفات مخصوصة من جملة المعاوضات . وأجارة جهالة للأجارات ، ولهذا سعى الصداق أجرة . فأباح الله لرسوله أن يتزوج بغير الصداق ، لأنه أولس بالمؤمنين من أنفسهم ، وقد تقدم ذكره .

قوله : إن أراد النبي أن يستكحبها : معناه : أنها إذا وهبت نفسها لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فرسول الله ، صلى الله عليه وسلم مخير بعد ذلك إن شاء تكحبها وإن شاء تركها ، وأما بين ذلك ، وجعله قرأنا يتلى ، والله أعلم . لأن من كان أخلاقه نهيها أن يقبل من الواهب هبته ، ويرى الأكارم أن رد هذا هبة في العادة ، ووصة على الواهب وأذية لقلبه ، فبين الله ، سبحانه ، ذلك في حق رسوله ، لرفع الحرج عنه ، وليرسل ظن الناس في عاداتهم وقولهم . قوله : خاصة لك - وقد اختلف العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال : أحدها - خاصة لك : إذا وهبت لك نفسها أن تتكحبها بغير صداق ولا ولي . وليس ذلك لأحد بعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قاله قتادة . - وقد أنفذ الله لرسوله نكاح زهيب بنت جحش في السماء بغير ولي من الخلق ولا بذل صداق من النبي ، صلى الله عليه وسلم (انظر قوله ، قيل ذلك في ١٥٤٢) وكان غرض الصداق بعد ذلك لها () .

الثاني : نكاحه بغير صداق ، قاله سعيد بن المسيب .
الثالث : أن عقد نكاحها يفظ الهبة خاصة لك ، وليس ذلك لغيرك من المؤمنين ، قاله الشعبي .

قال القاضي : القول الأول والثاني وأجماع إلى معنى واحد ، إلا أن القول الثاني أصح من الأول ، لأن سقوط الصداق المذكور في الآية ، ولذلك جسامات ، وهو قوله : إن وهبت نفسها للنبي ، فأما سقوط الولي فليس له فيها ذكر .

هي امرأة من الأنصار . وقيل : زينب بنت خزيمة من الأنصار . - وعدنا أن النكاح بلفظ الهبة لا يصح . وإنما كان ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة .

• وإنما يؤخذ من دليل آخر هو أن للولي النكاح ، وأما منع لفظ الثقة بالمسرة في اختيار أعيان الأزواج ، وخوف غلبة الشهوة في نكاح غير الكفا ، والحق المار بالأولياء . وهذا معدوم في حق النبي صلى الله عليه وسلم . . . وينقل ابن العربي إلى أرباب قوله : خالصة لك ، وحقيقته هذه : " أنه حال من ضمير متصل بفعل مضارع مفعول عليه الْمُتَّطَهَّرُ ، تقديره : أحللتنا لك أزواجك ، وأحللتنا لك امرأة مؤمنة ، أحللتنا خالصة بلفظ الهبة ، وغير عداق ، وطيه أن ينسب معنى الخلوص ، ها هنا . - قول : هو خلوص النكاح له بلفظ الهبة ، دون غيره ، وطيه انتهى معنى الخلوص ، ها هنا . وهذا ضيف . لانا أن قلنا إن نكاح النبي صلى الله عليه وسلم ، لابد فيه من الولي ، وطيه يدل قوله لمعروبن أبي سلمة ، وبهية ، حين زوج أمه : قم يا غلام زوج أمك . ولا يصح أن يكون المراد بالآية هذا ، لأن قول الموهبة : وهبت نفسي لك ، لا ينمق به النكاح . ولابد بعده من هذه مع الولي ، فهل ينمق بلفظه وصفته أم لا ؟ مسألة أخرى لا ذكر للآية فيها . - وأطال كثيرا في هذا ثم انتقل إلى قوله : من دون المؤمنين ، فقال إن فائدته " أن الكفار ، وإن كانوا بخاطرين بفروج الشريعة ، عدنا ، فليس لهم في ذلك دخول ، لأن تصرف الأحكام إنما تكون بينهم على تقدير الإسلام . - قوله : قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم : قوله : فرضنا : بينا معنى الفرض ، والقدر المختص بهذه المسألة ، من ذلك : أن الله أحرر أن طيه سابق بكل ما حكم به وقدر على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخته ، في النكاح ، وأعداده ، وصفاته ، وطك البين وشروطه بخلافه ، فهو حكم سبق به العلم ، وقضاء حق به القول للنبي في تشريعه والمُتَّحَا المرسل إليه بتكليفه . - قوله : تعالى : لكيلا يكون طيه حرج أي ضيق في أمورات فيه محتاج إلى المسحة ، كما أنه يتحقق طيه في أمر لا يستعظم من فيه شسوط المسحة عليهم .

قوله : تعالى : وكان الله قهرا رحيما . . . أنه لم يرأخذ الناس بذنوبهم بل يغفرهم ، ورحيم وقهر وسله الكرام ، فجميلهم فوقهم ، ولم يعط على مقدار ما يستحقون ، إذ لا يستحقون عليه شيئا بل زادهم من فضله وعصم برفقه ولطفه . ولو أخذهم بذنوبهم ، وأعطاهم على قدر حقوقهم ، عد من يرى ذلك من الجدقة ، أو على تقدير ذلك فهم لما وجب للنبي صلى الله عليه وسلم ، شيء ، ولا غير الخلق ذنب ، ولكنهم أنعم على الكل ، وقدم شازل الأنبياء ، صلوات الله عليهم ، وأعطى كلا على قدر طيه وحكمه وحكمته . وذلك كله بفضل الله ورحمته .

ومعد هذا الأسباب الانشائي الذي سناه . - في فهمنا للنصوص - غير مقصد م ولا مؤخر ، وينقل ابن العربي إلى الآية الحادية والخسين - التي نواه فطسرا من الآية السابقة - فيأخذ في عرجها اجتقلا بها ، على النحو الآتي : يأتي بالآية ثم يقول إن فيها عسر مسائل ثم يتناولها هكذا : " المسألة الأولى ، في سبب نزولها ، وفي ذلك خمسة أقوال : الأول : روى أبو زرعة العتيلي أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، فلن : يا رسول الله ، اجعل لنا من نفسك وملك ما شئت ، فكانت منهن سودة بنت زمعة :

وقال قوم : يصح ، غير أنه يلزم المهر إذا دخل بها ، وأما جاز ، فلا مهر ، للنبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، خاصة ، غير أنه يبين حجة ما قلناه قوله : ان أراد النبي أن

وجوبه ، وصفة ، وصيغة ، وأم حبيبة ، غير قسم لهن . وكان من آوى عائشة (وحصة) وأم سلمة وزينب ، يضمن وقسم لهن . قاله الضحاك . - الثاني - : قال ابن عباس : أراد : من شئت أميكت ، ومن شئت طلقته . - الثالث : كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، إذا خطب امرأة لم يكن لرجل أن يخطبها حتى يتزوجها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أو يتركها . - والمعنى : اترك تكاح من شئت ، وانكح من شئت . قاله الحسن . الرابع - : تعزل من شئت ، ويضم من شئت ، قاله قتادة . - الخامس - : قال أبو رزين : تعزل من شئت عن القسم ، ويضم من شئت الى القسم . ثم يأخذ في المسألة الثانية فيها يسميه " تصحيح هذه الأقوال " فيقول : " أما قول أبي رزين فلم يرد من طريق صحيحة " وينقل عن الصحيح " أن سودة لما كبرت قالت : يا رسول الله ، اجعل يوس منك لعائشة . فكان يقسم لبعائشة يوسين ، ويوسها يوم سودة " . أما قول الحسن فليس بتصحيح ، يصل ذلك بأن " استماع خطبة من يخطبها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليس له ذكر ولا دليل في شيء من معاني الآية ولا ألفاظها " - المسألة الثالثة - قوله : ترجى من تشاء ضمن وتزوي اليك من تشاء : - - يعني تزويخر ويضم . وقال : أرجأته : إذا أخرته ، وأجيت فلانا : إذا ضمته وجعلته في ذراكه في جلتك . "

وحكى ابن العربي في ذلك ستة أقوال : الأول - تطلق من شئت وتسلمك من شئت قاله ابن عباس ، الثاني : تترك من شئت وتكح من شئت ، قاله قتادة ، الثالث : ما تقدم من قول أبي رزين ، الرابع : تضم لمن شئت وتترك من شئت . - الخامس : ما في الصحيح عن عائشة ، قالت : كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأقول : اتعب المرأة نفسها . - السادس : ثبت في الصحيح أيضا ، عن عائشة ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كان يستاذن ، ونسي يوم المرأة منا ، بعد أن نزلت هذه الآية . "

ومضى هذه الأقوال يتداخل مع ما قد شاء في سبب نزولها ، وهذا الذي ثبت في الصحيح ، وهو الذي ينهي أن يعمل عليه . والمعنى المراد هو أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، كان مخيرا في أزواجه أن شاء أن يقسم وإن شاء أن يترك القسم ترك ، لكنه كان يقسم من يترك نفسه ، دون فرض ذلك عليه ، فان قول من قال : انه قيل له : انكح من شئت وأترك من شئت ، فقد افاده قوله : انا احللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن - الي - خالصة من دين المؤمنين - حبيبا تقدم بيانه من الابتداء في ذلك والانتها إلى آخر الآية ، فهذا القول يحل على فائدة مجردة ، فأما وجوب القسم فان التكاح يقتضيه ، يلزم الزوج ، فخص النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في ذلك بأن جعل الأمر فيه اليه . فان قيل : فكيف يقال : ان القسم غير واجب على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وهو عليه السلام ، كان يعدل بين أزواجه في القسم ، فيقول : هذه قدرتي فيها أملك فلا تلحق فيها تلك ولا أملك - - يعني : قلبه ، لا يثار عائشة دون يكون يظهر ذلك في شيء من فعله . قلنا : ذلك من خلال النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وفعله ، فان الله ، عز وجل ،

يبتكحها ، خالصة لك من دين المؤمنين . - فبين أن هذا الضرب من النكاح خاص
لهدون غيره من المؤمنين . وقوله : قد طعنا ما عرضنا عليهم ، معنى : على المؤمنين :
في أزواجهم . قال قتادة ، معناه ، أى لا نكاح إلا بولي وشاهدين ومصدق .

- إعطاء سقوطه ، كان هو ، صلى الله عليه وسلم ، يلتزمه ، تطهيرا لنفوسهم .
وسئل عن أنوال الصيرة ، التي بها ترقى إلى ما لا ينهى .
المسألة الرابعة : قوله : ومن ابتغيت من عزلة - معنى : طلبت . والابتغى :
فى اللغة ، هو الطلب ، ولا يكون إلا بعد الإرادة . قال الله تعالى :
مخيرنا عن موسى : ذلك ما كنا نخشع .
المسألة الخامسة : قوله : بين عزلة - معنى : أزلت . والعزلة : الإزالة .
والمعنى : ومن أردت أن تَصِفَ وَتُؤَمِّدَ بِهِم بعد أن أزلته ، فقد نلت ذلك ، وعدنا
وجوده . - المسألة السادسة - وتركها محيلا على ما تقدم ، العائسة :
قوله : ذلك أدنى أن تقرأعنهين ولا يحزن ويرضين بها أنتهين كلهن . - والمعنى :
أن الأمر إذا كان الإذناء والافتناء لهن ، والتقريب والتباعد اليك ، فعمل من ذلك
ما عشت ، كان أقرب إلى قرعة أعنهين ، وراحة قلعهين ، لأن البر ، إذا لم أنه لا حق
له فى شيء ، كان راضيا بما أوتي منه وإن قلَّ ، وإن علم أن له حقا لم يقمه ما أوتي منه ،
واستدت لغيره عليه ، وعظم حرصه فيه ، فكان ما فعل الله لرسوله من غرض الأسر
اليه ، فى أحوال أزواجه ، أقرب إلى رضاهن معه ، واستقرار أعنهين على ما يسمع
به من لهن ، دين أن تتلقى قلعهين بأكثر منه ، وذلك قوله فى - المسألة
الثامنة - ولا يحزن ويرضين بها أنتهين كلهن - : المعنى : وترضى كل واحدة
بما أنتهت من قليل أو كثير ، لعلها بأن ذلك غير حق لها ، وإنما هو فضل تغضل
به عليها ، وقليل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كثير ، وأمر زوجته ، والكون
فى صمته ، وسعة ، فى الآخرة ، فى درجته ، فضل من الله كبير . المسألة
التاسعة - قوله : والله أعلم ما فى قلعهكم - . وجه تخصيصه بالذكر ، ها هنا ،
التنبه على أنه يعلم ما فى قلعهنا من ميل إلى بعض ما عدنا من نساء دين بعض ،
وهو يسمع فى ذلك ، إذ لا يستطيع المبدأ أن يصرف قلبه عن ذلك الميل ، وإن كان
يستطيع أن يصرف فعله . ولا يؤخذ البارى ، سبحانه ، بما فى القلب من ذلك ،
وإنما يؤخذ بما يمكن من فعل فيه ، وإلى ذلك يعود قوله : وكان الله مقورا رحما .
وهى المسألة العاشرة . - والزبحرى ٣ : ٢٦٧ - ٢٧٠ يكاد لا يضيف جد يسدا
سوى الأسلوب فى العرض ، حيث يقول : " أجورهن : مهورهن . " فان قلت : لم
قال : اللاتي أنتهت أجورهن ، وسأفأ الله عليك ، واللاتي هاجرن معك ؟ وسأ
فائدة هذه التخصيصات ؟ قلت : قد اختار الله لرسوله الأفضل الأولى واستحب
بالأطيب الأزكى ، كما اختص بغيرها من الخصائص وأثره بها سواها من الأثرة وذلك
أن تسمية المهورنى المقد أولى وأفضل من ترك التسمية ، وإن وقع العقد جائزا
وله أن يتأخرا ، وطيه مهر المثل أن دخل بها ، والمتعة أن لم يدخل بها ، وسوق
المهر إليها عاجلا أفضل من أن يحسبه ويؤجله . وكان التعجيل تدقيق المثل وسنتهم
وما لا يعرف بينهم غيره . وكذلك الجارية إذا كانت مبيعة مالكا ، وتخطئة سفيه ورجمه
وسأ عنه الله من دار الحرب : أهل وأطعم ما يشتري من شق الطبيب . والسبس
على شربين : سبى طيبة ، وسبى خبيثة ، فسمى الطيبة ما شرب من أهل الحرب .

ولا يتجاوز الأربع - وقال مجاهد : ما فرضا عليهم ألا يتزوجوا أكثر من أربع -
 وقال قوم : ما فرضا عليهم في أزواجهم من الثقة والقصة وغير ذلك وهذا أن الشاهدين
 ليسا من عرصة صحة انعقاد العقد - ولا أولى إذا كانت المرأة بالغة وعقيدة - لأنها
 ولية نفسها - والمعنى : على مذهبنا ، أنا قد علمنا ما فرضا على الأزواج من مهرهن

- وأما من كان له عهدٌ فالعيسى منهم بين عهدة - يدل عليه قوله : تعالى :
 يا أيها الله عليك - لأن فيمن الله لا يطلق إلا على الطيب دون الخبيث ، كما
 أن رزق الله يجب أخلاقه على الحلال دون الحرام - وكذلك اللاتي هاجرن مع
 رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من قرأته غير المحارم ، أفضل من غير
 المهاجرات مع - - ومن أم هانئ بنت أبي طالب : خطبت رسول الله ، صلى
 الله عليه وسلم ، فاعترضت إليه ، فمضى ، ثم أتت الله هذه الآية ، فلم أحل
 له ، لأنني لم أحاربهم : كنت من الطلقاء - - وأحلنا لك من وقع لها
 أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهرًا ، من النساء الموتيات ما نأخذ ذلك ، ولذلك
 نكحنا - وأخبرني أخاقي ذلك ، فمن ابن عباس ، رضى الله عنهما : لم يكن
 عند رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أحدٌ منهن بالهبة - - قول : الموهبات
 أربع : سبعة بنت العمر ، فطلب بنت خزيمة أم السكينة الأتمية ، وأم شريك
 بنت جابر موهبة بنت حكيم ، رضى الله عنهن - - ترى : إن رخصت - طس
 الشرط - وقرا الحسن ، رضى الله عنه : أن ، بالفتح ، على التعليل ، فغير
 حذف اللام - يجوز أن يكون مدرا محذوفا بعد الزمان ، فان قلت : ما معنى الشرط
 الثاني مع الأول ؟ قلت : هو عقيد له ، شرط في الإحلال جهتها نفسها
 وفي الهبة إرادة استحكاك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كذا قال : ألقناها
 لك أن رخصت لك نفسها ، وأنت تريد أن تستكحمها ، لأن إرادته هي قبول الهبة
 وإيه تم - فان قلت : لم عدل عن الخطاب إلى الغيبة ، في قوله تعالى :
 نفسها للنبي ، أن أراد النبي ، ثم رجع إلى الخطاب ؟ قلت : للأنه أن يأنس
 ما حُسَّ وأثر - وجهه على لفظ النبي للدلالة على أن الاختصاص نكوة له لا جمل
 النبوة ، وتكريره مخيم له وتقرير لاستحقاقه الزكاة لهبه - - واستكحمها : طلب
 نكاحها والوقعة فيه - وقد استشهد أبو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة ، لأن
 رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأتت سوا في الأحكام ، إلا أنها حصة الدليل -
 وقال القاضي : لا يصح ، وقد عصى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بمعنى
 الهبة يقبضها جميعا ، لأن اللفظ تابع للمعنى ، والذي للاشتراك في اللفظ
 يحتاج إلى دليل - وقال أبو الحسن الكرخي : أن عقد النكاح بلفظ الإجارة جائز
 لقوله ، تعالى : اللاتي أتيت أجورهن - وقال أبو بكر الرازي : لا يصح ، لأن
 الإجارة قد موت ، وقد النكاح موبد ، فيها متجان - - خاتمة : بعد موجد
 كره الله ، وصيغة الله ، أي علم لك أحلال ما ألقنا لك ، خاتمة بمعنى
 خلاصا - والتاقل والقاطعة في المأذونتين مكالخرج والقاعد والمغنية
 والكاذبة - والدليل على أنها ودعت في أثر الإحلال الأربع ، مخصوصة برسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، على سبيل التوكيد لها ، قوله : قد علمنا ما فرضا عليهم
 في أزواجهم وأهلك أيمانهم - بعد قوله : من دون الموتين ، وهي جملة آخراتهن -

وفقتهم وغير ذلك - ومن الحقوق مع ما ملكت أيانهم : " ما " في موضع جسر ،
لأنها عطف على " في " وتقدمه : في أزواجهم ، وفي ما ملكت أيانهم ، لكيلا يكون
عليك حرج ، إذا تزوجت المرأة بشهر مهر ، إذا وهبت لك نفسها وأودتها ، ثم قال
وكان الله غفورا رحيبا - أي سائرا للتنبؤ على المسكين رحيبا بهم ونحما عليهم .

• وقوله : لكيلا يكون عليك حرج : متعل بخالصة لك من دين المؤمنين . ومعنى
هذه الجملة الاعتراضية : أن الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الأزواج والامان
وعلى أي حد وصفي يجب أن يفرض عليهم ، وفرضه ولم المصلحة في اختصاص رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، بما اختص به ، فعمل . ومعنى لكيلا يكون عليك حرج :
لئلا يكون عليك ضيق في دينك ، حيث اختصناك بالتزويج واختيار ما هو أولى وأفضل
وفي دينك ، حيث أحلنا لك أجناس النكوحات ، وزدنا لك الواجبة نفسها . وفي
خالصة ، بالرفع ، أي ذلك خلوس لك وخصوصي ، من دين المؤمنين . ومن جعل
خالصة نعتا للمرأة ، فعلى مذهبه : هذه المرأة خالصة لك من دينهم . وكان الله
غفورا : للواقع في الحرج ، إذا تاب ، رحيبا : بالتوسعة على عباده - روى أن
أسباط المؤمنين حين تغابنوا بمتعين زيادة النفقة ، وظن رسول الله ، صلى
الله عليه وسلم ، هجرهم شهرا ، ونزل التخيير ، فاشتق أن يطلقهم ، فقلن :
يا رسول الله ، افرض لنا من فعلك ما أحببت ، ترجى . بهز وغيره :
توخر ، وتؤوى : تضم . معنى : تترك مضاجعة من تشاء ، من تشاء ، من تشاء ،
أو تطلق من تشاء ، وتعلمك من تشاء ، أو لا تقم لأيتن شئت ، وتقم لمن شئت .
أو تترك تتزوج من شئت من تشاء ، أمك وتتزوج من شئت . ومن الحسن ، وفي الله ضة :
كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، إذا خطب امرأة لم يكن لأحد أن يخطبها حتى
يذهبها - وهذه تسمية جامعة لما هو الغرض ، لأنه إما أن يطلق ، وإما أن يحكم ، فإذا
أمك ضاجع أو ترك ، وقسم أولم يقسم ، وإذا طلق و عزل ، فإما أن يخلي المملوكة
لا يشتريها أو يشتريها . روى أنه أرجى منهن سودة وجوهية وصفية وميمونة وأم حبيبة ،
فكان يقسم لهن ما شاء ، كما شاء . وكانت من أوى عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب ، رضي
الله عنهن . أرجى خصا وأوى أيتها . وروى أنه كان يسوى ما أطلق له وغيره
الاسود ، فأنها وهبت ليلتها لعائشة ، قالت : لا تطلقني حتى أحضر في زمة
نساءك - ذلك : التضيض إلى مشيئةك ، أدنى إلى قوة عيوض ، وقلة حزنهن ،
ورضاهن جميعا ، لأنهن لم يوسعن في الأجر والأرجاء والعزل والابتغاء ، وارتفع
التفاضل ، ولم يكن لأحداهن ما تريد وما لا تريد . إلا مثل ما للأخرى ، وطعن
أن هذا التضيض من عند الله صحيح . الطائفت نفوسهن ذهاب التنافس والتفاير
وحصل الرضا وقرت العيون وملت القلوب ، والله يعلم ما في قلوبكم فيه وعد لمن لم
تروض شهن بما دبر الله من ذلك فوضي إلى مشيئة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
وما فيه طيب نفسه . وقرى : يقرر أعينهن - بمن التاء ، نصب الأمين ، وقصر
أعينهن ، على البناء للمفعول . وكان الله عليا ، بذات الصدور ، حليها
لا يماجل بالمعاقب ، فهو حقيق بأن يتقى صعدا . كلهن : تأكيد لثوبن يرضين . . .

وينقل الطوسي الى آيتين ، اجتمع لديه شرحها ، هـ ٥١ و ٥٢ مبهما منهما
 هنا الأولى ، وسرى أن اللبنة كانت مرحلة أخيرة من النظام الخاص بزواج النبي ، صلى
 الله عليه وسلم ، سنعود اليها فيما بعد : يقول ، في آية : ترجى من تشاء ...

■ ومثال آخر لدى الشيعة الامامية يقدمه الطبرسي (٨ : ١٨٨ - ١٩٤) وهو على
 طريقة شيخه الطوسي ، في تفسير الآيات وجمعها ، وسرى أنه قد يضيف الى تفسيره
 أحيانا ، بعض الإضافات . وهو ، على أية حال ، يقول في الآية الخمسين :
 أن الله ، خاطب النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا أيها النبي إننا
 أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن ، أي أعطيت مهورهن ، ولا يظن قد يكون
 بالأداء ، وقد يكون الالتزام . - وما ملكت يمينك : أي وأحللتنا لك ما ملكت يمينك من الاماء ،
 ما أفاء الله عليك من الغنائم والأطفال ، فكانت من الغنائم ما به القبطية ، أم ابنه
 ابراهيم ، ومن الأطفال : صفية ، وجارية ، وأعقبها وتزوجها . - وثالث ملكه ، أي
 وأحللتنا لك ثلث ملكك وثالث ممتلكاتك ، يعني : نساء قحش ، وثالث خالك وثلاث
 خالاتك ، يعني : نساء بني زهرة اللاتي هاجرن معك . الى الدينية .
وهذا انما كان قبل تحليل غير المهاجرات ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل
وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ، أي : وأحللتنا لك امراة صدقة بتوحيد الله
تعالى ، وهبت نفسها منك بغير صداق - وغير المؤمنة ان وهبت نفسها بنفسك
 بغير صداق - وغير المؤمنة ان وهبت نفسها منك لا تحل لك - ان أراد النبي أن
 يستحكمها ، أي : أنزل النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، نكاحا ورث فيها ،
 خاصة لك من دون المؤمنين ، أي : خاصة لك دون غيره . قال ابن عباس :
 يقول : لا يحل هذا لفريق ، وهو لك حلال . وهذا من خاصته في النكاح ،
 فكان ينقد النكاح له بلفظ الهبة ، ولا يتعقد ذلك لأحد غيره . واختلف في أنه
 هل كانت عند النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، امراة وهبت نفسها له ، أم لا ؟
 فقيل : انه لم يكن عند امراة وهبت نفسها له - عن ابن عباس وبجاهد . - وقيل :
 بل كانت عند امراة صبيحة بنت الحارث ، بلا مهر ، وقد وهبت نفسها للنبي ، في رواية
 أخرى عن ابن عباس وقطادة . - وقيل : هي زينب بنت خزيمة أم السالكين ، امراة
 من الانصار - عن الشعبي . - وقيل : هي امراة من بني أمد ، يقال لهما :
 أم شريك بنت جابر - عن علي بن الحسين عليه السلام ، والضاحك ومقاتل . - وقيل :
 هي خولة بنت حكيم - عن عروة بن الزبير . - وقيل : انها لما وهبت نفسها
 للنبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، قالت عائشة : ما بال النساء يذلن أنفسهن
 بلا مهر ، فنزلت الآية . - قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم - معناه :
 قد علمنا ما أخذنا على المؤمنين في أزواجهم من المهر ، والحصر بعدد مهور
 ووضعتنا عنك ، تخفيفا عنك ، وما ملكت أيانكم - أي : وما أخذنا عليهم في ملك
 البهائم ، ألا يقع لهم الملك الا بوجوه معلومة ، من الشؤ^ن والهبة والارث والبيع
 وأباحت لك ذلك ، وهو الصفي الذي تعطينه لنفسك من المسمى . وانما خصصناك .

هذا خطاب من الله تعالى له نبيه صلى الله عليه وآله وسلم يخبره في نكاحه
بين أن يرجى شهن من تشاء أي توغر وتبعد . قال ابن عباس : خبره الله بيمين
طلاقهن وأساكنهن . وقال قوم : معناه : ترك نكاح من شئت وتكح من شئت بسن

على علمنا بالصلحة فيه ، من غير محاباة ولا جزاء ، لكيلا يكون عليك حرج ،
أي : ليرفع عنك الحرج ، وهو الخفي والاثم . وكان الله يقووا لذنوبهم .
رحمهم بهم ، أو بك في رفع الحرج عنك . ثم ينقل الطبرسي إلى جموعة من
الآيات منها الآية الطادية والخسون التي تمها هنا ، فيقول : في المعنى اللغوي
" الأرجاء " هو التأخير ، يكون من تمهد وقت الشيء من وقت غيره ، ومنه الأرجاء
في فساق أهل الصلاة ، وهو تأخير حكمهم بالعقاب إلى الله تعالى .
والأرجاء : ضم القادر غيره من الأحكام ، الذين هم من جنس ما يعقل ، التي تاحته
يقال : أعت الإنسان أهله ، وأرى هو يأوى أبا : إذا انضم إلى مأواه : -
وفي أسباب النزول يقول " نزلت حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي صلى
الله عليه وآله وسلم ، وطلب بعضهن تادة النفقة ، فبجهرن شهرا ، حتى نزلت
آية التخيير ، فأمره الله تعالى ، أن يخبرهن بين الدنيا والآخرة ، وأن يخلص
سبيل من اختار الدنيا ، وصك من اختار الله ورسوله ، على أنهن أمهات المؤمنين .
ولا يتكهن أبدا ، وعلى أنه يؤذى من يشاء شهن ، ويرجى من يشاء شهن ، ورضين
به ، قسم لمن أو لم يقسم ، أو قسم لبعضهن ولم يقسم لبعضهن ، أو فضل لبعضهن
على بعض في النفقة والقسمة والعشرة ، أو سوى بينهما . والأمرني ذلك إليه ،
يفعل ما يشاء . وهذه من خاصه ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فريض بذلك كله ،
واختاره على هذا الشرط ، فكان صلى الله عليه وآله وسلم يسيو بينهما ، مع
هذا ، إلا المرأة شهن أراد طلقها وهي سودة بنت زمعة ، نرضيت بترك القسم ،
وجعلت يومها لمانعة . - عن ابن زيد وغيره . وقيل : لما نزلت آية التخيير ،
أشفق أن يطلقن ، فنقلن : يأنس الله ، أجعل لنا من مالك ونفسك ما عشت
ودعنا على حالنا ، فنزلت الآية . وكان من أرجى شهن سودة وصفية وجوهية وأم حبيبة
فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء . وكان من أرى إليه طائفة وخصة وأم سلمة ونسب .
وكان يقسم بينهما على السواء ، لا يفضل بعضهن على بعض . عن ابن عباس
وفي شرح المعنى يقول " : خاطب ، سبحانه ، نبيه ، صلى الله عليه وآله وسلم ،
يخبره في نكاحه ، فقال : تخرج من تشاء شهن وتزوي الهك من تشاء ، أي : توغر
وتبعد من تشاء من أزواجك ، وتضم الهك من تشاء شهن . واختلف في معناه على أقوال :
أحدها - أن المراد : تقدم من تشاء من نساءك في الأيواء الهك ، وهو الدعاء الذي
الفرأه ، وتوخر من تشاء في ذلك . وآخر من تشاء شهن في القسم ، ولا تدخل
من تشاء . - عن قتادة ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقسم
بين أزواجه ، وأباح الله له ترك ذلك .

وظنهما - أن المراد : تعزل من تشاء شهن يغير طلاق ، وتزوي الهك من تشاء .

نساء أمك • قال مجاهد : معناه : تمزل من شئت من نساءك • فلا تأتيتها •
وتأتى من شئت من نساءك فلا تقسم لها • فعلى هذا يكون القسم ساقطاً عنه • فكسان
من أرجى ميمونة وأم حبيبة وصفية وسودة • فكان يقسم لهن من نفسه وماله ما شئنا •

• من بعد عزلها بما بها بلا تجديد عقد • عن مجاهد والجباي وأبى سلم •
وطائفا • أن المواد : تطلق من نساء • من نساء • عن ابن عباس •
وأيضا • أن المواد : ترك نكاح من نساء • من نساء أمك • وتكح من نساء •
• عن الحسن • قال : وكان • صلى الله عليه وآله وسلم • إذا خطب المرأة • لم
لم يكن لغيره أن يخطبها • حتى يتزوجها أو يتركها •
وطائفا • تقبل من نساء • من الموات التي يهين أنفسهن لك فتوهبها اليك •
وتترك من نساء • من نساء • عن زيد بن أسلم والطبري • قال أبو جعفر وأبو
عبد الله • عليهما السلام : من أرجى لم ينكح ومن أوى فقد نكح •
ومن ابتغيت من عزلت فلا جناح عليك : أي ان أردت أن تؤوي اليك امرأة ممن
عزلتهن عن ذلك • وتضمها اليك فلا سبيل عليك بلوم ولا عيب • ولا اثم عليك في ابتنائها •
أباح الله • سبحانه • له ترك القسم في النساء • حتى يزوجهن من نساء • من وقت نكحتها •
خطا من نساء • في غير وقت نكحتها • له أن يحزل من نساء • وله أن يرد الممثلة
ان شاء • فضله الله • تعالى • بذلك على جميع خلقه • • ذلك أدنى أن يحزر
أعينهن ولا يحزن ويرضين به أنتهن كلهن : • معناه • أنهن إذا علمن أن له ردهن
الى نواصيه • بعد ما اعتزلن • عقرت أعينهن ولم يحزن • يرضين به بفعله النبي •
صلى الله عليه وآله وسلم • من التسمية والتفضيل • لأنهن يعلمن أنهن لم يطلقن • عن
ابن عباس ومجاهد • وقيل : معناه : ذلك أطيب لنفسهن وأقل لحزنهن • إذا علمن
أن لك الرخصة بذلك من الله • تعالى • يرضين به بفعله النبي • صلى الله عليه
وآله وسلم • من التسمية والتفضيل • عن قتادة • وقرة العين عبارة عن الضرور •
وقيل : ذلك : المعرفة شهوة بأنك إذا عزلت واحدة كان لك أن تزوجهما بعد • ذلك
أدنى بضرورهن وقرة أعينهن • عن الجباي • وقيل : معناه : تزول الرخصة من الله •
تعالى • فأقر لأعينهن وأدنى الى رضاهن بذلك • ليحلن به لهن في ذلك من الثواب
في طاعة الله • تعالى • ولو كان ذلك من قبلك لحزن وحلن ذلك على حلك السي
بعضهن • والله يعلم ما في قلوبكم • من الرضا والسخط • والهيل الى بعض النساء •
دون بعض • وكان الله عليهما • بمسالع عباد • • في ترك معاجلتهم بالعقوبة •
جاء في فخر الدين الرازي (٨٥٦ : ٨٦٠) بالآية الخمسين فيشرحها قائلاً :
" ذكر للنبي • عليه السلام • ما هو الأولى • فان الزوجة التي أوتيت مهرها أطيب قلباً
من التي لم توت • والمملوكة • التي سهاها الرجل بنفسه • أطهر من التي اشتراها
الرجل • لأنها لا يدري كيف حالها • ومن هاجرت • من أقارب النبي • عليه السلام •
معه أشرف من لم تهاجر • ومن الناس من قال : بأن النبي • عليه الصلاة والسلام •
كان يجب عليه إعطاء المهر أولاً • وذلك لأن المرأة لها الامتناع الى أن تأخذ مهرها •

وكان من يأوى عائشة وحصة وأم سلمة وزينب • فكان يقسم نفسه وماله بينهن بالمهيسة •
وقال زيد بن أسلم : تزوتني اللاتي وهبن أنفسهن • فقال الله له : تزوج من شئت منهن
وأترك من شئت • وهو اختار الطهري • وهو البقي بما عظم • فالأرجح • هو الأخير —

والنبي • عليه السلام • ما كان يستوفى ما لا يجب له • الوطء • قبل إيطاء الصداق
غير مستحق • وإن كان حلالا لنا • وكيف والنبي • عليه السلام • إذا طلب عينا
حرر الانتاع على المطلوب ؟ والظاهر أن الطالب • في المرة الأولى • أنها يكون
هو الرجل • لحاء المرأة • فلو طلب النبي • عليه السلام • من المرأة التكبس •
قبل المهر • للزمن أن يجب وأن لا يجب • وهذا محال • ولا كذلك أحدنا •
وقال : صوّدت هذا قوله • تعالى : وأمرأة مؤمنة • أن وهبت نفسها للنبي • يعني
حيث لا يبقى لها صداق • تفسيره الاستغنية مهرها • وقوله • تعالى : أن أراد النبي
أن يستكحبها : إشارة إلى أن هبتها تقسّمها • لا بد منها من قبول • وقوله •
تعالى • خاصة لك من دون المؤمنين • قال الشافعي • رضى الله عنه : معناه •
إباحة الوطء بالبهية وحصول التزويج بالحظها • من خواصك • وقال أبو حنيفة : تلك
المرأة سارت خاصة لك زوجة ومن أمهات المؤمنين • لا تحل لفهرك أبدا • والتزويج يمكن
أن يقال بأن على هذا فالتخصيص بالواحدة لا فائدة فيه • فإن أزواجه كلهن أخلاصات
له • وعلى ما ذكرنا يثبت للتخصيص فائدة • — وقوله : قد علمنا ما فرضنا عليهم
في أزواجهن وما ملكت أيديهم : — معناه : أن ما ذكرنا فرضك وحكمك مع نسائك • وأما
حكم أمك • فنعلمنا عليه • وشبهته لهم • وإنما ذكر هذا لكلا يحمل واحد من
المؤمنين نفسه على ما كان للنبي • عليه الصلاة والسلام • فإن له في النكاح خاصص
ليست لفهره • وكذلك في المأوى • — وقوله • تعالى : لكيلا يكون عليك حرج :
أي تكون في غسقة من الأمر • فلا يبقى لك شغل قلب • فينزل الروح الأمين بالآيات
على قلبك الفاني • ويبلغ رسالاتك • فيجدك واجتهداك • — وقوله • تعالى :
وكان الله قهورا رحيما • يغفر الذنوب جميعا • ويرحم العبيد • ثم قال • تعالى :
ترجي من تشاء • من تشاء • وترى اليك من تشاء • ومن ابتغيت من عزلت فلا جناح عليك :
لما بين أنه أحل له • ما ذكر من الأزواج • بين أنه أحل له وجود المعاشرة بهن • حتى
يجمع كيف يشاء • ولا يجب عليه القسم • وذلك لأن النبي • عليه السلام • بالنسبة
إلى أمته • نسبة السيد المطاع • والرجل • وإن لم يكن بها • فالزوجة في ملك نكاحه •
والنكاح عليها • فكيف زوجات النبي • عليه السلام • بالنسبة إليه ؟ فاذن هن
كالمملوكات له • ولا يجب القسم بين المملوكات • والأرجح : الأخير • والأيسر •
الضم • ومن ابتغيت من عزلت : يعني إذا طلبت من كنت تركتها • فلا جناح عليك
في شيء • من ذلك • ومن قال بأن القسم كان واجبا • مع أنه ضعيف بالنسبة إلى الغهوم
من الآية • قال : المواد ترجى من تشاء • أي تزوّجهن • إذا شئت • إذ لا يجب
القسم على الأول • وللزجر أن لا يتم عند أحد منهن • وإن ابتغيت من عزلت
فلا جناح عليك • فأبدا بمن شئت وتسم الدور • والأول أقوى • ثم قال • تعالى :

وهو تيميد وقت الشىء عن وقت غيره ، ومنه الأرجاء فى فساق أهل الصلاة .
وهو تأخير حكمهم بالعقاب الى الله . هـ وتؤذى منهن من تشاء : - فالأبواء : ضم
القادر غيره من الأحباء ، الذين من جنس ما يعقل ، الى غيره أو تاحتته ، يقول : آتت

ذلك أدنى أن عرأعنهن ولا يحزن عرأعنهن بما آتتهن كُتُيبٌ - : يعنى اذا لم
يجب عليك القسم ، وأنت لا تتروك القسم ، عرأعنهن بتشعيتك بهنهن ، ولا يحزن
بخلاف ما لو وجب عليك ذلك ، فليلة تكون عند أحدهن ، يقول : ما جأنى لهوى
قلبه ، وأنا جأنى لأمر الله وأجابه عليه ، يرضون بما آتته من الأرجاء ، والأبواء ،
اذ ليس لهن عليك شىء حتى لا يرضين . ثم قال ، تعالى : والله يعلم ما فى قلوبكم
وكان الله عليها حليماً - أى إن اضمرن خلاف ما أظهرن ، فإله يعلم ضمائر القلوب
فانه عليهم ، فان لم يعاينهن فى الطل ، فلا يخترين ، فانه حليم لا يحجل .
والقرطوبى (١٤ : ٢٠٥-٢١٨) يجعل فى الآية الأولى تسع عشرة مسألة : الأولى
ما روى عن أم هانئ - السابق ذكره مراراً ، وذكر فيه رأى ابن الصوى ، الثانية :
" لما خير رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، نساءه فاخترته ، حرم عليه التمسوج
بغيرهن والاستبدال بهن مكافأة على فعلهن . والدليل على ذلك قوله ، تعالى :
لا يحل لك النساء من بعد - الآية . وهل كان يحل له أن يطلق واحدة منهن
بعد ذلك ؟ فقيل : لا يحل له ذلك جزاءً لهن على اختيارهن له . وقيل : كان
يحل له ذلك لكثيره من الناس ولكن لا يتزوج بدليها ، ثم نسخ هذا التحريم فأباح
له أن يتزوج بمن شاء عليهن من النساء ، والدليل عليه قوله ، تعالى : انا أحللتنا
لك أزواجك . والأحلال يقتضى تقدم حظر . وزوجاته اللاتي فى حياته لم يكن محررات
عليه ، وأنا كان حرم عليه التزوج بالأجنبيات ، فانصرف الاحلال اليهن ، ولأنه
قال فى سياق الآية : هنات معك هنات عطتك - الآية . ومعلوم أنه لم يكن تحت
أحد من بنات عمه ، ولا من بنات عطته . ولا من بنات خاله ، ولا من بنات خالاته :
فثبت أنه أحل له التزوج بهذا ابتداء . وهذه الآية ، وإن كانت مقدمة فى التلاوة ،
فهى متأخرة فى النزول على الآية المنسوخة بها ، كما بينت فى الخافى فى البقرة .
وقد اختلف الناصرى تأويل قوله تعالى : انا أحللتنا لك أزواجك ، فقيل : المسود
بها أن الله ، تعالى ، أحل له أن يتزوج كل امرأة يوتئها مهرها ، قاله ابن زيد
والضحاك . فعلى هذا تكون الآية صحيحة لجميع النساء ، حاشاً ذوات المظان . وقيل
المراد أحللتنا لك أزواجك ، أى الكائنات عندك : لأنهن قد اخترتك على الدنيا
والآخرة . قاله الجمهور من المصنف . وهو الظاهر ، لأن قوله : آتت أجورهن
ماضيه ، ولا يكون القمل الماضى بمعنى الاستقبال الا بشرط . ويحى الأمر ، على
هذا التأويل ، فيبقى على التنبى ، صلى الله عليه وسلم . ويؤيد هذا التأويل
ما قاله ابن عباس : كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يتزوج فى أى الناس
شاء ، وكان يخلق ذلك على نساءه ، فلما نزلت هذه الآية ، وحرم عليه بها النساء
الا من سقى سراً نساءه بذلك . - قلت : وأقول الأول أصح ، لما ذكرناه : صدل .

الانسان آية إلهية • وأوى هوى أياها • إذ انضم إلى مأواه • وقوله : وبين
ابتغيت • معنى : من طلبت • من عزلت • قال قطادة : كان نبي الله يقسم بين أزواجه
فأحل الله • تعالى • له ترك ذلك • - وقيل : ومن ابتغيت أصابته من كنت
عزلت عن ذلك من نساك • وقال الحسن : ترجى من تفا • ضهن : تذكر النساء
للتزويج ثم ترجيها فلا تتزوجها فلا جناح عليك • أى لا جناح عليك فى ابتغاء
من عشت • وأرجاء • من عزلت وأى • من عشت : ذلك

أيضا على صحته ما خرجته التبريد من صلا • قال : قالت عائشة • وضى
الله فيها • ما مات رسول الله • صلى الله عليه وسلم • حتى أحل الله • تعالى •
له النساء • قال : هذا حديث حسن صحيح •

الثالثة - قال • تعالى : وما ملكك بينك - أحل الله • تعالى • السراوى
لنبيه • صلى الله عليه وسلم • وألسته مطلقا • وأحل الأزواج لنبيه • عليه الصلاة
والسلام مطلقا • وأحل للخلق بعده • وقوله : ما أنسا الله عليك - أى رده عليك
من الكفار • والفتنة قد تسمى فها • أى ما أنسا الله عليك من النساء بالأخذ على
على وجه القهر والغلبة •

الرابعة : قوله • تعالى : هنات عك هنات عاتك - أى أحلنا لك ذلك
وأند • من الأزواج اللاتي آتيت أجورهن وما ملكك بينك • على قول الجمهور
لأنه لو أراد أحلنا لك كل امرأة تزوجت وآتيت أجرها • لما قال • بعد ذلك :
هنات عاتك لأن ذلك داخل • فيما تقدم • - قلت : وهذا لا يلزم
وأنا خص هؤلاء بالذكر تشيها لهن • كما قال • تعالى : فيها فاكهة
وتخل • وبيان - والله أعلم •

الخامسة - قوله • تعالى : اللاتي هاجرن معك - فيه تولا : الأول - لا
يحل لك من قرابتك • كبنات عك العباس وغيره من أولاد عبد المطلب • بنات الخصال
من ولد بنات عبد مناف بن زهرة إلا من أسلم • لقوله • صلى الله عليه وسلم :
المسلم من سلم المسلمون من لسانه يده • والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه •
الثاني - لا يحل لك ضمن إلا من هاجر إلى المدينة • لقوله • تعالى : والذين
آثروا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا • ومن لم يهاجر لم يكمل •
ومن لم يكمل لم يصلح للنس • صلى الله عليه وسلم • الذى كمل وشرف وعظم •
صلى الله عليه وسلم •

السادسة - قوله • تعالى : معك - المعية • هنا • الاشتراك فى الهجرة لافى
المصبة • (وأما ما قال ابن المهي •)

المصبة : ذكر الله • تبارك وتعالى • الممقودا • والمعات جمعا • (وأعاد
ما قاله ابن المهي •)

الثامنة : قوله • تعالى : وامرأة مؤمنة - عطف على أحلنا • وقد اختلف نسي •

أدنى ان تقرأعينهن ولا يحزن - أى اترب - اذا علم ان الرخصة من قبل الله
كان ذلك أقر لعينهن - وانهن لا يظفرن وأشد لمرورهن - وهو قول قتادة .

هذا المعنى - فروي عن ابن عباس أنه قال : لم تكن عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم امرأة الا بعقد نكاح أو ملك يمين - فأما البهية فلم يكن عند منهن
أحد - وقال قوم كانت عند موهبة - قلت : والذي فى الصحيحين يقوى هذا
القول صعبه - روى مسلم - عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت :
كنت أغار على اللاتي وهين أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم - وأقول :
أما تستحي امرأة تهيب نفسها لرجل (وسمو إلى يافى هذا الحديث)
وروى البخارى عن عائشة أنها قالت : كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهين
أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم - فدل هذا على أنهن كن غير
واحدة - والله - تعالى - أعلم .

التاسعة - وقد اختلف فى اسم الباهية تسميها - فقيل : هى أم شريك . وقيل
لبنى بنت حكيم - وقيل : هى ميمونة بنت الحارث - حين خطبها النبي صلى
الله عليه وسلم - فجاءها الخطيب ^{فخطب} وهى على بغيرها - فقالت : البعير وما عليه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم - وقيل : هى أم شريك العاصية - وكانت
عند أبي العكر الأزدي وقيل : عند الطليل بن الحارث فولدت له شريكاء
وقيل : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها - ولم يثبت ذلك -
والله - تعالى - أعلم - ذكره أبو عمر بن عبد البر - وقال الشعبي وعروة : هى
زينب بنت خزيمة أم المساكين - والله تعالى أعلم .

العاشرة - قرأ جمهور الناس : **إِنْ وَهَيْتَ** - بكسر الألف - وهذا يقتضى
استئناف الأمر - أى ان وقع فهو حلال له - وقد روى عن ابن عباس وجاهد
أنهما قالا : لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امرأة موهبة - وقد دأبنا
على خلافه - وروى الأئمة - عن طريق سهل وغيره - فى الصحاح : ان امرأة
قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : جئت أهب لك نفسى - فمكثت
حتى قام رجل فقال : زوّجنيها - ان لم يكن لك بها حاجة - فلو كانت هذه
البهية غير جائزة لما سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم - لأنه لا يقر على الباطل
اذا سمعه - غير أنه يحتمل أن يكون سكوتهم منتظرا بيانا فنزلت الآية بالتحليل والتخيير
فاختار تركها - وزوجها غيره - ويحتمل أن يكون سكت ناظرا فى ذلك حتى تمام
الرجل لها طالبا - وقرأ الحسن البصرى وأبو بن كعب والشعبي : أن - يفتح
الألف - وقرأ الأعشى : وامرأة مؤمنة وهيت - قال النحاس : وكسر - **إِنْ** - أجمع
للمعنى - لأنه قيل إنهن نساء - وإذا فتح - كان المعنى واحدة بهينهن -
لأن الفتح على البذل من امرأة أو بمعنى لأن - الحادية عشرة - : قوله - تعالى :
مؤمنة - يدل على أن الكافرة لا تحل (ونقل عن ابن العربي) الثانية عشرة -
قوله - تعالى : ان وهيت نفسها - دليل على أن النكاح معاوضة - الثالثة
عشرة - قوله - تعالى : **إِنْ** أراد النبي أن يحتكحها - أى اذا وهيت
المرأة نفسها - وقبلها النبي صلى الله عليه وسلم - حلت له - وان لم يقلها
لم يلزم ذلك (ثم نقل عن ابن العربي) - الرابعة عشرة - قوله - تعالى : خالصة -

وتجمل : ذلك أدنى أن تقرأيهن ، إذا طبعن في ردها إلى قواعدها بعد عزلها .
 ورشدين بما أتيتن كلن ، رفع كلن ، على تأكيد الضمير ، وهو النون ، في يومين
 لا يجوز غير ذلك ، لأن المعنى عليه . ثم قال : والله يعلم ما في قلوبكم . من الرضا
 والسخط ، والميل إلى بعض النساء دون بعض ، وكان الله عليا - بذلك ، حليسا ،
 عن أن يعاجل أحدا بالعقوبة .

لـ - أي هيئة النساء وأنفسهن خالصة ومزية لا تجوز ، فلا يجوز أن تهبط
 المرأة نفسها لرجل . ووجه الخاصية أنها لو طلبت فرض المهر قبل الدخول
 لم يكن لها ذلك . فأما فيها بيننا ، فللخوض طلب المهر قبل الدخول ومهر
 البث بعد الدخول .

الخامسة عشرة (في اختلاف الفقه حول الزواج بلفظ الهبة) - السادسة عشرة
 (في صفات النسي) .

السابعة عشرة - قوله ، تعالى : أن يستكحها ، أن يتكحها ، يقال : تكح
 واستكح مثل عجب واستعجب ومجل واستمجل . يجوز أن يرد الاستكح
 بمعنى طلب النكاح أو طلب الوطء . وخالصة ، نصبت على الحال ، قاله الزجاج
 وقيل : حال من ضمير حمل بفعل مضردل عليه الضمير ، تقديره : أحلتها
 لك أزواجك وأحللتها لك امرأة مؤمنة ، أحلتها خالصة ، بلفظ الهبة .
 صدق ، وغيره .

الثامنة عشرة - قوله تعالى : من دون المؤمنين (نقل عن ابن القيم)
 قوله ، تعالى : قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم - أي ما أوجبنا في المؤمنين
 وهو ألا يتزوجوا إلا أربح نسوة بمهر مئة رطل . قال معناه أين بين قسم المرأة
 وفرضها . التاسعة عشرة - قوله ، تعالى : لكيلا يكون عليكم حرج . أي شق
 في أمرت فيه محتاج إلى الحجة ، أي بينا هذا البيان ، وشرحنا هذا الشرع .
 لكيلا يكون عليكم حرج ، فلكيلا يتعلق بقوله : أنا أحلتنا لك أزواجك ، أي فليلا
 يضيئ قلبك حتى يظهر منك أنك قد أثمت حدك في شيء . ثم أنشأ :
 جميع المؤمنين بغيراته ورحمته ، فقال ، تعالى : وكان الله قورا .

توبة ، تعالى : ترجى من تفاء - إلى آخر الآية - وفيه أحسن
 ، رضى - قوله ، تعالى : ترجى من تفاء : رضى مبدواً وتودع
 وهما لغتان ، يقال : أرجعت الأمر وأرجأته إذا أخرته . وتؤوى : تفسس
 قال : آوى إليه - مبدوءة الألف - ض - وأوى - مقصورة الألف - أدم
 الثانية - واختلف العلماء في تأويل هذه الآية . وأصح ما قيل فيها :

التوجه على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في ترك القسم ، فكان لا يجب طيب
 القسم بين زوجاته . وهذا القول هو الذي يناسب ما مضى ، وهو الذي ثبت معناه
 في الصحيح عن عائشة ، رضى الله عنها ، قالت : كنت أغار على اللاتي وهن
 أنفسهن لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأقول : أو تهب المرأة نفسها
 لرجل ؟ (ونقل ما قال ابن العربي) ثم قال : وطى كل معنى ، فالأيسة
 معناها التوجه على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، والاباحية .

أبعدنا في الاطالة في عرض الشروح للآيات الكريمة الخاصة بتحديد الخضع
القائض الخاضع لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تعددنا بأصوار - في المتن
والهامش - هذا الابعاد في تنصيص أكبر قدر ممكن من الشروح ، لأكثر من سبب -

• ما اختزنه أصح ، والله أعلم . الثالثة - : ذهب هبة الله ، في الناسخ
والنسخ ، إلى أن قوله : ترجى من تشاء - الآية - ناسخ لقوله : لا تحل
لك النساء من بعد - الآية - . وقال : ليس في كتاب الله ناسخ تقدم النسخ
سوى هذا . وكلامه يقتضيه من جهات . وفي البقرة ، هذه المتوفى عنها أربعة
أشهر وعشر ، وهو ناسخ للتحول ، وقد تقدم عليه - . الرابعة - قوله ، تعالى :
ومن ابتغيت من عزلته : ابتغيت : طلبت ، والابتغاء : الطلب . وعزلته :
أزلت ، والعزلة : الإزالة ، أي أن أردت أن تؤوي إليك امرأة من عزلتهن ممن
النساء ، وتضمها إليك فلا بأس عليك في ذلك . وكذلك حكم الأرجاء ، فدل أحد
الطرفين على الثاني . - الخامسة - قوله ، تعالى : فلا جناح عليك ، أي لا ميل
يقال : جحت السفينة أي مالت إلى الأرض . أي لا ميل عليك باللوم والتوبيخ .
السادسة - قوله ، تعالى : ذلك أدنى أن تقول أمهتهن ، قال قتادة وغيره :
أي ذلك التخيير الذي خيرك في صحبتهم أدنى إلى رضاهن إذ كان من عندنا
لأنهن إذا ظن أن الفعل من الله ، نرت أمهتهن بذلك ، ورضين ، لأن المرء
إذا علم أنه لا حق له في شيء ، كان راضيا بما أوتي منه ، وإن قل . وإن علم
أن له حقا لم يتعنه بما أوتي منه ، واعتدت غيرته عليه وعظم حرصه فيه . فكان
ما فعل الله لرسوله ، من تخيير الأمر إليه في أحوال أزواجه أقرب إلى رضاهن
معه ، وإلى استقرار أمهتهن بما يسمح به لهن ، دون أن تتعلق قلوبهن بأكثر منه .
وترى : تقول أمهتهن - بضم التاء وضبط العين - وتقول أمهتهن - على البناء
للخمول . وكان عليه السلام ، مع هذا ، يشدد على نفسه في رعاية التسمية
بهن ، تطييبا لقلوبهن ، ويقول : اللهم هذه قدرتي فيها أمك فلا تلني فيها
تلك ولا أمك . - يعني : قلبه ، لا يثاره عائشة ، رضى الله عنها ، دون أن
يكون يظهر ذلك في شيء من عمله . وكان في مرضه الذي تفرغ فيه بطبات
به محبولا على بيوت أزواجه إلى أن استأذنهن أن يقمن في بيت عائشة .
قالت عائشة : أول ما اشتكى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في بيوت
مبيضة ، فاستأذن أزواجه أن يعرض في بيتها - يعني بيت عائشة - فأذن له
- الحديث - وخرجه الصحيح . وفي الصحيح ، أيضا ، عن عائشة ، رضى الله
عنها ، قالت : أن كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليتفقد ، يقول :
" أين أنا اليوم ؟ أين أنا هذا " - استبطا ليوم عائشة ، رضى الله عنها ،
قالت : فلما كان يوم قبضه الله ، تعالى ، بين سحري تحرى - صلى الله عليه

وسلم .
(أما السابعة والثامنة والتاسعة في آراء الفقه في العدل بين الزوجات في التصدد
العادي) - وفي الماشرة - بعد أن يفسر : " والله أعلم ما في قلوبكم " بأنه
تبيين من الله لنا " على أنه يعلم ما في قلوبنا من ميل بمحضنا إلى بعض من عندنا
من النساء دون بعض " ويقول : " لكنه سمع في ذلك إذ لا يستطيع العبد أن يعرف " .

ولا كسر من حاجة . ذلك أن نعمة الذين يجدون الواجب يلزمهم ألا يتقصروا
بالدفع المألوفة . وفي بعض الحالات . تقتضيهم ألا يعجلوا إلى الرأي الجدي
في غير تدبر . وفي غير اتحادية متأثرة متمحصة . بها في كتب الأولى .

قاله عن ذلك الجدل . وإلى ذلك يعود قوله : وكان الله غفرا رحيم . بعد ذلك
ينتقل إلى قوله . تعالى : ذلك أدنى أن تتراخضن . فيقول : أي ذلك
أقرب ألا يحزن إذا لم يجمع أحدهما مع الأخرى مع ما في الأثرة والعلم . وروى أبو
داود عن أبي هريرة . عن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال : من كانت له
امرأتان فقال إلى أحدهما جاء يوم الفناء وشق مائل - ورضين بما أتيتن كلهن
توكيد للشهر . أي : ورضين كلهن .

الحادية عشرة - قوله . تعالى : " والله يعلم ما في قلوبكم " . خبر عام . والاعارة
إلى ما في قلب رسول الله . صلى الله عليه وسلم . من جهة فهم دين شخصه
وكذلك يدخل في المعنى أيضا المؤمنين واليهما (مر ٥٦٠ - ٥٦١) :
" أتيت أجورهن : مهورهن وتعيد الاحلال (بالمهر) له بأعطائها
لا لتفك الرجل عليه بل لياتار الأفضل له . كتعيد احلال الصلوة بكونها مبهمة
بقوله : وما ملكت بينك كتمان الله عليك . فان المعتزلا لا يتحقق به أمرهما
وما جرى عليها . فتعيد الفرائض بكونها ساجرات معه في قوله : هناك معك هناك
عائتك هناك خالك هناك خالاتك الثلاث هاجرن معك . ويحتل تعيد الرجل بذلك
في حله خاصة . ويخذه قول أم هانئ . بنت أبي طالب : خطبني رسول الله .
صلى الله عليه وسلم . فاحذرت إليه فعدوني . ثم أنزل الله هذه الآية . فلم
أحل له . لأنني لم أهاجر معه . وكنت من الكفاة . - وأمرأة مؤمنة أن وهبت
نفسها للنبي . - نصب يفعل بفسره ما قبله . أو عطف على ما سبق . ولا يدفعه
التعديد بل أن النبي للاستقبال . فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل . أي أعطاك
حل امرأة مؤمنة تهيب لك نفسها أولا تطلب مهرها ان اتفق . ولذلك تكرهها .
وأخطف في اتفاق ذلك ان أراد النبي أن يستحكمها : شرط للمفسر ولا الأول
في استيجاب الرجل . فان هبتها نفسها لا تجب له حلها الا بإرادته فكاحيا .
فانها جارية مجرى القبول . والعدل عن الخطاب إلى الغيبة بلفظ النبي بكسرها .
الرجوع إليه في قوله : خاصة لك من دين المؤمنين . أي إذا كان يأخذ
لشرف نكحته . وتقرير لاستحقاقه الكرامة لأجله حتى به أصحابنا على أن ذلك
لا يتمد بلفظ الهبة لأن اللفظ تابع للمعنى . وهو كحس . عليه الصلاة والسلام .
بالمعنى فينكح باللفظ . والاستكاح : طلق النكاح . والرغبة فيه . وخالصه .
رموه . أي خلص احلالها . أو احلال ما أحللتنا لك . على القيد المذكورة
خلوها لك . أو حال من الشهير في وهبت أو مفة لصدر محذوف . أي : هبة خالصة .
قد طمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم : من شرائط العقد . ووجوب المهر بالوطء
حيث لم يمس . والقسم . - وما ملكت أيمانهم - من توسيع الأمر فيها أنه كيف
يتمس أن يفرض عليهم . والصفة اقراض بين قوله : لكيلا يكون عليك حرج . وتعلق
وهو خالصة . للدلالة على أن الفرق بينه وبين المؤمنين . في نحو ذلك .

ودفعنا لهذا الاتهام كان هذا الاسباب في عرض الشروح ، كما أن فيه تيسيرا للرباطة على البحث من قد يصعب عليهم اضاءة الوقت في متابعة المراجع والتأكد من صحة النقل عنها أو الاشارة اليها . وهو ، على أية حال ، غيد في اعطاء صورة عامة للذين يريدون استخلاص نتائج ، قد تتيج ، يوما ما ، من تكوين نظرية عامة

" لا بمجرد قصد التوسيم عليه ، بل لعمان تفتنى التوسيم عليه والتضييق عليهم تارة والعكس أخرى . - وكان الله قورا ، لما يعسر التحرز منه ، رحيمًا ، بالتوسمة في مظان الحرج . - توجب من تشاء منهن : توفرها وتتركها اجتماعها وتواري اليك من تشاء : وتضم اليك ، وتضاجعها . أو تطلق من تشاء وتصلك من تشاء . - ومن ابتغيت : طلبت ، من عزلت : طلقت ، بالرجعة . - فلا جناح عليك ، في شيء من ذلك . - ذلك أدنى أن تفرأعينهن ولا يحزن ويرضي عنهما أنتهن كلهن . - ذلك الغيوض الذي يشكك ، أقرب الى قوة محو منهن ، وقلة حزنهم ، وراضين جميعا ، لأنه حكمٌ لهن فيه سوا . - ثم ان سويت بينهما وجدن ذلك فضلا منك ، وإن رجعت بعضهن ، علمن أنه يحكم الله ، فتطمئن نفوسهن . - وكلهن : تركيد " نون " يرضين ، وفري ، بالنصب ، تأكيداً لهن . والله يعلم ما في قلوبكم ، فاجتهدوا في احسانه ، وكان الله عليهما ، بذات الصدور حلما ، لا يحاجل بالمعقبة ، فهو حقيق بأن يتقى " أما ابو حيان ، في البحر المحيط (٢ : ٢٤٠ - ٢٤٤) فيجمع كثيرا من آراء الذين سبق استعراض آرائهم ، غير أنه لا يصف اليه جديدا . وابن كثير (المجلد السادس ٤٣٣ - ٤٣٦) يصف أحاديث ولا يزيد في المعنى شيئا لم يصب اليه . وربما وجعنا الى شيء من الأحاديث النبوية لديه . والألبسي (٢٢ : ٤٨ - ٦٠) يطيل في عرض ما لدى سابقينه . ويعرض أحسانا ما بعد من مشكلات العروض ، مثل مسألة التمسير بمارية القطعية ، ومسألة اهداء زينة أمته للنبي فهل وفاته . وسنصرف ان المشكلات انما جاءت من طريق في الشرح لا نوافق عليها ، كما سياتي .

وهو ، وإن قال : ان " اكثر العلماء على وقوع الهبة " وإنما اختلفوا في تعيين الواجبة ، يأتي بما يدحض تقريرها كل الأساء المزمع أنها وهبت نفسها للنبي ، فمبوبة لم تهب نفسها ولكنها قبلت عرض النبي دون قيد أو شرط ، وأم شريك وهبت نفسها " فلم يقبلها " وخولعة بنت حكيم " أرجأها عليه الصلاة والسلام فتزوجها عثمان بن مظعون بأذنه ، صلى الله تعالى عليه وسلم " ثم يقول " وأنكر بعضهم وقوع الهبة ، وقيل : ان قوله ، تعالى : ان وهبت - يشير الى عدم وقوعها ، وانها أمر غرور ، وكذا تنكير المرأة ، فالمراد الاعمال بالاحلال في هذه الصورة ان اتفقت . وأنكر بعضهم القول . أخرج ابن سعد عن أبسبن أبي عن أن ليلي بنت الحطيم وهبت نفسها للنبي ، صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهوين نساء أنفسهن ، فلم تسمح أن النبي ، صلى الله تعالى عليه وسلم قبل منهن أحدا . - وعن ابن عباس قال : لم يكن عند رسول الله ، صلى الله تعالى عليه وسلم ، امرأة وهبت نفسها له ، يحتل نفى القبول ويحتل نفسى الهبة . - وأخيرا رد على الذين طعنوا على في كثرة تزوجه بما لا فائدة في نقله .

في مسائل قد تتعلق بتحديد النظرية العامة للزواج ، أو الوضع القانوني الخاص
لأزواج النسي ، أو يرتبط جميعها بحجم مشكلة من أخطر مشكلات الفقه الاسلامي
تديها وحديتها ، وهي مشكلة دعوى أن يكون في آيات القرآن الكريم ما هو مضمون .
مشكلة تتعلق بكل هذا ، وغيره كثير ، في موضوعا هذا ، وفي غيره ، هي مشكلة
فقد العامل التاريخي في ترتيب النزول ، غالبا ، حثرت من الشواج من يفسر
آية نزلت أولا بآية متناول بعدها ، والنطق ، والواقع ، أن يتوقف أحيانا
نهم النص التأخير بتحديد واضح للمعنى المقصود في النص السابق . وهكذا
يتضح أن مهمة الباحث ، هنا ، في استمائها المعرطى الاستجابة للتساؤل
قد يكتفيا ، من شديد التعميد ، مشكلات بعضها من وراء موضوع البحث
ومعها من بين يديه ، ومعضها من فوق ذلك أو تحته . ومع كل ذلك ،
فالوصول بالمسار الموضوعي الى كلمة سواء ، يراود بها وجد الحق سبحانه ،
ليس مستحيلا ، وإن احتاج من الباحث والقارئ جميعا الى صبر طويل شاق .

وهو لنا أن أول خاتمة الوصول الى اشارة سهل الباحث في موضوع
زواج النسي عليه السلام انما يحتاج لن يبدأ بادحاض فكرة آتت كثيرا على فكر الشواج
المسلمين وكان أثرها واضحا في تناولهم لما لا يتفق معها من القرآن والمنسنة ،
وهي فكرة دُشَّت عليهم ، وظلهمها الاسرائيلسي (أى ما يعرف في كلام الكتاب
الحققيين باسم الاسرائيليات) واضح . تلك الفكرة الواضحة في النماذج السابق عرضها
هي أن تعدد أزواج بعض الأنبياء وخاصة داود و سليمان ، عليهما السلام ، انما
كانت رتبة من الله تكريما وتنه لهم ، وانما كان هذا تكريما فالنبي محمد ، عليه السلام ،
أحق بالتكريم والتوسعة فيه ، ومن ثم وجب ، في فهمهم ، حمل آيات التحديد
على التوسيع ، وإن استمعى النص كل الاستماع ، فلا مانع من زعمه بالنسخ
بل ان هذه الفكرة المستغيفة ، على غير أساس ، على ما سيأتى ، كان من نتائجها
السبقة ذلك الزعم الذى جاء ، في بعض كتبنا ، أو فهم خطأ من حديث لا يعضده
عن القوة الجسمية الاعجازية لسليمان ومن ثم وجب أن يتخلق ، في حق نبينا ، ما يماوجه
أولى الأقل يقاربه فيها . وهل يجوز أن يكون سليمان أفضل ممن محمد
عليهما الصلاة وأزكى السلام ، في أى مجال ، ولو كان في مثل هذا
المجال)

والحق أن كثرة الزواج لدى داود وسليمان عليهما السلام لم تكن لا تكريهما
من الله خصهما به ولا استثناء من قاعدة في عصرها يدل على غفيل . ذلك
أن الزواج السياسي لدواعي داخلية وخارجية السائد في عصرهما ، مع عدم وجود
قاعدة ، قبل القرآن ، في الكتب السابقة ، تضع حدا لا يجوز الخروج عنه
في عدد الزوجات ، يقيمان لاثبات أن كثرة نساءهما لم تكن من أوصاف التكريم ، ولا من
خصائص النبوة ، في شيء . وإنما يُقَدَّرُ الدُّخْ ، إِنْ كَانَ مَدْحٌ في هذا ، بالوقوف
في التعداد عن مقتضيات المصالح العام التي كانت تفرضه في عصرها على الحكام
وكبار القادة وخاصة القادرين منهم على الأعمال الاقتصادية فيه . وعلى أية حال
فإن ملوكا وشيخين ، ورمحين ، كانوا أكثر نساء منها ، على ما تقدم في الكلام عليهم .

والله الذي جاء في شأن سليمان ، والفهم الخاطيء للحديث الذي جاء
في البخاري (في الجزء السابع ، في كتاب النكاح ، حيث يقول : " من أبس هيرة ")
أنه قال : " قال سليمان بن داود ، عليهما السلام : لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ بِامْرَأَةٍ
تَلِدُ كُلَّ امْرَأَةٍ غُلَامًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ : قُلْ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ،
قُلْتُ يَقُلْ ، وَنَحْنُ ، فَأَطَاعَ بَيْنَ ، وَلَمْ تَلِدْ شَيْئًا إِلَّا امْرَأَةً نَصَفَ انْسَانٍ ، قَالَ النَّبِيُّ ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ قَالَ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْ يَحْثُ ، وَكَانَ أَوْجَى لِحَاجَتِهِ ")
كان وراء دعوى القوة الجنسية التي اخطفها بعض الكتاب العرب ، على النبي
صلى الله عليه وسلم ، بنهر علم أو شبهة من علم ، بل مع استحالة أن يكون مثل هذا
معلوما لأحد ، غير أن يُفْتَرَى حديث به وهو - لحسن الحظ - ما لم يكن .

والفهم الأقرب لألفاظها قال أوهيرة أن يكون سليمان ، عليه السلام ، يقوم
بطوافه هذا بالتلفيح الصناعي ، بأن تتخذ كل امرأة من المائة ، نقطة ، تمتثلها
لتحمل . وظاهر أن التَّجْيِة لم تتجج . وحتى لا يقال إن الأقدمين لم يعرفوا التلفيح
الصناعي هذا ، نذكر ، مع نصوص قديمة جدا في القانون الروماني منسوبة إلى رولوس
الملك الأول لرومانا (١) ، آيَةً فَمِنِ الْقَوَائِمِ

(١) الحق أن قوانين الملك رولوس التي تعد من أقدم ما وصلنا من النظم الرومانية -
وإن كان مشكوكا في صحة نسبتها إلى رولوس - تحدد حالات للطلاق ، في نص
نقله بلوتارك ، وأخذه عنه جيرار ، في " نصوص القانون الروماني " (الطبعة
الخامسة ، باريس ١٩٢٢ م ٦) وقد اهتم أساتذة القانون الروماني في القرون
الماضية وأوائل هذا القرن بهذا النص اهتماما كبيرا . وقد اختلف في ترجمته ،
وتعد ترجمة اهرنج هي المقبولة في مجموعة جيرار المشار إليها حالا . وهو (البند
أوربين قبل التاريخ ، ترجمة فرنسية سنة ١٨٩٥ م ٣٩٢) يفهم النص على أنه •

الكريم (١) ، وقول الامام الشافعي أكثر من مرة أن المرأة قد تأخذ نطفة فتدخل بها ،
 ومن علم زوجها فتحيض ، ويكون الزوج صادقا في انكاره الاتصال بالمرأة وتكون هي

يحدد أربع حالات هي : استعمال المم (التسميم) وتزيف الأولاد والفاتح
 والزنا - ويرى أن كلمة تزيف الأولاد لم يفهم منها التلقيح من غير الزوج حتى أنه
 وغيره حاولوا تفسيرها ، إلا أن هذا الفهم يبدو لنا متفقا مع سائر النصوص ، ولعل
 في الحاشية الآتية ملاحظة ما يميز ، ولو بطريق غير مباشر ، هذا التفسير .

(١) المتحدة ١٢:٦٠ حيث تقول : " يا أيها النبي ، إذا جاءك المومنات
 يابستنك على أن لا يفرقن بالله شيئا ، ولا يفرقن ، ولا يفرقن ، ولا يفرقن
 أولادهن ، ولا يأتين بهتتان يفتقنه بين أيديهن ، وأرجلهن ، ولا يحمينك
 في معروفن قبايهمن واستغفرن لهن الله إن الله غفور رحيم " والآية الكريمة
 كما هو واضح ، تتحدث عن الامتناع من الاشتراك بالله الواحد سبحانه ، ومن
 المروة ، والزنا ، ومن قتل الأولاد ، من البهتان الذي يفتري بين الأبي
 والأرجل - والفراخ في شرحهم للآية يقولون عن هذا البهتان الفتري عدة
 أقوال مثل ما يقول : الفراء ، معاني القرآن ٣ : ١٥٢ : " كانت المرأة
 تلثق المولد ، فتقول لزوجها : هذا ولدي منك ، فذلك البهتان الفتري " .
 يقول الطوسي ، تفسير البهتان ١ : ٥٨٦ : " ولا يأتين بهتان ، يعني : يكذب
 يفتري بين أيديهن وأرجلهن ، أي : لا يأتين يكذب يكذب في مولود يوجد بين
 أيديهن وأرجلهن - وقال ابن عباس ، لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن " ثم جاء
 بما قال الفراء ، أنفا - يقول الزمخشري ١ : ١٥٢ : " كانت المرأة تلثق
 المولد ، فتقول لزوجها : هو ولدي منك ، كني بالبهتان الفتري بين أيديها
 وأرجلها عن الولد الذي تلثقه بزوجها كذبا ، لأن بطنها الذي تحمله فيه
 بين أيديهن ، وفرجها الذي تلده به بين أرجلهن " . يقول ابن العربي ، أحكام
 القرآن ٤ : ١٧٨٠ - ١٧٨١ : قوله : ولا يأتين بهتان يفتقنه بين أيديهن
 وأرجلهن : قيل في أيديهن قولان : أحدهما - المسألة - الثاني - أكمل
 الحرام - قوله : وأرجلهن ، فيه ثلاثة أقوال : الأول - الكذب في انقضاء
 العدة - الثاني : هو الحاق ولد بمن لم يكن له - الثالث : أنه كناية عما بين
 البطن والفرج - أما من قال : إن قوله : بين أيديهن ، يعني : المسألة ،
 فيه تجاوز كبير ، فإن أصلها اللسان ، وآخرها أن أعطى شيئا في اليد -
 وقول من قال : أنه أكل الحرام أقرب ، وكأنه كس الأول - لأن الحرام يتناول
 بيده ، فيحمله إلى لسانه ، والمسألة يدورها بلسانه ، ويحمله إلى يده ، ويردها
 إلى لسانه - وأما من قال : أنه كناية عما بين البطن والفرج ، فهو أصل في المجاز
 حسن " . ويقول الطبرسي ١ : ٥١١ : " ولا يفرقن ولا يفرقن أولادهن - على وجه
 من الوجوه ، لا بالوادة ولا بالاسقاط ولا يأتين بهتان يفتقنه ، أي : يكذب
 يكذب في مولود يوجد ، بين أيديهن وأرجلهن ، أي : لا يلحقن بأزواجهن
 غير أولادهن - عن ابن عباس - وقال الفراء : كانت المرأة تلثق المولد فتقول
 لزوجها : هذا ولدي منك ، فذلك البهتان الفتري بين أيديهن وأرجلهن -
 وذلك أن الولد ، إذا وضعت الأم ، سقط بين أيديها وأرجلها " .

صادقة في نية الحمل اليه (١).

لو علم الكتاب المسلمون هذا عن سليمان ، وطمعوا معه كلا ملائعات حصصه ،
 وضرورات ظروفه ، وحاجات مجتمعه لما كتب أكثرهم ما كتب . بل لو علم كثير منهم
 كل الحقائق المتصلة بحياة الرسول ، وضوا بالدراسة المنهجية لحاجات ظروفه ،
 وضرورات مد يد الانقاذ لمن لا غائل لها ولا مال من نساء المجتمع الجديد وخاصة
 القريبات التاركات الأهل والدار والمال في سبيل العقيدة مهاجرات الى الله ورسوله
 ومع كل ذلك ملائعات المعصوميات الحياتية فيه ، وما يترب عليها من أمل ، يقوم
 على ما هو مألوف فيها ، في أن يكون الرسول هو الآخذ باليد حتى اذا أخذ بيده
 واحدة تطلعت الأخريات ، وتطرد الحال فيصير الحب فوق كل طاقة بشرية ، ونزل
 القرآن لرد الأمور الى المكن المطاق ، ثم لاغلاق الباب نهائيا في كل جديد
 ولم علم هؤلاء الكتاب والفواح كل هذا لما خلطوا النص السابق بالنص اللاحق ، ولما
 فسروا النص ، سابقا ولاحقا ، على تشبه ذهني في ابتغاء الوصول به الى تقرير ما يتفق
 مع هذا التشبه الذهني ، فان استمعى فما أيسر القول بالنسخ (والغريب
 أن من هؤلاء من يشرح النصوص على نحو معين ثم يبين له بعد ذلك أن ما حدده من معنى
 لها لم يحدث في واقع حياة النبي ، عليه السلام ، فلا يهتم بهذا الواقع الثابت ينقضي
 على رايه بكتفيها بقول النصوص - أو بعضها - تغييره ذاك ، كأن الحقيقة التاريخية
 لا تهتم في شيء)

وليس المعنى على نهجهم من أن يأتيهم بولد من الزنا فيمنعهم الى الأزواج ، لأن
 الشرط ينهي الزنا قد تقدم . وقيل : البهتان الذي نهين عنه قد ذف المحصنات
 والكذب على الناس وإضافة الأولاد الى الأزواج ، على البطلان ، في الحاضر
 والمستقبل من الزمان . وخبر الدين الرازي ٨ : ١٣٦ يرى البهتان " ان تذف
 المرأة على زوجها ما ليس منه " والقرطبي ١٨ : ٢٢٠ يراه أن لا تلحق النساء
 برجالهن ولدا من غيرهم . ويضيف : " قيل : ما بين يديها ورجليها كناية عن
 الولد ، لأن بطنها الذي تحمل فيه الولد بين يديها ، ورجلها الذي تلد منه
 بين رجلها . وهذا عام في الاتيان بولد والحاقه بالزوج ، وان سبق النهي عن
 الزنى " . وأخيرا يقول ابن كثير (المجلد الثامن ص ١٢٦) " قال ابن عباس :
 يعني لا يلحق بأزواجهن غير أولادهم ، وكذا قال مقاتل . ويؤيد هذا الحديث
 الذي رواه أبو داود : - عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم
 يقول : حين نزلت آية الملاحة : ايما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم ، فليمت
 من الله في شيء ، ولن يدخلها الله الجنة . "

(١) الشافعي ، الأم : ١١٦ يقول : " فليسوا ان رجلا قال لامرأة ، وهي تترى
 انها حبيلى : ما هذا الحمل منى . قيل له : اردت أنها زنت ؟ فان قال : لا
 وليست بزانية ، ولكي لم أصبها . قلنا له : قد يحتل أن تأخذ نقطة فتدخلكها
 فتحتل منك ، فتكون أنت صادقا في الظاهر بانك لم تحبها ، وهي صادقة بأنه ولده . "

وطى اية حال ، فالجانب الذى يهتم المؤمن فى حياة الرسول عليه السلام
 ورواجه انحصارها **وَقَعَ فَعَلًا ، مَوْتًا ، قَدَرًا** الامكان ، بالترتيب الرضى ، ثم **مَيِّتًا**
 فيه تطور الوضع القانونى ، وحتى اختلف نظام زواجه عن نظام الزواج العام بعد معرفة
 تطور هذا النظام العام مقارنة تاريخيا بتطور النظام الخاص بالشئ . وحد كل هذا
 ومن نتائجه ، يستطيع الباحث أن يحدد المدة والضيق والاطلاق والتفديد ، وتقسيم
 اكان الاستثناء فى النظام الخاص فى هذا الاتجاه اذناك : اكان تحديدا وتقييدا
 أم كان غير ذلك ، وحتى كان ؟ ولماذا ؟

والذى يبدو مملًا ، من وجهة النظر التاريخية ، أن سورة الأحزاب ، فى
 حاصرها الجوهرية ، طى الأقل ، أسبق نزولا من سورة النساء التى تحدت فيها
 لأول مرة التعدد ، الذى كان قبل مطلقا ، فى الزواج نظاما تاما ، وقد تقدم
 أن أمر النسي ، عليه السلام ، بتغيير نسائه ، ذلك التغيير الذى ترتب عليه الوضع
 القانونى الخاص بزواج النسي ، قد كان وهذه من الأزواج - فى أغلب ما يستقيم فيه
 الترتيب الرضى من الروايات - أبغ ، وأن هذا حدث قبل نزول سورة النساء وما فيها
 من تحديد فى النظام العام للزواج ، بل انه يبدو لنا النموذج الذى قام طى هدى
 من تغيير - والله أعلم بتجارب الانسانية كلها - ذلك التحديد .

واذن فالثابت بهذا أن التغيير لم يكن تخلفا من قيد فى النظام العام فى العدد ،
 لأنه لم يكن قد حدث قيد حينذاك . وانما كان ترتيبا لبيت النبوة حيث يخلص أهله
 كما خلص صاحبه ، من سخوات الحياة الدنيا وينتبه ، لله ورسالة والدار الآخرة .

واذا نشأ بالتغيير نظام للزواج خاص بالنسي ، عليه السلام ، طى هذا النحو
 فان الرغبة فى الانسلاك فيه ، والدخول تحت لوائه ، والمعيش فى كفه ، بقيت مفتوحة
 لها الباب ، كما يبقى تحديد ما هو من سخوات الحياة الدنيا وينتبه ، وما هو خليق
 بالخالصين من أهل الدنيا لله ورسوله والدار الآخرة . ومن أجل اغلاق الباب المفتوح
 الا طى ما لا ينهض - فى المرحلة الأولى لترتيب أمور ما بعد الهجرة - أن يخلق
 باب النسي دونهن من القربات المباحرات ، ومن أجل تحديد الوضع القانونى اللازم لمن
 خلص لله ورسوله والدار الآخرة ، من أجل ذلك ، وفهر ما سنرى فى شرحنا حالا ،
 نزلت الآيات الخمسون والحادية والخمسون ، طى التفصيل الآتى :

١ - " يا أيها النبى ! إنا أحللتنا لك أزواجك التى أتيت أجورهن " .

واضح ، هنا ، كل الوضع ، أن الكلام لم يتم ، وأن ما عطف عليه لا يتم ،
 كما سنرى . ذلك أن الأصل فى الأزواج أن يحد حلالا لمن تزوجهن ، وآتاهن مهرهن

كما أنه حلال لمن . هذا هو نظام الزواج العام في كل النظم القانونية قدما وحديثا ، قد تختلف النظم في الوصف بالزواج فيما وراء الزوجة الواحدة ، لكنها تجتمع على حِلِّ من تصف بأنهن أزواج ، لأن هذا الوصف يفيد شوعية الموصوف به ، مهما كان العدد . وَإِذَنْ فَحَاطَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ " نفيد حِلًّا من نوع آخر يزيد على الحِلِّ الأصلي ، فمما الحِلُّ الجديد ؟ هذا ما ستبينه الآية التالية مباشرة : الحادية والخمسون بعد أن تشهد له الآية الأولى بحبارة : " قد طعنا ما فرضنا عليهم " لتدل على أننا بإزاء وضع قانوني خاص .

يقول هذا الجزء من الآية وصفا للأزواج انهن : " اللاتي آتيت أجورهن " فما معنى هذا التحديد ؟ المعروف أن المرأة تحل لزوجها بالعقد آتت مهرَها أو أَجَلَهُ ، بل ساء في العقد أولم يَسَّهْ . يقول الزمخشري ، في تفسيره (١) ، وهو نموذج لما تردد لدى غيره : " اختار الله لرسوله الأفضل والأولى " وإن سوق المهر طاجلا " أفضل من أن يحمله هو حمله " غير أنه يضيف نقرا ما يُضَيِّفُ هذا التفسير . ذلك أنه يقول : " وكان التمجيل يدين العلف وستتهم وبالا يُعَرِّفُ بينهم عَهْرٌ " يقول أبو حيان ، في البحر المحیط (٢) : " والتمجيل كان سنة العلف ، لا يعرف منهم غيره ، إلا ترى إلى قوله ، طيه السلام ، لبعض الصحابة ، حين شكك حالة الزواج : فأين درعك الحطمية (٣) ؟

الذي يبدو لنا أكثر قبولا ، واتفاقا مع ما سياتي ، في تفسير الآية ، أن المقصود بهذا أنه لا يحل للنسب ، طيه السلام ، من تزوج ولم يدفع مهرها ، أي لم يدخل بها ، من غير الطوائف التي احتل حصرا ، طي ما سنرى حالا . بل إن هذا ، هو فاسي اعتقادنا ، الذي يفسر وضع الأسماء التي ذكر كتاب السيرة (٤) ، أن النسب ، طلق أصحابها قبل أن يدخل بهم . والغالب أنه إنما لم يحل له ، طيه الصلاة والسلام ، أيضا ، زواجهن بعد نزول هذه الآية ، ولكن ، كما هو ظاهر ، من خارج الطوائف التي كان يجوز له ،

(١) الكشف ٣ : ٢٦٨ .

(٢) البحر المحیط ٧ : ٢٤١ .

(٣) المقصود بهذا الامام على ابن أبي طالب الذي باع دونه وقدم ثمنها مهرا للمسيحة فاطمة الزهراء . وهناك مثال آخر قد تقدم ، وهو أن النسب زوج امرأة وهبت نفسها له من رجل ولما لم يجد معه شيئا البتة لبده مهرا لم يطلب إليه تسمية المهر وتأخير به زوجته أيأها بما معه من القرآن ليعلمه لها .

(٤) أنظر في هذه الأسماء الطبري ٣ : ١٦٦-١٦٧ : " الشماخ الغفارية ، غيبة الكلابية أسماء الكندية " وأنظر لديه الأسباب التي لا تبدو حقيقة بكل الثقة (مثل قوله ، أنه طلق امرأة جدا ما علم أنها لم تعرض في حياتها قط)

عليه السلام ، في الآية أن يتزوج بهن ، على الوضع القانوني الخاص الذي سيأتى
فصله قريبا .

٢ - " وما ملكت يمينك ما أفاء الله عليك " ما معنى أن يحل الله لرسوله ، عليه
السلام ، ما ملكت يمينه ، أليس ملك اليمين يحل التمرد به لكل انسان فحين كان يحل له
فيهن الزواج لو كن حرائر ؟ وما قوله ، سبحانه وتعالى : ما أفاء الله عليك ؟
أما أن ملك اليمين يحل التمرد به للناس به في زمنه - فذلك حكم لا يشك
فيه أحد ، وأما الاحلال هنا للنبي ، عليه السلام ، فمقتضى معنى خاصا به هو أن يأخذ
السراى ، في الوضع القانوني الآتى ، حكم الزوجات فيه . وهذا تجديد هام جسداه
يحسم خلافا كان قد وقع بين بعض أزواجه ، عليه السلام ، وقيل ^(١) أن النبي قد حسمه
بمحرم مارية القبطية على نفسه ارضا . لكن ، وأما العهد التالي لهذا الاحلال ، وهو نصرة
على نوع خاص من ملك اليمين ، فهو أيضا قيد هام جدا يحتم على النبي ، عليه الصلاة والسلام
ما هو جاح للكتابة : ^(٢) " لَمْ يَكُنْ لَكَ نَبِيٌّ " ولا يجوز أن يكون ، مثل الملوك وسائر الأغنياء ،
فيرسل رسله كما كان يفعل فرعون ^(٣) لفرأى الاماء الجبيلات ليمسرن بهن . والتحريم
على النبي ، عليه السلام ، من التمرد بالاماء المشتريات بغير وحيده - دون حاجة الى
دليل آخر ، على كثرة ما بين أيدينا من أدلة - البرهان الذي يحسم أى شبهة أنه ما كان
حاشاه ، شهبائها ولا رافعا في " حب الشهباء من النساء " ^(٤)

(١) تقول الآية الأولى من سورة التحريم رقم ٦٦ : " يا أيها النبي ، لم تحرم ما أحله
الله لك تتخفى مرضاة أزواجك ، والله غفور رحيم " وانظر في شرح هذه الآية : القراء
معاني القرآن ٣ : ١٦٥-١٦٦ ، أبو بكر الرازي الجصاص ، أحكام القرآن ٣ : ٤٦٤
- ٤٦٦ ، الطوسي (١٠ : ٤٤٤-٤٤٥) ، الزمخشري ٤٤ : ١٢٤ - ١٢٧ ، وفرب ابن
العربي ٤ : ١٨٣٢ - ١٨٣٣ ، الطبرسي ١٠ : ٩١ - ٩٢ : " قيل : أن النبي ، صلى
الله عليه وآله وسلم ، خلا ، في يوم عائشة ، مع جاريته أم ابراهيم مارية القبطية
فوقعت حفصة على ذلك ، فقال لها رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم : لا تمس
عائشة ذلك ، وحرم مارية على نفسه .

(٢) ما زعم أحد ، ولا حدت قط أن النبي ، عليه السلام ، اشترى أمة ليمسرن بها
لا قيل الآية ولا بعدها .

(٣) في وثائق المؤرخين مثل جاك بيهن تاريخ الحضارة المصرية القديمة ٢ : ٢١٢-٢١٣ ،
٢٥٣ أن أمينوفيس الثالث قد اشترى من بلاد فلسطين وسوريا وكان يأتين من بلاد ما بين
النهرين بمئات كثيرة من الاماء الحسان ، فهو يطلب الى أمير في الشام أربعين أمة
جيدة بريقة من أى عيب ، وأمير سوريا آخر يوم بمرش عشيرين أو ثلاثين ، وأمير
القدس يهدي اليه احدى وعشرين ، وملك ميثاني يرسل في شوار اخته التي زوجها
اليه ثلاثمائة وربع عشرة أمة حسنة ، ثم يرسل اليه ثلاثين أمة بعد ذلك .

(٤) في آل عمران ، السورة الثالثة في المدينة ، أى السابقة مباشرة لسورة " الأحزاب "
هذه ، تقول الآية الرابعة عشرة : " زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ "

بل ان احلال الآفة له التصرى ما أنفا الله عليه ، أى ما يضمه فى كفه رئاسة
للدولة الاسلاميه ، كان ، على ما سئرى ، يحتلزمه أمران : ما حسن من آداب المجتمع
الدولى ، وقام عليه نظام الحريات فى الاسلام الذى يقضى بتحرير الرقيق ، ولو نجسم
عن حرب ، شرة العدو وفيها الاسترقاق ، اذا لم يكن فى التحرير تهديد للمجتمع
الاسلامى بخطر يجب اتقاؤه .

بقى أن نجيب عن أسئلة ثلاثة فى شأن هذا التصرى :

١- الفرق بين التصرى والزواج فى النظام المصمم ؟

وما الفرق بين التصرى والزواج فى النظام الخاص بالنسب ، عليه السلام ؟
وأخيرا لماذا يتصرى النسي ، عليه السلام ، وقد تطابق - أو كاد - الوضع
القانونى للزوجة والشرعية فى شأنه ، وأطلق دونه باب التصرى بالشراء على ما قدنا آنفا ؟
والاجابة عن السؤال الأول قد تقدمت (١) ، فى قسم التعدد العام فى القرآن ،
وحسبنا ، هنا ، أن نذكر بأن الزوجة لها حق فى الزواج ، فى الأصل ، ما دلحقى
الزوج : " ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف " (٢) ، وإذا انتفت ظروف ، بشروط حددها
القرآن الكريم ، وقد بينها فيها سبق (٣) ، أن يكون فى الزوجات تعدد ، فان على الزوج
أن يجعل لكل من جميع صور المعاشرة والمعاملة والاتصال ، مثل ما لغيرها ، ماثلة
متطابقة تماما ، قدر ما يستطيع . أما الشرعية فلا حق لها قبل السيد الا فى المعاملة
الانسانية والمأكلى والمشرب والملبس بالمعروف ، ثم فى حق الحرية اذا حبلت عنه ،
بوصفها اذن أم ولد له .

أما النظام الخاص ، بالنسب ، عليه السلام ، فكما تنظمه الآياتان الخمسين والحادية
والخمسون المقصودتان بهذا الكلام ، فإنه يختلف عن النظام العام للزواج والتصرى ، فى هذه
أمر :

١- والقاطع المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المستورة والأنعام والحَرْث ، ذلك
تأم الحياة الدنيا ، والله غنى عنه حسن المآب .

وفى صحيح البخارى ١٦٦: ٦ يقول عربى الخطاب لعبد الله بن عباس إنه دخل
على النسي عليه السلام فى منزله " وأنه لملئ حصى ما بينه وبينه شئ " ، وتحت رأسه
وسادة من آدم حشوها ليف ، وأن عند رجله قرطا مصورا (جلدًا بدويًا) وعند رأسه
أهبل معلقة ، فرأيت أثر الحصى فى جنبه ، فبكيت ، فقال : ما يبكيك ؟ فقلت :
يا رسول الله ، أن كسرى وقيصرفيا هما فيه ، وأنت رسول الله (فقال : أما ترى
أن تكون لهم الدنيا ، ولنا الآخرة ؟)

(١) ما تقدم ، ص

(٢) ما تقدم ، ص
(٣) البقرة ٢: ٢٢٨ .

أولا اختيار الزوجات للأخرة وتركهن الحياة الدنيا وزينتها جعلهن ، في الواقع
 ومطالبه ، غير ذات حق في مقتنيات الزواج العادي ، لأنهن وضمن أن يكرمن حياتهن
 لخدمة الرسالة وابتغاء ما يرض الله ورسوله ويضمن لهنّ المنزلة الرفيعة في الدار الآخرة ،
 قصرن ، من حيث الحقوق الزوجية الدينية فقط ، في منزلة الشّرة ، في النظام
 العادي ، ومومى هذا أن تكون ، من هذه الوجهة ، مآواة بين الزوجة والشّرة ،
 وأن يبقى الاختلاف واسما عظيما في الوضع الأخرى أو المتعلق به من أمور الدنيا .
 ذلك أن الزوجة أمّ للمؤمنين وليست الشّرة كذلك ، والزوجة لها جزاء الضعف ففسى
 الأجر والعقاب وليست الشّرة كذلك ، والزوجة اختارت الأخرة وتركّت أمور الحياة الدنيا ،
 أما الشّرة فانها (وهذه في اجابة السؤال الأخير) ليست كذلك لأنها ، ليست
 مُسلمة ، فيها تصل بواقع سرارى النّسب عليه السلام ، ذلك أن هؤلاء كن اما هدينة
 من المقوقس عظيم القبط ، مثل مارية القبطية ، والدبلوماسية والعرف الدولي المعاصر
 يأبى على النّسب ، أن يرفض ، أو أن يتخلص من القول الشرع في عصره ، لئلا تملك
 الهدية ، وخاصة أن الدين الاسلامى ، قد ساوى ، في هذا الشأن بين المسلمين
 والكتائب ، وحرم الاكراه في الدين ، والأخبارات كن ثلاثا أسيرات حرب كتابيات
 (يهوديات) في المستوى الاجتماعى في قوسن الذى يأبى العرف الدولي آنذاك
 أن يتزلزل الا منزل رئيس المجتمع المنتصر (الآمر) وقد تحول منهن اثنتان الى الاسلام ،
 فصرن زوجتين لهما كل ما تقدم في الوضع القانونى لزوجات النّسب ، وقيمت واحدة طمس
 دينها فظلت شّرة . وقد صارت احدى الأثنين هاتين ، وهى مارية ، حرة بمولد
 ابراهيم . وقال النّسب عليه السلام : " حررها ولدها " وهكذا كان التسرى كله
 فرضة العرف والمجاملات الدبلوماسية .

(١) تقدم ما قال الضمير في شأن من تسرى بهن رسول الله ، صلى الله عليه
 وسلم ، وخصيف اليهما قال أكثر كتاب السيرة ، مثل ابن هشام (٢٠١ : ١٩١٤٧)
 عن مارية القبطية " أم ابراهيم " : الطبرى (تاريخ ٢ : ٦٤٥ ؛ ٣ : ٢١ - ٢٢ ،
 ٩٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ٣٨ : ٤ ، ذيل تاريخ الطبرى ١١ : ٥٠٤) وهو
 يذكر في اهدائها من المقوقس روايات عدة ، ويذكر أنها ماتت في السنة السادسة
 عشرة هجرية فعلى عليها عشرين الخطاب ودفنت في البقيع ، وابن الأثير (الكامل
 في التاريخ ٢ : ٢١١ ، ابن كثير (البداية والنهاية في التاريخ ٥ : ٣٠٣ - ٣٠٥ ،
 ٣٠٦) وهو يروى روايات كثيرة عن مارية وعن حياتها وعن ابن عم لها كان مجّوبا
 وجاء معها ، ولا يهنا ، هنا ، عنه الا أنها كانت سيرة رسول الله ، وأنهما
 ولدته له ابراهيم ، وأنه قال عنها : " أحقها ولدها " .

٣ - " ونبات عك ونبات عاتك ، ونبات خالك ونبات خالانك ، اللاتسي

هاجين معك " .

واللاحظ ، في المراجع السابقة الإشارة إليها ، من قبل ، وهنا أنفساء
أن الاجماع على أن مارية كانت سرية . أما من عداها فليس هناك اتفاق مطلقا
على أية واحدة . ذلك أن جويرة بنت الحارث وصفية بنت حيي ، وكانت بنتي
زعمي قوسيا ، لم تتخذوا سريتين قط إذ تزوجها النبي بعد أن اعتقهما .
أما الأخيرة ، وهي ريحانة ، فالاختلاف بشأنها في المراجع كبير ، حتى أنه
يصح ، وفق ما جاء في بعضها ، نفى أنها كانت سرية ، وأذن تكون مارية
هي وحدها فقط ، السرية الفريدة التي كانت للنبي ، عليه السلام . ذلك
أن من المراجع ما يقول إن النبي ، عليه السلام ، خيرها بين الاسلام وأن يتزوجها
أو أن تظل أمة في ملكه فابت أن تسلم ، فعرلها (أنظر ابن هشام ٢ - ٤ : ٢٤٥)
حيث يقول : " قد كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
عرس عليها أن يتزوجها ، وضرب عليها الحجاب ، فقالت : يا رسول الله ،
بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وطلبك ، فتركها " على حين يكفي الطبري
(٣ : ١٦٧ ، ١٦٩) يقول : " ذكر سراي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
وهي مارية بنت شمعون البعلية ، وريحانة بنت زيد القرظية . وقيل : هي من بني
النضير " . ومثله في هذا تماما ابن الأثير (٢ : ٢١١) أما ابن كثير
(٣ : ٣٠٥ - ٣٠٦) فيأتي بروايات كثيرة ، منها أنها عزلت ، ومنها أنها
كانت سرية حتى ماتت ، ومنها عن الزهري أنها أسلمت فأعتقها وتزوجها ،
وفي رواية أنها ماتت في حياة رسول الله ، وفي رواية أخرى عن الزهري أن النبي
اعتقها فلحقها بأهلها .

والنظر في التمييز عن الأوضاع المختلفة للأمة لدى سيدها ربما كان سببا لكثير
من الاضطراب في التحديد . ذلك أن الأمة قد تكون ملكا حين للعبد ولا ينسرى
بها ، وقد يكون ذلك لأنها لا تحل له سرية أما لأنها ليست من أهل الكتاب
أو لأن لديه من أثارها من يحرم الجمع بينه وبينها في وضعه لديه ، وأما لأنها
متزوجة من آخر غير النبي ، أم معها - في المذهب الحنفي - وقد تظل أمة
ولا مانع من التحريم بينها ولكنه ، أي العبد ، لا يبرء ذلك . وقد يكون الرسول
قد علم أنها ، كما روى ابن كثير (٣ : ٣٠٥) " كانت عذ زوج لها ، وكان محبا
لها محبا ، فقالت : لا استخلف بعدة أحدا أبدا " . وأذن فلا يليق بمكان
النسوة وجلالها أن يتزوج بها ، وبين شرعيتها أو اعتقها دون أن تكون سرية لسه ،
كما جاء في الروايات الأخرى .

ونظر ، على أية حال ، في شأن جويرة وصفية ، المراجع المشار إليها هنا
ومن قبل ، وخاصة ابن هشام (٣ - ٤ : ٢١٠) جويرة بنت الحارث قائم بين المصطلق
٢١٤ - ٢١٦ ، وهو يقول أن النبي عداها ما اعتقها وتزوجها " وخرج الخبر إلى
الناس أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد تزوج جويرة ابنة الحارث ، بين
أبي ضار ، فقال الناس : أصهار رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأرسلوا
ما بأيديهم . قالت (عائشة) فلقد اعتق تزويجه إياها ما أهلك أهل بيت من بنسب
المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها " ٦٤٣ : ٦٤٥ - ٦٤٦ .

تقدم أن الله قد أحل للنبي أزواجه اللاتي آتى أجورهن ، على وضع ثانوى خاص سيأتى بيانه ، وأحل له على ذلك الوضع بنات العم والخال والمعلمات والخالات اللاتي هاجرن معه . أى أنه سبحانه أخذ يحدد من يجوز للنبي أن يتزوج مع الزوجات اللاتي كن لديه ، أو بعد من يموتنهن ، أو يخرج من عداد أزواجه على أى نحو كان يمكن حدوث هذا الخروج .

والموطل الآن هو ، على خلاف ماضى الشراح به ، من الوثوق من الفرق بين استعمال العم والخال أفرادا والمعات والخالات جميعا ، من الناحية اللغوية . ذلك أن الذى يهيم هنا هو تحديد الواقع : كم عا أو كم خلا وكه عا أو خالة كان لهن بنات هاجرن معه ، عليه السلام ، واستبقت لهن الآية الكريمة بابا للأمل ففسى أن يجدن - أن احتجن - فى كشف رسول الله ، ملاذا كريها ؟

لم يحاول أحد أن يحدد هذا من واقع ما كان فعلا ، ولعل هذا كان رغبة فى اظهار أن القصر والحصر فى الآية لم يكن تنقيفا للمعة التى ينهى أن يقال ان الله قد أرادها للرسول ، عليه السلام ، فى هذا المجال .

ولكننا نستطيع أن نحدد من تزوج النبي فعلا من هذه الطائفة من بنات العم والخال والمعات والخالات ، بعد نزول هذه الآية ، لأن أزواج النبي معارف لنا على نحو محدد مكررى فى كل المراجع .

والغريب أننا ، اذا استثنينا المعة زينب بنت عمه الرسول ، والمعاق فسى الصورة يدل على أن النبي قد تزوجها قبل نزول هذه الآية ، لانجد بين زوجات النبي واحدة أخرى من هذه الطائفة . قد يقول قائل : بنت أبى سفيان أم حبيسة كانت مهاجرة وأبو سفيان من أبناء صوة الرسول ، ولكن هذا ليس المقصود بالآية فأبو سفيان ليس عا بالمعنى الذى يقصد بالعم فى قول الآية " بنات هك " .

اذن نستطيع أن نقول من الواقع الذى تشهد له المراجع أن النص كان لمجرد إبقاء الأمل المشرع لدى من كن موجودات من هذه الطائفة فى أن باب بيت النبي مفتوح لمن يحتاجنهن ، على الأقل ، فى الفترة الحرجة التى أعقبت الهجرة وأشاعت أحداثها

* وانظر لديه فى شأن صفية ٤-٣ : ٣٣١ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٧ ، ٣٤٧ بنت ملكهم ٦٤٣ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ (الطبرى (تاريخ ٢ : ٦١٠) وهو يقول عن ابن هشام السابق ذكره ٣٤ : ١٦٥ فى المعنى نفسه ملخصا كل ذلك فى شأن جويرية . أما فى شأن صفية ، فانظر ٣ : ١٤ ، موبها بلال على قتلها توسا . فقال له النبي " انزعك منك الرحمة يا بلال " ٣ : ١٨ " ابنة ملكهم " نقلا عن ابن هشام ٣ : ١٦٥-١٦٦) .

شيئا من التلق في نفوس غير ذوات الكاسب من المهاجرات • ونرى أن هذا الباب • هو كذلك • أن يبقى طويلا حتى يفلقه نحر التحريم المطلق • سيأتي •

٤ - " وأمرأة مؤمنة أن وهبت نفسها للنبي • أن أراد النبي أن يحتكمها خالصة لك من دون المؤمنين " .

هذا الجزء من الآية يجهز للنبي • موثقا على ما سيأتي • أن يتزوج • في الوضع القانوني الخاص لأزواجه امرأة مؤمنة تهب نفسها إليه ويرى هو أن يتولها زوجها • ويقول آخر الفقرة : أن هذه الاجازة خالصة للنبي وحده لا تجوز لغيره من المؤمنين • ويريد الآن أن نعرف ماذا في هذا الجزء بعد خاصة خالصة للنبي • عليه السلام • ولماذا ؟ ثم هل حدث تطبيق على لهذا النص في حق النبي • عليه السلام • أو أنه كان فرضا نظريا بحثا • قصد به إلى تصحيح فكرة • بيان حالة • وضع قاعدة ذات حكم مخالف يلتزمها المؤمنون شريعة اسلامية دائمة ؟

أولا : هل قصد بالهبة هنا مجرد الزواج بغير مهر • كما يقول فريق من الفقهاء • وعلى الآخر المذهب الخنفي ؟

الحق أن المهر ليس مشكلة تستحق مثل هذا التخصيص • لأن غير النبي • من سائر المؤمنين • يحتطع أن يتزوج بمهر رمزي مثل " خاتم من حديد " أو " آيات من القرآن يعلمها الزوجة " والقرآن الكريم يجهز للزوجة أن تهب زوجها المهر بمقداره بثبوته بالتسمية قبل الدخول صعدة (١) .

الخالصة • إذن • في أن تتقدم امرأة إلى رجل فتطلب إليه أن يتزوجها دون مقابل • فهل يجوز ذلك أولا للنبي • ولماذا ؟ وهل تقصر اباحة ذلك عليه دون المؤمنين ولماذا ؟

عرفنا أن أزواج النبي عليه السلام قد اختزن الآخرة وتجردن من زخارف الحياة الدنيا وزيّنها لله ورسوله • وعرفنا • كذلك • أن النبي • بوصفه نبيا ورسولا وقادة حسنة للمؤمنين • لا يرمى إليه شك في سلوك أو شبهة في سيرة • وإن فتقدّم امرأة إليه تطلب أن يتقبلها زوجة غير راعية في الحياة الدنيا وزيّنها بل مخرّجة إلى الله ورسوله والدار الآخرة • ليس علا تأباه الأخلاق الكريمة • ولا يتأني منه اتاحة فرصته لذوى الأخلاق المشكوك في سلاتها • من " الذين في قلوبهم مرض " إلى فعل غير مشروع ومن ثم جاز للنبي ولم يجز لغيره من المؤمنين لأن هؤلاء لا يحرم على زوجاتهم

طلب المشروع من مطالب الحياة الدنيا وزينتها ولا يخلص منها للدار الآخرة ،
وليس كل المؤمنين فوق الشك والشبهة ، وإنما توضع القواعد لسائر الناس .

ثانياً : أنه لم يثبت مطلقاً ، ولا نجد في الواقع ، أنه كان بين أزواج النبی
من تزوجها بالهبة ، والشرح الذين يشكون في قول ابن عباس أنه لم يكن لدى النبی
من الواهبات أنفسهن أحد ، يخلطون ، قالها ، بين أمين وبين عرض بعض النساء
يُبَيِّنْنَ أَنْفُسَهُنَّ عَلَى النَّبِيِّ ، وهذا ما لا سهيل للشك فيه ، وإنما الشك في العدد
أكان واحدة أم أكثر ؛ ومن تحول النبی لهذا الموضع تمام الزواج بهذا القول ،
وهذا ما لم يكن ، كما يقول ابن عباس ، وكما هو معروف من أزواج النبی المذكورات
في كل المراجع .

وأذن فالآية قصد بها ، كما ذكرنا سابقاً (١) ، اغناء نوع من الشرعية على فعل
من وهبن أنفسهن فزوجهن النبی من غيرهن ، حتى لا يُمَيَّرْنَ بِذَلِكَ أَحَدٌ ، ثم قصد
به كذلك ، اشعار من قد يرضى في ذلك مستقبلاً ، أن القرآن يأذن للنبي
عليه السلام بمعدم القول ، إذ تقول الآية : " إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَكْبِهَا " .
أي أن يطلب هو زوجها ، وأن الخبر لهن ألا يفعلن ذلك " لكن لا يكون على النبی
حرج " .

• - " قد علنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم ، لكيلا يفسد
عليك حرج ، وكان الله قهراً رحيماً ؛ بين الله ، سبحانه وتعالى ، بهذه الفقرة
أَنَّ ثَمَّةَ فَرْقٍ بَيْنَ الْوَضْعِ الْقَانُونِيِّ الْعَامِ الَّذِي فَرَضَهُ ، سبحانه ، على المؤمنين جميعاً ،
وبين الوضع النبوي الخاص ، في الأزواج وفي ملك اليمين ، وأنه ، جل شأنه ،
على علم بهذا ، قد فرض للنبي ذلك الوضع الخاص ، الذي رأينا أنه القصر في الجِلَّةِ ،
على طوائف معينة . ولا جازة في الزواج بالهبة ، ومنزى بآتي تنظيمه حالا ، وَتَبَيَّنَ
سبب هذا التنظيم الخاص ، بقوله عز شأنه : " لكيلا يكون عليك حرج " أي أن القصر
على ذوات القرابة الساجرات واشعار الواهبة أن الرسول له أن يرفض قبولها بالهبة ،
والتنظيم الخاص الآتي لما يجب للأزواج بعد اختيارهن الدار الآخرة ، وترك ما يتعلق
في الزواج بالحياة الدنيا وزينتها ، كُلُّ ذَلِكَ يُرْفَعُ الْحَرْجُ الَّذِي كَانَ الرَّسُولُ يَتَحَبَّلُهُ
غیر ميسره حله ، ولا يتفق مع خلقه وما يعرفه المؤمنون من نجاته ، أَنَّ يُخَصَّبَ الطامع فيه .
وفي آخر الفقرة ، يمد الله ، سبحانه ، مَنْ صَبَّ ذَلِكَ الْحَرْجَ لِلرَّسُولِ ، غير تاصد إليه ،
بالمغفرة والرحمة ، فيقول : " وكان الله قهراً رحيماً " .

وتأخذ الآية الحادية والخمسين في بيان الوضع الخاص الذي أحله الله للنبي
فيم تقدم من أزواج ملك يمين فتقول :
٦ - " تَرْجَى مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ ، وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ، وَمَن ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ
عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ . "

فالأرجاء هنا قد يكون لمن تهب نفسها حتى لا تخرج الرسول ، وقد يكون
للزوجة لأنها باختيار الآخرة ليس لها أن تعود إلى اقتضاها حقوق الوضع الديني - وسنرى
أنه سيحرم عليها أن ترجع في اختيارها هذا فتتزوج بعد النبي أحدا - وقد يكون
الأرجاء للكفر في ملك اليمين . وهذا في شأنها لا يختلف عن وضعها بالنسبة لساكن
الناس ، في الوضع المادي العام في نظام التمرد ، ذلك أن الشريعة لا حق لها ، لا
على السيد ، في القسم بينها وبين زوجته ، بل أن لهذه أن تمتنع على مباشرة السيد
لأنه في فراشها (كما لا في أن يخصر لها سكا خاصا يباشرها فيه .

والإيحاء : إعطاء المأوى ، أو الضم ، لمن تشاء من الأزواج والأقارب ، ومن ابتغيت
أي طلب الإيوان ، ومن كنت قد جعلته في منزله عليك ، فلا جناح عليه في تفرقه ، كل ذلك
قد ترك لحكمتك ترتب الأمر فيه وفق مقتضيات رسالتك ، وحاجتك للفرغ للنبوة بها ،
من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، وفق تفريده للأصلح في أمور الآخرة لمن اختار الله
ورسوله والدار الآخرة من رسالتك .

٧ - " ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقْرَأَهُنَّ لِرَبِّهِنَّ ، وَلَا يَحْزَنَ ، وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ .
والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله طيبا حلما .

(١) يقول الطبرسي ١٠: ٦٦ : " قد حكى أن عبد الله بن رواحة ، وكان من النقباء ،
كانت له جارية فغابته زوجته ليلة فقلنا قولاً بالتمريض ، فقالت : أن كنت لم تقر بها
فأقرأ القرآن . قال :
فأنشئت :

شهدت فلم أكذب بأن محمدا .
وأن أبا يحيى يحيى كلاهما .
وأن التي بالجزع من بطن نخلية .
قلت : زدني ، فأنشئت :

فبينما رسول الله يطلو كتابه .
أتى بالهدى بعد العمى فنفوسنا .
بيت يجاني جبهه عن فراشه .
فقلت : زدني ، فأنشئت :

شهدت بأن وعد الله حقيق .
وأن محمدا يدعو بحقيق .
وأن النار مشوى الكافرين .
وأن الله مولى المؤمنين .

يُطْمِئِنُّ أَنْ الْإِرْجَاءَ وَالْإِيوَاءَ وَالْعِزْلَ وَالْإِدْنَاءَ إِنَّمَا مَعْيَارُهُ الصَّالِحُ الْعَامُّ لِلدَّعْوَةِ
وَلِطَمَنَاتٍ وَضَمَمِينَ مَوْضِعِ التَّجَرُّبَةِ لِعَدْنِهِنِ الْمَرْمُومَةِ عَلَى اخْتِيَارِ مَا يَرْضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ
يَهْوِي الدَّارَ الْآخِرَةَ أَدْنَى : أَقْرَبَ وَأُخْرَى أَنْ تَقْرِبَهُ أَهْمُهُنَّ • وَتَكُنْ إِلَيْهِ بِالرَّضَا
نَفْسُهُنَّ جَمِيعًا • وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِ النَّبِيِّ مِنْ إِثَارَةِ مَقْتَنِيَّاتِ الْآخِرَةِ عَلَى لِسَانَاتِ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي اخْتِيَارِهِ هَذَا الْإِتِّجَاهَ أَوْ ذَاكَ • كُلُّ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِ نِسَائِهِ مِنْ صِدْقِ
الْقَوْلِ لِمَا يَضْمِنُ لَهُنَّ سَعَادَةَ الدَّارِ الْآخِرَةِ • وَهُوَ حَلِيمٌ يَمْنُنُ لَا يَعْلَمُ رِضَاهَا مِنْ كُلِّ شَائِئَةٍ
حَتَّى تَتَوَبَّ وَتُسْتَقِيمَ عَلَى النُّهْجِ الْقَوِيمِ • بَقِيَتْ كَلِمَةٌ فِي دَفْعِ شُبْهَةٍ قَدْ تَكُونُ فِي كَلَامِ بَعْضِ
الْمُفْرَاجِ • وَهِيَ أَنَّ النَّبِيَّ • عَلَى الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ • كَانَ غَيْرَ يَكْفِيهِ الْقِسْمُ الْمَادِلُ بِبَيْنِ
الزَّوْجَاتِ • أَوْ بَيْنَ نِسَائِهِ جَمِيعًا بِبَعْضٍ بَعْضٍ • وَهَذِهِ الشُّبْهَةُ حَقِيقَةٌ بِالْإِزَافَةِ وَالتَّوَضُّعِ
فَالنَّبِيُّ • عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَآزْكَى السَّلَامِ • أَوَّلُ الْمُكْتَفِينَ بِالْعَدْلِ • وَمَنْ يَعْدِلُ لَوْلَمْ يَعْدِلْ
هُوَ ! وَإِنَّمَا مَعْيَارُهُ فِي الْعَدْلِ هُنَا مُتَوَافِقٌ مَعَ الْوَضْعِ الْخَاصِّ لِنِسَائِهِ وَرِضَاهُنَّ بِـ •
فَهُوَ مَعْيَارُ صَالِحِ الدِّينِ لَا صَالِحِ الدُّنْيَا • وَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ الْحَدِيثُ الْمَعْرُوفُ ^(١) : " اللَّهُمَّ
هَذَا أَعْمَلِي فِيهَا أَمْلَكَ • فَلَا تَلْنِي فِيهَا تَمْلَكَ وَلَا أَمْلَكَ " وَهُوَ • عَلَيْهِ السَّلَامُ • يَمْنُسِي
بِذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ أَبْرَأَ ذِمَّتَهُ بِفِعْلِ كُلِّ مَا يَسْتَطِيعُ •

وَأَتَى بِمَعْنَى ذَلِكَ الْآيَةُ الثَّانِيَّةُ وَالْخَمْسُونَ لَتَحْمِلَ الْخَافَةِ فِي شَأْنِ حِفْظِ الزَّوْجِ
عَلَى النَّبِيِّ • عَلَيْهِ السَّلَامُ حِفْظًا تَامًا وَنَهَائِيًا • وَلَوْلَمْ يَتَّقِ لَدَيْهِ زَوْجَةً وَاحِدَةً • أَلَا مَا تَمْلَكَ
بَيْنَهُ • عَلَى النُّحُوْلِ السَّابِقِ بَيَانَهُ • وَسَيَأْتِي مُزِيدٌ فِي هَذَا الْبَيَانِ :
تَقُولُ الْآيَةُ ^(٢) : " لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ • وَلَا أَنْ تَبْدُلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجِ • وَلَوْ
أَمْسَكَكُ حَسَنُهُنَّ • أَلَا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ • وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَهِيمًا " •

• فَقَالَتْ : أَمَا إِذَا قُرِئَتِ الْقُرْآنُ فَقَدْ صَدَّقَتْكَ • فَأَخْبَرْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ • صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : مِمَّذَا أَنْ تَحْسَبَ • خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِ • •
وَقَرِيبٌ فِي هَذَا ابْنُ قَدَامَةَ • الْمَغْنَنِيُّ ٢٨١ •

(١) أَنْظَرُ ابْنِ كَثِيرٍ • غُسَّيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ • الْمَجْلَدُ الْمَادِسُ ص ٤٣٨ • حَيْثُ يَقُولُ
" حَدَّثَنَا يَزِيدُ : حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سُلَيْمَةَ • عَنْ أَبِي يُوسُفَ • عَنْ أَبِي قَلَابَةَ • عَنْ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ يَزِيدَ • عَنْ عَائِشَةَ • قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ • صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ • يَقْسِمُ
بَيْنَ نِسَائِهِ فَيُعْدِلُ • ثُمَّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ هَذَا أَعْمَلِي فِيهَا أَمْلَكَ • فَلَا تَلْنِي فِيهَا تَمْلَكَ
وَلَا أَمْلَكَ " رَوَاهُ أَهْلُ الْحُسَيْنِ الْأَرْبَعَةُ • •

(٢) الْآيَةُ عَلَى وَضُوحِهَا هَذَا • مُخْتَلَفٌ فِي غُسَّيرِهَا • عَلَى النُّحُوْلِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهِ الْمُنَادِجُ
الْآتِيَةُ :

يَقُولُ الْقُرْآنُ (مَعَانِي الْقُرْآنِ ٢ : ٣٤٦) " لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ • وَلَا اسْتِدْجَالُ بَيْنَ •
وَأَجْمَعَتِ الْقُرْآنُ عَلَى لَا يَحِلُّ بِالْيَا • • وَذَلِكَ أَنَّ الْمَعْنَى : لَا يَحِلُّ لَكَ شَيْءٌ مِنَ النِّسَاءِ • •

ويحسن بنا أن تأتي بنماذج من تفسير المغنين للآية ، ثم نضيف إليها

ما في الحاشية ، قبل أن نحدد معانيها :

- فلذلك أختير تذكير الفعل ، ولو كان المعنى للنساء جميعا لكان التأنيث أجود في العربية والتاء جائزة لظهور النساء من غير من .
- ويقول الطبري في تفسيره (٢٢ : ٢١ - ٢٥) : " اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ، تعالى : لا يحل لك النساء من بعد ، فقال بعضهم : معنى ذلك لا يحل لك النساء من بعد نساءك اللاتي خيرتهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة " - عن ابن عباس ، قال : " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يتزوج بعد نساءه الأول شيئا " - عن قتادة : " قصره الله عليهم " وقال آخرون : " إنما معنى ذلك : لا يحل لك النساء ، بعد التي أحللت لك ، بقولنا : يا أيها النبي ، أنا أحللتنا لك أزواجك - التي قوله - اللاتي هاجرن معك ، وامرأة مؤمنة ، ان وهبت نفسها للنبي ، وكان فائلي هذه المقالة وجهها الكلام إلى أن معناه : لا يحل لك من النساء إلا التي أحللتها لك " - عن أبي بن كعب أنه قيل له : " أرايت لـ" أن أزواج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، توفي أن كان له أن يتزوج ؟ فقال : وما يمنع من ذلك ؟ ربما قال : وما يحرم عليه ذلك ؟ قيل : " قوله : لا يحل لك النساء من بعد ، فقال : إنما أحل الله له ضربا من النساء ، فقال : يا أيها النبي انسا أحللتنا لك أزواجك - التي قوله - ان وهبت نفسها للنبي . ثم قيل له : لا يحل لك النساء من بعد " - عن أبي صالح : لا يحل لك النساء من بعد - قال : أسر أن لا يتزوج أجنبية ولا غيبة ، ويتزوج بعد من نساء تهاية ، ومن شاء من بنات المسم والممة والخال والخالة ، ان شاء ثلاثانة " . وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا يحل لك النساء من غير المسلمات ، فأما اليهوديات والنصرانيات والمفركسات فحرام عليهن . - عن مجاهد : " لا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة " وانتهى الطبري إلى قوله : " وأولى الأقوال ، هدى ، بالصحة ، قول من قال : معنى ذلك : لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحللتن لك بقولي : أنا أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن - التي قوله - وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي . وإنما قلت ذلك لأولى بتأويل الآية ، لأن قوله : لا يحل لك النساء ، عقيب قوله : أنا أحللتنا لك أزواجك ، وغير جائزة أن يقول : قد أحللت لك هؤلاء ، ولا يحللك لك () إلا ينسخ أحدهما صاحبه وطى أن يكون وقت فرض إحدى الآيتين قبل الأخرى مذهباً ، فإذا كان ذلك كذلك ، ولا برهان ولا دلالة على نسخ حكم إحدى الآيتين حكم الأخرى ، ولا تقدم تنزيل أحدهما قبل صاحبتها ، وكان غير مستحيل مخرجهما على الصحة ، لم يجوز أن يقال : أحدهما ناسخ الأخرى . وإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن لقول من قال : معنى ذلك : لا يحل من بعد المسلمات يهودية ولا نصرانية ولا كافرة ، معنى نفهم ، إذ كان قوله : من بعد ، إنما معناه : من بعد المسلمات المتقدم ذكرهن في الآية قبل هذه الآية ، ولم يكن في الآية المتقدم فيها ذكر المسلمات بالتحويل لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ذكر إباحة المسلمات كلن . بل كان فيها ذكر أزواجه وملك يمينه الذي يفي الله عليه ، وبنات عمه وبنات عماته ، وبنات خاله وبنات خالاته ، اللاتي هاجرن معه ، وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ، فتكون الكوافر مخصوصات بالتحريم . صح ما قلنا في ذلك ، ودين قول من خالف قولنا فيه .

يقول أبو بكر الرازي الجصاص في هذه الآية : في كتابه أحكام القرآن : " ظاهر الآية يفيد تحريم سائر النساء على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، سوى من كن تحته وقت نزولها .

ثم ينتقل الطبري الى قوله ، تعالى : " ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبكم حسنهن " ويذكر اختلاف أهل التأويل : " فقال بعضهم : معنى ذلك : لا يحل لك النساء من بعد السلمات : لا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة ، ولا أن تبدل بالسلمات غيرهن من الكافر " - عن مجاهد ، وعن أبي ذر بن - وقال آخرون بل معنى ذلك : ولا أن تبدل بأزواجه اللواتي هن من حالك أزواجاً غيرهن - بأن تطلقهن وتكبح غيرهن - عن الضحاك - وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا أن تبدل من أزواجه غيرك ، بأن تعطيه زوجته وتأخذ زوجته - عن ابن زيد - وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : معنى ذلك : ولا أن تطلق أزواجك فتستبدل بهن غيرهن أزواجاً ، وأما قلنا : ذلك أولى بالصواب ، لما بينا قبل من أن قول الذي قال : معنى قوله : لا يحل لك النساء من بعد : لا يحل لك اليهودية والنصرانية والكافرة ، قول لا وجه له - فإذ كان ذلك كذلك ، فكذلك قوله : ولا أن تبدل بهن كافرة ، لا معنى له - إذ كان من السلمات من قد حرم عليه ، بقوله : لا يحل لك النساء من بعد ، مما لذي دللنا عليه قبل - وأما الذي قاله ابن زيد في ذلك أيضاً ، فقول لا معنى له ، لأنه لو كان بمعنى العادلة ، لكانت النسوة والتزويل : ولا أن تبدل بهن من أزواج : أو ولا أن تبدل بهن - بغير التاء - ولكن القراءة الجمع عليها : ولا أن تبدل بهن - بفتح التاء - بمعنى : ولا أن تستبدل مع أن الذي ذكر ابن زيد ، من فعل الجاهلية ، غير معروف في أمه ، نعلمه ، مسن الأم ، أن يبادل الرجل آخر بامرأة الحرة ، فيقال : كان ذلك من فعلهم . فثبت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من فعل مثله . فان قال قائل : أفليس يكن لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن يتزوج امرأة ، على نكاح اللواتي كن هذه ، فيكون موجباً تأويل قوله : ولا أن تبدل بهن من أزواج ، إلى ما تأويل ؟ أو قال : وابن ذكر أزواجه اللواتي كن هذه ، في هذا الموضع ، فتكون البهائم من تولدهن : ولا أن تبدل بهن ، من ذكرهن ؟ وتوهم أن البهائم هي ذلك عائدة على النساء . في قوله : لا يحل لك النساء من بعد . قيل : قد كان لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن يتزوج من النساء اللواتي كان الله أحلهن له ، على نكاحه اللاتي كن هذه ، ثم نزلت هذه الآية ، وأما نهي ، صلى الله عليه وسلم ، بهذه الآية أن يفارق من كان عنده ، بطلاق أراد به استدال غيرها بها ، لا عجاب حسن المستبدلة لها بها إياه ، إذ كان الله قد جعلهن أمهات المؤمنين ، وغيرهن بين الحياة الدنيا ، والدار الآخرة والرضا بالله ورسوله ، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة فحرمهن على غيره بذلك ، ومنع من فرائض بطلاق ، فأما نكاح غيرهن فلم ينع عنه ، بل أحل الله ذلك له ، على ما بين في كتابه . وقد روى عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبض حتى أحل الله له نكاح أهل الأرض ، وفتى الطبري الى قوله ، تعالى : وكان الله على كل شيء حفيظاً ، لا يحزب عنه علم شيء ، من ذلك ولا يؤوده حفظ ذلك كله ."

والطوسي ، شيخ الشيعة ، يقول (٣١٢ : ٨ - ٣١٣) : " قوله : لا يحل لك النساء =

وقد روى ابن جرير عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، عن عائشة ، قالت : ما مات رسول صلى الله عليه وسلم ، حتى حل له النساء . وهذا يوجب أن تكون الآية منسوخة .

من بعد ولا أن تبدل بهن - قال ابن عباس والحسن : بعد التمتع اللاتي كن هذه ، واختزنه ، مكافأة لهن على اختيارهن الله ورسوله . قال ابن جرير : لا يحل لك من بعد ، أي : حرم عليك ما عدا اللواتي ذكرن بالتحليل . وقس : أنا أحلنا لك . الآية . وهي ستة أجناس النساء اللاتي هاجرن معك ولا يحل له غيرهن من النساء . وقال مجاهد : لا يحل لك النساء من أهل الكتاب ، وحل لك المصلحات . وروى أن حكم هذه الآية نسخ . وأبجح له ما شاء من النساء . أي : أي جنس أراد ، وكما أراد ، فروى عن عائشة أنها قالت : لم يخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، من دار الدنيا حتى حلل الله له ما أراد من النساء . وهو ذهب أكثر الفقهاء ، وهو المروى عن أصحابنا في أخبارنا . ولا تبدل بهن من أزواج ، قال ابن زيد : معناه : أن تعطى زوجتك لغيرك وتأخذ زوجة : لأن أهل الجاهلية كانوا يتبادلون الزوجات . وقيل : معناه : تطلق واحدة وتتزوج أخرى بعدها . ولو أجهلك حسنهن إلا ما ملكت يمينك - استثناء الإماء ، أي اللاتي تملكهن ، من جملة ما حرم عليه من النساء : وكان الله على كل شيء رقيباً . أي : عالماً وحافظاً فالترتيب : الخفيف ، في قول الحسن وقادة .

وقول الزمخشري (٣ : ٢٧٠) " لا تحل - ونرى بالتذكير ، لأن تأنيدهم الجميع غير حقيقي ، وإذا جاز بغير فصل ، في قوله ، تعالى : وقال نسيوة كان مع الفصل يجوز - من بعد : من بعد التمتع ، نصاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من الأزواج ، كما أن الأربع نصاب أمته منهن ، فلا يحل له أن يتجاوز النصاب ، ولا أن تبدل بهن : ولا أن تستبدل بهن التمتع أزواجا أخسره بملكهن أو بعضهن ، أراد الله لهن كرامة جزاء على ما اختزن ورضين ، فقصر النبي صلى الله عليه وسلم ، عليهن ، وهي التمتع اللاتي ماتت منهن : عائشة بنت أبي بكر ، حفصة بنت عمر ، أم حبيبة بنت أبي سفيان ، سودة بنت زمعة ، أم سلمة بنت أبي أمية ، صفية بنت أبي الخبيزة ، ميمونة بنت الحارث الهلالية ، زينب بنت جحش الأمدية ، جويرية بنت الحارث المصطلقية ، رضى الله عنهن في أزواج ، لتأكيد النفى ، وفائدته استغراق جنس الأزواج بالتحريم . وقيل : معناه : لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نحر أحلالهن لك من الأجناس الأربعة ، من الإماء والبكر والضراب أو الكتابيات أو من الإماء بالنكاح . وقيل : في تحريم التبدل : هو بمن البدل الذي كان في الجاهلية : كان يقول الرجل للرجل : بادلتني بأمراةك وبأبدالك بأمراةي ، فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه . ويحكى أن عيينة بن حصن دخل على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وهذه عائشة من غير استئذان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عيينة أين الاستئذان ؟ قال : يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط من بني بني شذ أو ركت . ثم قال : ما هذه الجملة التي جئتك ؟ فقال ، صلى الله عليه وسلم : هذه عائشة أم المؤمنين . قال عيينة : أقبل أنزل لك من أحسن الخلق ؟ فقال ، صلى الله عليه وسلم : إن الله قد حرم ذلك . فلما خرج قالت عائشة ، رضى الله عنها : من هذا يا رسول الله ؟ قال : أحق مطاع وإنه ، على ما تبين ، لم يرد قوله .

وليس في القرآن ما يوجب نسخها ، فهي اذن منسوخة بالسنة ، ويحتج به في جواز نسخ القرآن بالسنة . فان قيل : لا يحل لك النساء من بعد ، خير ، ولا يجوز النسخ في خبره .

• ومن عائشة ، رضى الله عنها : ما مات رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى أحل له النساء ، بمعنى أن الآية قد نسخت . ولا يخلو نسخها إما أن يكون بالسنة ، وإما بقوله ، تعالى : انا أحللتنا لك أزواجك . وترتيب النزول ليس على ترتيب الصحف . ولو أعجبك . في موضع الحال من الفاعل ، وهو الضمير في " تبدل " ، لا المفعول الذي هو " أزواج " ، لأنه موزل في التكثير وتقديره : فخرضا أعجابك بهن . واستثنى ما حرم عليه إلا ما . رتبها : حافظا مهيبا . وهو تخدير عن مجاوزة حدوده ، وتخطي حلاله إلى حرامه .

ويكرر الطبرسي ١١٤ : ١١٥ - ما تقدم من المعاني ، ولا يضيف جديدا ينقل هنا . أما فخر الدين الرازي ٥٨٦ : ٥٨٧ فهو نموذج كبير الأهمية في الاسراف في القول بالنسخ ، ثم ينسخ الناسخ . ثم في عدم العودة إلى ما نسخ نسخه ، ولا انكسار أثر الفاسخ في الواقع ، كل هذا مع افتراض ما لم يكن يقينا على أنه قد كان يقينا ، وكل ذلك دون نص ولا آثار من علم (يقول : " لا تحل لك النساء من بعد " ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن - لما لم يوجب الله على نبيه القسم وأمره بتخييرهن فاخترن الله ورسوله . ذكر لهن ما جازاهن به من تحريم غيرهن على النبي عليه السلام ، ومنعه من طلاقهن ، بقوله : ولا أن تبدل بهن - وفيه مسائل : المسألة الأولى - قوله : لا تحل لك النساء من بعد . قال الفسريون : من بعدهن . والأولى أن يقال : لا تحل لك النساء من بعد اختارهن الله ورسوله ، وراضاهن بما يوثقهن من الوحل والهجران ، والنفر والحرمان . - المسألة الثانية - : قوله : ولا تبدل بهن ، يفيد حرمة طلاقهن ، إذ لو كان جائزا لجاز أن يطلق الكل ، ويعدن إما أن يتزوج بغيرهن ، أو لا يتزوج ، فإن لم يتزوج يدخل في زمة العزاب ، والنكاح فضيلة لا يتركها النبي ، وكيف وهو يقول : النكاح سنن . وإن تزوج بغيرهن يكون قد تبدل بهن ، وهو مضع من البطل . - المسألة الثالثة : من الفسريين من قال بأن الآية ليس فيها تحريم غيرهن ، ولا الضع من طلاقهن ، بل المعنى أن لا يحل لك النساء غير اللواتي ذكرنا لك من المومنات المهاجرات من بنات علك بنات عاتك ، وبنات خالك وبنات خالاطك ، وإما غيرهن من الكتابيات ، فلا يحل لك التزوج بهن . وقوله : ولا أن تبدل بهن منع من شغل الجاهلية فانهم كانوا يبادلون زوجة بزوجة ، فينزل أحدهم عن زوجته ، وتأخذ زوجة صديقه ، ويحط به زوجته . وعلى التفسير وقع الخلاف في مسائلتين : أحدها حرمة طلاق زوجاته ، والثانية حرمة تزوجها بالكتابيات ، فمن نسره على الأول ، حرم الطلاق ، ومن نسره على الثاني ، حرم التزوج بالكتابيات . - المسألة الرابعة - : قوله : ولو أعجبك حسنهن ، أي حسن النساء (وجاء بها قال الزمخشري محرفا) المسألة الخامسة - ظاهر هذا ناسخ لما كان قد ثبت له ، عليه السلام ، من أنه إذا رأى واحدة فوقعت في قلبه موقعا ، كانت تحرم على الزوج ، ويجب عليه طلاقها . وهذه المسألة حكيت ، وهي أن النبي ، عليه السلام ، وسائر الأنبياء ، في أول النبوة تشقت عليهم برحمة الوحي ، ثم يستأنسون به ، فينزل عليهم وهم يتحدشون مع أصحابهم ، لا ينسخهم من ذلك مانع . ففي أول الأمر أحل الله من وقع في قلبه ،

فيل له : انه ، وان كان في صورة الخير ، فهو نهي يجوز ورود النسخ عليه ، وهو منزلة ما لو قال : لا تتزوج بعد من النساء ، فيجوز نسخه . وهذا الاتجاه في شرح الآية يتلخص في أن ظاهر الآية يفيد تحريم سائر النساء على النبي ، بعد من كن عنده وقت نزولها ، وأن هذا الظاهر لا يخالف له في القرآن ، فالأصل أنه لا شك في ظاهره .

• غريبا لقلبه ، وتوسعا لصدوره ، لتلا يكون مشغول القلب بخير الله ، ثم لسا استأنس بالوحي ، ومن على لسانه الوحي ، نسخ ذلك ، أما لقوته ، عليه السلام ، للجمع بين الأمن ، وأما أنه يدوام الانزال ، لم يبق له بألف من أمور الدنيا ، فلم يبق له الثقات إلى غير الله ، فلم يبق له حاجة إلى احلال التزوج بمن وقع بحصره عليها . - المسألة السادسة - اختلف العلماء في أن تحريم النساء عليه نسخ أم لا ؟ فقال الشافعي : نسخ . وقد قالت عائشة : ما مات النبي إلا وأحل له النساء . وعلى هذا مخالفنا نسخ قوله : يا أيها النبي انا أحللت لك أزواجك - على فصول من يقول : لا يجوز نسخ الكتاب بخير الواحد ، إذ النسخ غير متواتر ، أن كان خبرا ثم قال ، تعالى : إلا ما ملكت يمينك ، لم يحرم عليه المملوكات ، لأن الإيذاء لا يحصل بالمملوكات ، ولهذا لم يجوز للرجل أن يجمع بين زوجتين في بيت للحصول النسوة بينهما ، وأما الخاصة ، ويجوز أن يجمع الزوجة وجسمان المملوكات ، لعدم التساوي بينهما ، ولهذا لا قسم لهن على أحد . ثم قال ، تعالى : وكان الله على كل شيء رقيباً ، أي حافظا عالما بكل شيء ، سادرا عليه ، لأن الحفظ لا يحصل إلا به .

أما القرطبي ، وقد عرف اتجاهه إلى رفض قبول أي حظر ، ولو بالقرآن ، على النبي عليه السلام ، فيقول ، في هذه الآية (١٤ : ٢١٩ - ٢٢٣) سبع مسائل : الأولى - اختلف العلماء في تأويل قوله : لا يحل لك النساء من بعد - طمس أقوال سبعة : الأولى - أنها منسوخة بالسنة ، والناسخ لها حديث عائشة قالت : ما مات رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى أحل له النساء - الثاني - أنها منسوخة بأية أخرى ، روى الطحاوي عن أم سلمة ، قالت : لم يمض رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء من شاء : إلا ذات حريم . وذلك قوله ، عز وجل : ترجى من تشاء ، ونهى إليك من تشاء . قال النحاس : وهذا ، والله أعلم ، أولى ما قيل في الآية ، وهو ، وقول عائشة ، وأحد في النسخ . وقد يجوز أن تكون عائشة أرادت أحل له ذلك بالقرآن ، وهو ، مع هذا ، قول على بن أبي طالب ، وابن عباس ، وعلى بن الحسين ، والضحاك .

وقد عارض بعض فقهاء الكوفيين ، فقال : محال أن تنسخ هذه الآية - يعني : ترجى من تشاء - من أجل لك النساء من بعد ، وهي قبلها في المصحف الذي أجمع عليه المسلمون . ورجع قول من قال : نسخت بالسنة - قال النحاس : وهذه المعارضة لا تلزم ، وقائلها غلط ، لأن القرآن بمنزلة سورة واحدة ، كما صح عن ابن عباس ، أن أنزل الله القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في شهر رمضان . - ويحين لك أن اعترض هذا لا يلزم قوله ، عز وجل : والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم مائة إلى الحول غير أخراج ، منسوخة ، على قول أهل التأويل ، لا يلزم بينهم خلافا ، بالآية التي قبلها ، والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا .

إلا أن رواية عن عائشة قد تدل على غير استمراره - حكمه وقد تدل على احتتمس -
أن تكون الآية قد نسخت بالسنة ، وإن كان الفقهاء لا يتفقون على جواز نسخ القرآن بالسنة
فأبو بكر الرازي الجصاص ، وهو من أتباع المذهب الحنفي القائل بجواز نسخ التسمآن
بالسنة ، يرى أن الأخذ برواية عن عائشة دليل على أن الآية قد نسخت بالسنة ؛ - مع أن
روايتها ليس فيها أى دليل على سُنَّةٍ ، لأنها لا تقول إنَّ النهى عليه السلام قال أو إنَّه
فعل ما يخالف الآية ، وإنما هو رأى لو صحَّ نسبه إليها وتأكَّدت ، لا يأتى بدليل لا ، - يسن
فعل النهى ^{بغير} قوله ، ^{بفتح} به للنسخ .

- الثالث - أنه ، صلى الله عليه وسلم ، حظر عليه أن يتزوج على نكاحه -
لأنهن اختن الله ورسوله والدار الآخرة - هذا قول الحسن ، وابن سيرين -
وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام . قال النحاس : وهذا القول يجوز
أن يكون هكذا ، ثم نسخ .
• الرابع - أنه ، لما حرم عليهم أن يتزوجن بعد ، حرم عليه أن يتزوج غيرهن -
قاله أبو إمامة بن سهل بن حنيف .
• الخامس - لا يحل لك النساء من بعد ، أى من بعد الأصناف التى سميت . قاله
أبو بن كعب وكبره ، وأبو زر ، وهو اختيار محمد بن جرير .
• السادس - ومن قال : أن الإباحة كانت له مطلقه ، قال : هنا : لا يحل لك النساء
معناه : لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات . وهذا تأويل فيه بعد ، وروى من
مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وكبره أيضا . قال مجاهد : لئلا تكون كافرًا ، أما للمؤمنين .
وهذا القول بعد ، لأنه يقدِّره : من بعد الصلوات ، ولم يجر للصلوات ذكر -
وكذلك قدر : ولا أن تبدل بهن ، أى ولا أن تطلق صلوة لم تبدل بها كتابية .
• السابع - أن النهى ، صلى الله عليه وسلم ، كان له خلال أن يتزوج من شاء ، ثم
نسخ ذلك . قال : وكذلك كانت الأنبياء قبله ، صلى الله عليه وسلم . قاله
محمد بن كعب القرظي فنقل القرظي إلى ما لا يهنا هنا من أقوال من يأتى
الآية . أما البهافى (ص ٥٦١) فيقول : " لا يحل لك النساء - بالياء لأن تأنيث
الجمع غير حقيقى ، وفراً البصريان بالثاء - من بعد : من بعد التسع ، وهو نفس
حقه كالأربع فى حقها ، أو من بعد النور ، حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح
أخرى . ولا أن تبدل بهن من أزواج ، فتطلق واحدة وتتك مكانها أخرى ، - ومن
مَنِّد : لتأكيد الاستفراق ، ولو أعجبك حسنهن : حسن الأزواج المستبدلة ، وهو حال
من فاعل تبدل ، دون فعله ، وهو : من أزواج ، لتوظف فى التذكير ، وتقدِّمه
فخرضا أعجابه بهن - واختلف فى أن الآية محكمة ، أو منسوخة بقوله : ترجى من
تشاء منهن وتزوئى اليك من تشاء ، على المعنى الثانى ، فإنه ، وإن تعدىها تسامة ،
فهو مسبوق بها نزولاً ، وقيل : المعنى : لا يحل لك النساء ، من بعد الأجاس
الأربعة ، اللاتى نص على أحلاهن لك ، ولا أن تبدل بهن أزواجاً من أجناس أخر
إلا ما ملكت يمينك ، استحشاء من النساء ، لأنه يتناول الأزواج والاماء ، وقيل : منقطع .
وكان الله على كل شئ ، وفيها ، فتخطوا أمركم ولا تتخطوا ما حد لكم " .
• وأبو حيان (البحر المحيط ٧ : ٢٤٤) يعرض الآراء فى الآية فيقول : " لا تحل لك " .

صهنا هنا الأخذ بمعنى الآية كما يتضح جليا من ظاهرها ، ونو جل الكلام
 قليلا في نفس النسخ أى نسخ ، وطى أى نحو يكون نسخاً ، في القرآن لا بالقرآن
 ذاته ، ولا بالنسخة .

وفي هذا الاتجاه في فهم الآية يقول ابن العربي ، في شرحه للآية في كتابه
 أحكام القرآن : " قوله ، تعالى : لا يحل لك النساء من بعد : اطمأ ، وفقم الله ، أن
 كلمة " بعد " ظرف بنى على الضم ، ها هنا ، لما اقترن به من الحذف ، فصار بهذه
 الدلالة ، كأنه بعض كلمة ، فحذف على حرف واحد لجهتين ذلك ، واختلف العلماء في تعيين
 المحذوف طى ثلاثة أقوال : الأول - لا يحل لك النساء من بعد من عدك ضمنه ، اللواتي
 اخترتك على الدنيا ، فقتصر عليهن من أجل اختيائهن له . قاله ابن عباس .

• النساء من بعد : الظاهر أنها محكمة ومن بعد المحذوف منه مختلف فيه ..
 من بعد اللواتي أحلفنا لك من بعد التسع من بعد اباحة النساء
 على المصوم ، ولا تحل لك النساء غير المملكات وقيل ، في " ولا أن تبدل
 بهن من أزواج : أى بالمملكات .. وقيل : هو من البدل الذي كان في الجاهلية
 قال معناه ابن زيد وانكر هذا القول الطبري وغيره .. وما روى من حديث مينة
 بن حصن .. قال فإن وثقتك .. تزوتك لك عن سيدة نساء العرب جمالا ونسبا " فليس
 بتبدل ، ولا ارادة ذلك ، وإنما احتقر عائشة لأنها كانت صبية .. وقيل : الآية
 منسوخة .. واختلف في النسخ ، فقيل : بالنسخة ، قالت عائشة ، ما مات حتى حل
 له النساء .. روى ذلك عن أم سلمة .. وقيل بالقرآن ، وهو قوله : ترجى من تشاء ..
 وقد روى عن ابن عباس القولان : أنها محكمة ، وأنها منسوخة .. ولو أعجبك حسنها ..
 ذل الزمخشري .. فربما أعجبك .. وتقدم لنا ، في مثل هذا التركيب ، أنه محذوف
 عن حال منسوخة ، أى : ولا أن تبدل بهن أزواج على كل حال ، ولو في هذه
 الحال التي تتضمن التبدل ، وهي حالة الإعجاب بالحسن

ويقول الشوكاني (فتح القدير ٢٨٤ : ٤ - ٢٨٧) بعد أن يأتي بالآية واختلاف
 القراء في " يحل " أو " تحل " : " وقد اختلف العلماء في تفسير هذه الآية طسى
 أقوال : الأول أنها محكمة ، وأنه حرم على رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ،
 أن يتزوج على نسائه ، مكافأة لهن على ما فعلن من اختيار الله ورسول والدار الآخرة
 لما خيرهن رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، بأمر الله له بذلك . وهذا
 قول ابن عباس " وذكر أسامة عدد كبير جدا من الشراح اغفوا على أن الآية
 محكمة وأن اختلفوا في بعض التفاصيل حول المعنى - ثم قال : " وقيل : هذه
 الآية منسوخة بالنسخة ، وقوله سبحانه : ترجى من تشاء " وتووى اليك من تشاء " .

وهذا قالت عائشة وأم سلمة وعلى بن أبي طالب وعلى بن الحسين وغيرهم . وهذا هو
 الراجح . " وجاء بعد ذلك باختلاف العلماء في تحليل الأمة الكافرة " القول الأول أنها
 تحل لمصوم هذه الآية .. الثاني : أنها لا تحل له تنهيا لعدوه . عن جاشرة الكافرة .
 ويترجح القول الأول بجميع هذه الآية . وتحليل الضعيف بالتنزه ضعيف ، فلا تنزه عما أحله
 الله سبحانه ، فإن ما أحله فهو طيب لا خبيث ، باختيار ما يتعلق بأمور النكاح ، لا باختيار

الثاني : من بعد ما أحلنا لك ، وهي الآية المتقدمة . قاله أبي بن كعب .
 الثالث : لا يحل لك نكاح غير المسلمات . قاله سعيد بن جبير . وطرفة . وسجاء .
 أما قول مجاهد وغيره بأن المعنى لا يحل لك نكاح غير المسلمات ، فداخل تحت
 قول أبي بن كعب ، لأن الآية لا تحتل الا قولين : أحدهما قول ابن عباس ، والثاني
 قول أبي بن كعب . فإذا قلنا بقول أبي ، وحكنا أن الرواد بالآية : لا يحل لك النساء
 من بعد ما أحلنا لك من أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وقرايتك المؤمنات المهاجرات
 والواهيبة نفسها ، بقي على التحريم من عداهن . والآية محتلة لقول ابن عباس
 وأبي . ويقوى في النفس قول ابن عباس ، والله أعلم ، كيف وقع الأمر وقد اختلف العلماء
 في ذلك ، فقالت طائفة وأم سلمة : لم يمت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى أحل
 له النساء . وه قال ابن عباس ، والشافعي ، وجاعة . وكان الله لما أحل له النساء
 حتى الموت قصر عليهن كما قصرن عليه . قال ابن عباس ، في روايته ، وأبو حنيفة
 وجاعة وجعلوا حديث طائفة سنة ناسخة . وهو حديث راء وشعلى ضعيف .

غير ذلك ، فالمركون نجس ينس القرآن . يمكن ترجيح القول الثاني ، بقوله
 سبحانه ، ولا تمسكوا بمعصم الكافر ، فإنه نهي عام . وهكذا ترى الرتبة في فرض
 ما لم يكن ، لا وأتما ولا نظريا ، لاظهار أن النجس ، عليه السلام ، كان موسما طهسه
 في هذا الجبال كل السدة ، برقم أنه في الحق والنس والواقع كان مستددا
 في التضييق عليه في هذا الجبال ، ورحمة به وتقديرا لانصرافه الى ما هو حقيق
 بالفرغ له من أمور الدعوة وبيان الرسالة .

وفرب أن يشترك الامامية الايرانية ، وهم غير عرب ، مع الشيعة الزيدية ، وهم عرب
 في هذه الرتبة في التوسع غير الضيق مع النص والفعل . حقا أن الامامية الايرانية
 وكان ، ولا يزال ، هدهم يجوز لأي انسان أن يجمع من النماء بعدد السدة الععدد
 الذي لا يحده الا قدرته ، كانوا أقرب ، في رتبهم الى افتراض ما لم يكن من السمة
 على النبي ، الى ما رويته من النظم الفارسية وخاصة السمة فيها . ولكن الزيدية
 ربما كانوا ، هم أيضا ، متأثرين بما طموا من العدد الأسطوري المتعاقب بمن
 الزوجات للحسن بن علي ، فشنوا ذلك من معالم الكرامة في الدين .

وطى أية حال ، فالألوسي (١٢ : ٦٠ - ٦٣) ينقل آراء كثيرة
 ويميل الى تفسير " من بعد " على أنها تعني " من بعد اختيارهن اللبس " ،
 تعالى ، ورواه . وقال الامام : هو أولى ، وكان ذلك لكثرة أدل على أن التحريم
 كان كرامة لهن ، وشكرا على حسن منعهن . وجوز آخر أن التقدير : من بعد اليهم
 ثم انتقل الى الكلام من هل الآية بحكمة أو ضحوة ؟ ثم انتهى آخر الأمر الى أن
 الظاهر . على القول بأن الآية نزلت كرامة للمختارات ، وتطهيرا لخواطرهسن
 وشكرا لحسن منعهن . - عدم النسخ .

ينفق قليلا عند كلام ابن العربي هذا ، لنسجل أنه لم ينف النسخ أصالة
على النحو الذي نعتقد أنه الصحيح ، كما سيأتى ، ولكنه صنف الحديث القائل
بما يدل عليه . والحق أنه كان يعتقد أن يقول أن النسخ لم يقع لأنه لم يكن في الواقع
زواج بعد التحريم وهو ما عرضه بقوله : " وكأن الله لما أحل له النساء حتى السموات
قصر عليهن كما قصرن عليه " . ولا أدري كيف يصح نسبة نسخ نص الى الله سبحانه
وتعالى ، وهو ، سبحانه ، يعلم أن النسخ سيكون عقيلا لا فائدة فيه ولا تطبيق له
وان الحكم الضمخ حقيقى ، علما ، وواقعا ، هو النافذ }

ونلاحظ ، على أية حال ، أن حديث السيدة عائشة الذي كان له وحده
الأثر الحاسم على الامام الشافعى حينما قال بالنسخ ، يمكن فهمه على نحو آخر .
حقا أن الشافعى قال ^(١) : ان الله أمر رسوله أن يخبر أزواجه فاختزنه " فأنزل الله
تبارك وتعالى ، لا يحل لك النساء من بعد ، ولا أن تبدل بهن من أزواج ، ولو أعجبك
حسنهن ، الا ما ملك يمينك . قال الشافعى : قال بعض أهل العلم : انزلت عليه :
لا يحل لك ، بعد تخييرهم أزواجه . أخبرنا الربيع ، قال : أخبرنا الشافعى ، قال :
أخبرنا صفيان ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن عائشة أنها قالت : ما مات رسول الله ، صلى
الله عليه وسلم ، حتى أحل له النساء . قال الشافعى : كأنها تعنى : اللاتي حُظِرْنَ عليه
فى قول الله تبارك وتعالى : لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج .

وأحسب قول عائشة : أحل له النساء : لقول الله ، تبارك وتعالى : انا أحللتنا
لك أزواجك - الى قوله - خالصة لك من دين المؤمنين " . وحقا أن الشافعى كان
يتلمس ، متى اعتقد صحة الرواية عن عائشة ، أن يحدد النسخ ، ان كان هناك نسخ
الى آية قرآنية لأنه صاحب نظرية " لا نسخ فى القرآن الا بالقرآن ، لأن السنة فى نظريته
وفى الضيق الصحيح من حيث هى بيان للقرآن لا تتسخ القرآن بل تتسخ هى به ، فيمر
أن عائشة لم تقل ان هناك نسخا ، وان صحت الرواية عنها فالأقرب الى إحكام آيات القرآن
وهو الأصل الذى يجب على كل مؤمن أن يحمله خالسا : والمتفق مع الواقع الجسود
فى حياة النبى ، وأنه لا تزوج بعد الآية ولا تبدل من أزواج حتى مات ، وترتيب آية التحريم
الهاشمى بعد آية الاحلال (فى الوضع القانونى الخاصر ، على ما بينا) كل ذلك يجعل
الأقرب ان السيدة عائشة قد فهمت أولا أن قوله تعالى : لا يحل لك النساء من بعد :
أى من بعد اليوم ، ولكن النبى فى تطبيقه بين أن المقصود بها لا يحل لك النساء من بعد
من هذك ، فقالت أنه ما مات حتى أحل له النساء لأنه حقا مات وهى - وغيرها من أزواجه -

حلال له • عليه السلام (١).

ومحمد إلى ابن عباس (٢) لتتابع حده صغيره للآية : " قوله • تعالى : ولا أن تبدل بهن من أزواج - فيه ثلاثة أقوال : الأول لا يحل لك أن تطلق امرأة من أزواجك وتكس غيرها • قاله ابن عباس - الثاني - لا يحل لك أن تبدل المحلطة التي عندك بمشركة • قاله مجاهد • الثالث - لا تعطى زوجك في زوجة أخرى • كما كانت الجاهلية تفعله • قاله ابن زيد •

- أصبح هذه الأقوال قول ابن عباس • له يشهد النص • وطيه يثم • وأما قول مجاهد فبني على ما سبق من قوله • في المسألة • قبلها • وهو ضعيف • لأن اللفظ عام • ولا يجوز تخصيصه بما يحل فائدته • ومقتضيه • ويحل حكمه ويذهب • من غير حاجة إلى ذلك •

وأما قول ابن زيد • فضعيف • لأن النسي عن ذلك لم يختص به رسول الله - بل ذلك حكم ثابت في الشرع • على النسي • صلى الله عليه وسلم • وعلى جميع الأمة • إذ المتأخر في الزوجات لا يجوز • والدليل عليه أنه قال : بهن من أزواج - وهذا الحكم لا يجوز • لا بهن ولا بغيرهن • ولو كان المراد استدال الجاهلية • لقال : أزواجك بأزواج • متى جاء اللفظ خاصا في حكم لا ينتقل إلى غيره إلا لغزيرة •

قوله تعالى : إلا ما ملك يمينك - المعنى : فإنه حلال لك على الإطلاق المعلوم في الشرع من غير تشديد • وقد اختلف العلماء في أحلال الكافرة للنسي • صلى الله عليه وسلم • فمنهم من قال : يحل له نكاح الكافرة وطؤها بملك اليمين • لقوله • تعالى : إلا ما ملك يمينك • وهذا صريح • ومنهم من قال : لا يحل له نكاحها • لأن نكاح الأمة مقيد بشرط خوف العنت وهذا الشرط معدوم في حقه • لأنه محصن • فأما وطؤها بملك اليمين فيتردد فيه • والذي عدى أنه لا يحل له نكاح الكافرة • ولا وطؤها بملك اليمين • تنزيها لقدره عن مباحرة الكافرة • وقد قال الله • تعالى : ولا تمسكوا بمعصم الكافرة - فكيف به • صلى الله عليه وسلم { وقال اللاتي هاجرن معك - فسرط • في الاحلال له • الهجرة بعد الإيمان • فكيف يقال إن الكافرة تحل له ؟

وكان الله على كل شيء رقيبا - يعلم الأشياء علما مستورا • ويحكم فيها حكما مستقرا ويربط بعضها ببعض ربطا ينتظم به الوجود • وضح به التكليف •

(١) ولعلها تقصد بالنساء • من حرم النسي على نفسه من نكاحه على النحو الذي تسدل عليه الآية الأولى من سورة التحريم " يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟ وهذا موضع مختلف تماما •

(٢) أحكام القرآن ٣ : ١٥٥٨ - ١٥٦٠ •

وأخيرا ، بعد ابن العربي ، حسبنا نموذج ثالث لدى ابن كثير ، وفي الحاشية كثير لمن أراد المزيد . يقول ابن كثير ^(١) : " لا يحل لك النساء من بعد ، ولا أن تهمل بهن من أزواج ، ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملك يمينك ، وكان الله على كل شيء قديما : ذكر غير واحد من العلماء ، كابن عباس وساجد والهاك وقتادة وابن زيد وابن جرير وغيرهم أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ورضا عهن على حسن صنيهن ، في اختيارهن الله رسول له والدار الآخرة لما خبرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما تقدم في الآية . فلما اخترن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كان جزاؤهم أن قصر طيهن ، وحرم طيه أن يتزوج بهنهن ، أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن ، ولو أعجبهم حسنهن ، إلا الأما والسراى ، فلا حجر طيه فيهن ، ثم انه ، تعالى ، رفع عنه الحجر في ذلك ، وسنح حكم هذه الآية ، وأباح له أن يتزوج ولكن لم يقع منه بعد ذلك ، لتكون البينة للرسول ، صلى الله عليه وسلم ، طيهن . قال الإمام أحمد ^(٢) : حدثنا صفوان عن عمرو ، عن عطاء ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : ما مات رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى أحل له النساء " بعد أن أضاف ما روى عن أم سلمة ، وإشارتها إلى أن النسخ بآية : تخرج من ثيابهن وتؤوى إليك من ثيابهن . قال : " فجعلت هذه ناسخة للتي بعدها في التلاوة كآيتي البقرة ، الأولى ناسخة للتي بعدها " وسرى أن آيتي البقرة لا نسخ فيها لأنها في موضعين مختلفين تماما وإن كانا ، في ارتباطهما بموضع أثر وفاة الزوج على الزوجة يتكاملان : أولاهما تعرض وأجبا على الزوجة ، والأخرى تقررها حقا . وابن كثير ، بعد ما تقدم مبصرة ، يروى الآراء الأخرى في تفسير الآية ، حتى ينتهي إلى رأى الطبري ، وقد رأينا في الحاشية - يرفض القول بالنسخ ، فيقول : " واختار ابن جرير ، رحمه الله ، أن الآية عامة فبمن ذكر من أصناف النساء ، وفي النساء اللواتي كن في عصمة وكن تمسا ، وهذا السدى قاله جيد ، ولمع مراد كثير من حكينا عن السلف ، فإن كثيرا منهم روى عنه هذا وهذا . ولا ضائفة ، والله أعلم " واذن فابن كثير غير متمسك بالقول بالنسخ ، لأنه يرى القبول بغيره جيد .

وإذا اكتفينا بما تقدم من نماذج ودأنا شرح الآية الكريمة ، آخذين في التفسير بمنهج الجمع بين كل ما في القرآن الكريم من آيات متصلة بالموضوع ، وأعطى هنا ، كل الآيات المتصلة بنساء النبي ، طيه الصلاة والسلام ، محفظين دائما بما يتفق مع المنهج التاريخي ،

(١) المجلد السادس ٤٣٨ - ٤٤٠ .

(٢) السند نفسه الذي سبقه الشافعي ، وكذلك لفظ الحديث التي قالت عائشة ، غير أن ابن كثير يقول أن أحمد رواه أيضا من حديث ابن جرير ، عن عطاء ، عن عبيد ابن عمير ، عن عائشة ، ورواه الترمذي والنسائي .

وبخاصة التمسك الرضى لآيات القرآن وفق موضعها من السورة ، لأنه أصل ، حتى يثبت غيره فيكون علينا الأخذ بما يثبت خلافا لهذا الأصل المنطقي الواضح ، وآخر من الكلام في مشكلة دعوى النسخ ^(١) التي خالف أصحابها ، في موضوعها هذا على الأقل ، منطوق أن الآية التالية مباشرة لا تنسخها آية تسبقها مباشرة ، ودون سند من واقع ، بل بافتراض غير ما وقع أنه كان جائزا أن يقع ()

تقول الآية الكريمة أولا : لا يحل لك النساء من بعد ، اللفظ واضح في نفي الحل ولا شك في هذا عند أحد ولا يجوز خلاف فيه ، أما الذي يجوز عند الخلاف هو تحديد معنى " من بعد " أي قصد ، كما قيل من بعض المفسرين ، من بعد اليوم ؟ لو قيل أن النساء حرام على النسي من بعد اليوم لكان معناه أنه لا يحل له بعد ذلك اليوم ما كان قد حل له من نكاحه قبل نزول هذه الآية ، أعلا لأكثر المفسرين ^(٢) الذي يترتب على النسي من غير نزول الوحي به ، مثل ما رأينا في نحرهم أزواج الآباء وحلاتهن بقوله تعالى : " ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء " ما قد سلف ^(٣) ، وقوله سبحانه : " وأن تجمعوا بين الأخنتين " ما قد سلف ^(٤) وغير ذلك من الآيات

(١) نستطيع أن نؤكد منذ الآن أنني قضيت منذ سنة ١٩٥٩ في إيطاليا ثم من بعد ذلك ١٩٦١ - ١٩٦٢ في فرنسا ، وعدت إلى مصر ، ولم أترك لحظة واحدة آية فرصة لتحرى ما قيل من آية ، آية آية ، أنها منسوخة ، فوجدتها كذلك ، وظهر نموذج لذلك ما تكرر فيما تقدم عن آية البقرة ، وقضيتها كالآتي : كانت المرأة عند العرب تحد على زوجها حولا كاملا ، تخفف عنها القرآن إلى " أربعة أشهر وعشرا " وفرض عليها عدم الزواج فيها (البقرة ٢ : ٢٣٤) ، ولكن هذا التخفيف قد يكون فيفسه نفس لحق المرأة السابق في البقاء في منزل الزوج حتى نهاية الحول ، قد فمما لتوهم هذا ، والبراد صالح المرأة ، جاءت الآية ٢٤٠ بعد ذلك ، تنص للمرأة حقها في التنسج ان شاءت ، بالبقاء حتى نهاية الحول ، فكيف يكون تناسخ بين الآيتين ؟ وكيف يفترض أن الآية السابقة ٢٣٤ نسخت آية ٢٤٠ ؟ وكيف يقاس على هذا ؟

(٢) انظر في هذا بحثا كتبته في رسالتنا للدكتورة بالفرنسية ، ثم ترجمنا إلى العربية ، وشرفني مجلة " العلوم القانونية والاقتصادية " التي يديرها أستاذة كلية الحقوق بجامعة عين شمس دد يناير ١٩٧٤ (ص ٥٣ - ٦٢) بعنوان " الأثر القوي للقانون ومشكلة ترجمة القرآن "

(٣) النساء ٤ : ٢٢

(٤) النساء ٤ : ٢٣

التي تأتي في خلال استمرار وضع قانوني معين بتحريمه ، فينتهي ما مر منه قبل نزول الآية خللا ، ويقع ما يستمر منه بعد الآية حراما ، واجب النزع فوراً ، ولو أريد بالآية ذلك لصح أن يسمى نسخاً ، ولكن الآية لم يقصد بها " بعد اليوم " بدليل من نصها ، ودليل من الواقع الثابت من فهم النص عليه السلام أيها ، والنبي معصوم بالوحي يتلقى به اللفظ والمعنى جميعاً ، ومنعروف دليل النمر عند الكلام عن قوله : " ولا أن تبدل بهن من أزواج " لأن نفعه ، عليه السلام ، من أن يبدل بهن بدليل بقائهن في نكاحه ، يعني أن يكون المقصود من بعد من ذكرت الآية الخمسون ، السابق الكلام فيها ، أو من بعد من عدك ضمنه ، ووجه أن مومى القولين ، في واقع ما حدث من الرسول ، واحد إلا أن التفسير به بعد من عدك هو الأصح لأسباب كثيرة :

١ - لولتنا : لا يحل لك النساء من بعد من أحللتنا ، لكن هذا كلاماً لا يفسر معنى جديداً ، لأن الأصل في الإبضاع الحرمة ، والاحلال إنما هو استثناء من هذا الأصل ، فإذا أحل الله للنبي ، من النساء ما حددت الآية الخمسون ، في الرضخ القانوني الخاص الذي حددت الآية الحادية والخمسون ، فمن الجلي أن ما وراء ذلك لا يحل .

٢ - أن المقصود بالتحديد الخاص بالنبي ، كما ذكرنا ، رفع الحرج عنه ، طهيمه السلام ، وجعل عنه محصوراً في من تزوج ودفع مهرها ، ومن يجب عليه أن يعمل ، وقت الحاجة ، من بنات العم والعمت والخال والخالات المومنات المهاجرات معه ، وأن كثرة الداخلين في الاسلام ، بعد ذلك ، وشهوضهم المشهور والمذكور بحمل ما يجوز لهم حله من أفعال النبي ، عليه السلام ، جعل من الميسور ، أن كان قد بقي من هؤلاء من تحتاج إلى عائل ، أن يقوم بذلك من الصحابة والأقارب الداخلين في دين الله أفواجا ، من يقوم عن النبي بكثير من أفعال الدنيا ، ليتفرغ ، طهيمه السلام ، بما تنوبه الجبال من أفعال الرسالة .

٣ - أن تحريم النساء من بعد من عدن ضمنه مقدمة منطقية لما سيأتي في الآية التالية بإشارة ، الثالثة والخمسين من تحريم أزواجه على غيره " من بعده أبداً " .

٤ - الآية تقول : " إلا ما ملك يمينك " ومنعروف أهمية هذا الاستثناء فيها بعد ، ولو كان المقصود : من بعد الذكور في آية الاحلال ، لكان هذا أيضاً تزيدياً لأن آية الاحلال أحلت له ما ملك يمينه ما أفاها الله عليه ، ولا يجوز - ولم يحدث في الواقع - أن يكون المقصود بآية التحريم نسخ هذا القيد ، مما أفاها الله عليه ، وإباحة ملك اليمين من أية سهيل كان .

• - وهو وحده حاسم • أن النبي لم يتزوج بعد نزول الآية أية واحدة من الطوائف المشارى آية التحليل ولا من غيرها • وهذا حتى باعتراف الذين ادعوا نسخ الآية الأخيرة المحرمة بالآية السابقة لها • فانهم ظنوا أن النسخ إنما كان لمجرد التوسعة النظرية • لا الواقعية • على النبي • عليه السلام • والحق أن التوسعة المقصودة فعلا إنما كانت في اغاء النبي من حرج التحمل بما فوق الطائفة من أعباء النساء • وفي تخفيف طاقاته • عليه السلام • للعمل على ارساء قواعد المجتمع الصالح وبين القرآن لجهل ولأجيال المستتة به الى يوم القيامة •

ثانيا - " ولا أن تبدل بهن من أزواج • ولو أعجبك حسنهن " • نفى الحيل في أن تبدل النبي • عليه الصلاة والسلام • بأزواجه أحد من الأزواج غيرهن • إنما جاء بعد آيات نزلت تهدد من حاول أن يتظاهرها طيه من نساءه • قائلة : " ان تنها الى الله فقد صتقت تلوكها • وان تظاهرها طيه فان الله هو مولا • وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير • عسى به ان تلقن أن تبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات فانتات • نائبات • عابدات • ساجحات • شهيات وأبكارا " (١) وما حدث

(١) سورة التحريم ٦٦ : ٤ - وانظر فيها : الفراء (معاني القرآن ٣ : ١٦٦) : ان تنها الى الله : بمعنى عائشة وخضعة • وذلك أن عائشة قالت : يا رسول الله • أما يوم غيري فتته • وأما يومى فتعمل فيه ما فعلت • فنزل : ان تنها الى الله من تماينكا على النبي • صلى الله عليه وسلم • فقد صتقت تلوكها • زافت وبالك • وان تظاهرها طيه : تماينا عليه • فان الله هو مولا • ولية طيكها • وجبريل وصالح المؤمنين • مثل أبى بكر وصير • الذين ليس فيهم نفاق • ثم قال : والملائكة بعد ذلك ظهير • بعد أولئك • يريد : أموان • وأما قوله : وصالح المؤمنين فانه موحد فيذهب الجع • وقوله : ساجحات • هن الصائحات • ورى أن الصائم إنما سعى سائحا لأن السائح لا زاد معه • وإنما يأكل حيث يجد • فكانه أخذ من ذلك والله أعلم • " يقول الزمخشري (٤ : ١٢٢ - ١٢٨) : ان تنها - خطاب لعنعة وعائشة • على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في معاتبتها • • فقد صتقت تلوكها : فقد وجد منكما ما يوجب التوبة • وهو ميل تلوكها عن الواجب في مخالفة رسول الله • صلى الله عليه وسلم • من حب ما يحبه • وكراهة ما يكرهه • وقرأ ابن مسعود : فقد زافت - وان تظاهرها : وان تماينا • عليه • بما يسوء من الاقوال في الفسورة • وأفشاء سره • فلن يعدم هو من يظاهره • وكيف يعدم المظاهر من الله مولا • أى وليته وناصره • وزيادة • هو أيذان بأن نصرته عزيزة من عزائمه • وأنه يتولى ذلك بذاته • وجبريل • رأس الكروبيين • وقين ذكره يذكره خراد له من بين الملائكة تعظيما له وأظهارا لمكانته عده • وصالح المؤمنين : ومن صلح من المؤمنين • كل من آمن وصلح • وعن مسعود بن جبير : من يرى منهم من النفاق • وقيل : الأنبياء • وقيل : الصحابة • وقيل : الخلفاء • منهم • فان قلت : صالح المؤمنين واحد أم جمع ؟ قلت : هو واحد أريد به الجمع • فكذلك : لا يعمل هذا الصالح من الناس • تريد الجنس •

بعد ذلك من تخيير النبي نساء بين الحياة الدنيا وزينتها ، والله ورسوله والدار الآخرة
 بعد اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة . وقد تحول ما بعد الهجرة هداية معالم
 نصر الله دينه ، وشكته لدولته ، وأعلاه لكلته ، واستغنا كثير من المهاجرين بالمعسل
 الذي حث الاسلام عليه ، وهغنائم الجهاد ، والتكافل النشط بين المؤمنين . كل ذلك

كقولك : لا يفعله من صلح بينهم . . والملائكة . على تكاثر عددهم وامتلاء السماوات
 من جوعهم . بعد ذلك ، بعد نصرته الله وأموسه وصالحى المؤمنين : ظهير ، فوج
 مظهر له ، كأنهم يد واحدة على من يعاديه ، فما يبلغ تظاهرا برأتين على من هو لا
 ظهورا . . فان قلت : قوله : بعد ذلك ، تعظيم للملائكة ومظاهرتهم . وقد تقدمت
 نصرته الله وجبريل وصالح المؤمنين ، ونصرة الله ، تعالى ، أعظم وأعظم ، قلست :
 مظاهره للملائكة من جلة نصرته الله ، فكانه فضل نصرته ، تعالى ، بهم ومظاهرتهم
 على غيرها من وجوه نصرته ، تعالى ، لفضله على جميع خلقه . وقرئ : تظاهرا
 وتظاهرا ، وتظهرا . وقرئ : يبدله ، بالتخفيف ، والتشديد للكرة ، مسلمات مؤنات ؛
 مفرقات مخلصات ، ساحات ، صافات . وقرئ : سبحات ، وهى أبلغ . وقيل :
 للصابغ ، سائح ، لأن السائح لا زاد معه ، فلا يزال مسكا الى أن يجد ما يطمعه
 فشيء به الصابغ فى امساكه ، الى أن يجرى وقت انقاره . وقيل : ساحات : مهاجرات
 وعن زيد بن أسلم : لم تكن فى هذه الأمة سياحة الا الهجرة . فان قلت : كيف تكون
 الجولات خيرا ضمن . ولم يكن على وجه الأرض نساء خير من أمهات المؤمنين ؟
 قلت : ان طلقهن رسول الله لمصيانتهن له واذا شئن اياه . لم يقين على تلك المقة
 وكان غيرهن من الموصفات بهذه الأوصاف ، مع الطاعة لرسول الله ، صلى الله عليه
 وسلم ، والنزول على هواء وضاء خيرا ضمن . وقد قرئ بذلك ، فى قوله : فانشأت
 لأن الفتوة هو القيام بطاعة الله ، واطاعة الله فى طاعة رسوله . فان قلت : لم أخليت
 الصفات كلها من العاطف ، ووسط بين الشيات والابكار ؟ قلت : لأنها صفاتان
 متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن فى سائر الصفات ، فلم يكن يد من الواو . .

ويقول فخر الدين الرازى (٨ : ١٦٥ - ١٦٦) : قوله : ان تنها الى الله ، خطساب
 لعائشة وخضعة ، على طريقة الالفاظ ، ليكون أبلغ فى معانيتهما ، والتهمة مسن
 الضمان على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . بالايذا . . فقد صفت تلو كساءه
 أى عدلت ومالت عن الحق ، وهو حق الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، وذلك حق عظيم ،
 يوجد فيه استحقاق العقاب بأدنى تقصير . وجواب الشرط محذوف للمعلم به ، على تقدير
 كان خيرا لكما . . وقوله ، تعالى : وان تظاهرا عليه ، أى وان تمارنا على النبي ، صلى
 الله عليه وسلم ، بالايذا . . فان الله هو مولا ، أى لم يضره ذلك التظاهر منكما .
 ومولا ، أى وليه ناصر . وجبريل رأس الكرويين ، نون ذكره بذكره فردا له . .
 الملائكة تعظيما له ، وأظهارا لمكانته . وصالح المؤمنين ، قال ابن عباس : يريد
 أبا بكر وصرا ، موالين للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، على من عاداه ، وناصرين له .
 وهو قول مقاتلين . وقال الضحاك : خيار المؤمنين . وقيل : من صلح من المؤمنين
 أى كل من آمن وعمل صالحا . وقيل : من برى منهم من النفاق . وقيل : الأنبياء كلهم .
 وقيل : الخلفاء . وقيل : الصحابة . وصالح ، ها هنا ، ينبوع الجمع . ويجوز
 أن يراد به الواحد والجمع . وقوله ، تعالى : والملائكة بعد ذلك ، أى بعد حضرة .

ساعد على ان يثق عب النبي عليه السلام • عند ما سبق ان حمل • فلا تجد يسد
بالزواج ولا تبدل بأخرى •

وفي عدة ملاحظات على ما سبق نقله • في هذا الجزء • من تفسير الفريسيين :

١ - " لو " في " ولو أعجبك حسنهن " • التي تعيد لغة : " فوثر ما لم ينفع "
 ويقصد بها • هنا • تشديد منع التبدل بالأزواج • أخذها بحرف الفريسيين على أنها
 تعنى " ما قد وقع " كما لو كانت " إذ " •

٢ - " حسنهن " : الحسن أما مادي وأما معنوي فهو اما يؤخذ بمعيار
 ديني أو بمعيار دنيوي • وإذا نسب الى نبي • أي نبي • فلا يتصور ان يكون بمعياره
 غير الدين • ومع ذلك فهم أكثرهم الحسن هنا • بأنه الجمال المادي (ولم يحاول أيهم
 أن يقارب بين آية الأحزاب هذه وآية سورة التحريم المذكورة أعفا • مع أن آية الأحزاب
 تمنع التبدل الذي كان جائز الوقوع في آية التحريم لو أن النبي طلق أزواجه ومعيار الحسن
 فيها ديني فحسب • ذلك أنها تقول : " صلوات • ومومات • فانتات • طعدات • سائحات
 حتى أن أحد كبار الفريسيين وهو فخر الدين الرازي • الذي قال في تفسير سورة
 الأحزاب كلاما لا يجوز في حق النبي • قال في تفسير هذه الآية من سورة التحريم : ان فيها
 " إشارة الى أن تزوج النبي • صلى الله عليه وسلم • ليس على حسب الشهوة والرغبة •
 بل على حسب ابتغاء • مرضاة الله تعالى • وهذا هو الذي غرض طينا أن نقوله ألفاظ الآيات
 ومعانيها • فلا يتنبهى لنا أن نقول بغير سند ولا علم • ما يتناقض مع هذه الألفاظ والمعاني •

" الله وجبريل وصالح المؤمنين • ظهور • أي فوج مظاهر للنبي • صلى الله عليه وسلم •
 وأعان له • وظهير : في معنى الظهور • كقوله : وحسن أولئك رفيقا • قال القرطبي
 والملائكة • بعد نصرة هؤلاء • وظهير • قال أبو علي : وقد جاء " فعمل " - خردا -
 يزد به الكثرة • كقوله • تعالى : ولا يحال جميع حبيبا • يصرونهم • ثم خوف
 نساء • بقوله • تعالى : عسى • به ان تطلقن أن يبدله أزواجا خيرا منكن • قال الفريسيون
 عسى من الله واجب • وثرا أهل الكوفة : أن يبدله • بالتخفيف • ثم أنه • تعالى •
 كان عالما أنه لا يطلقن • ولكن أخبر عن قدرته أنه ان تطلقن أبدله خيرا منهن • تخوفا
 لهن • ثم وصف الأزواج اللاتي كان يبدله • فقال : صلوات أي خاضعات لله
 بالطاعة • ومومات : مديات بتوحيد الله • تعالى • بصلوات • فانتات : طائعات
 وقيل : فانتات بالليل للصلاة • وهذا أشبه • لأنه ذكر السائحات • بعد هذا •
 والسائحات : - السائحات • فلزم أن يكون قيام الليل مع صيام النهار • وقرئ : سجات
 ومن أبلغ • وقيل للسائم : سائح لأن السائح لا زاد معه • فلا يزال مسكا الى أن
 يجد من يطعمه • فشبه بالسائم الذي يسلك الى أن يجد • وقت انقاره • وقيل : سائحات
 مهاجرات • ثم قال • تعالى • ثبات وأبكارا • لأن أزواج النبي • صلى الله عليه وسلم
 في الدنيا والآخرة بعضها من النبي بعضها من الأبكار • فالذكر على حسب ما وقع • وفيه
 إشارة الى أن تزوج النبي • صلى الله عليه وسلم • ليس على حسب الشهوة والرغبة • بل
 على حسب ابتغاء • مرضاة الله • تعالى •

٣ - تكرر كلمة " تبدل بهن من أزواج " بيده أزواجا " فتقطع في نفى أن يكون المقصود ما توهم ابن زيد ، وردده بعد بعض القسرين : مبادلة رجل آخر زوجته بزوجه . وهو وهم لا سند له لا من مآلوف أهل الجاهلية ، ولا من تعاليم الأديان ، فضلا عن شافاته كل الشافاة لما يقضى به الاسلام ، ورواية ما حدثت من " عينة بن حصن " الأحق المطاع " ان كانت صحيحة - وقد بين ابن كثير ما في سندها من ضعف لا تدل الا على أنه رأى أن له زوجة بلغت من الجمال " المادى " ما لا تقارن به السيدة عائشة ، فعمد أن ينزل للنبي ، عليه السلام ، عنها ، فقال له " يا عينة ان الله قد حرم هذا " .

٤ - اختلف الفراح في معنى الحظر في " ولا أن تبدل بهن من أزواج " ، فقال أكثرهم ان هذا يعنى حظر الطلاق على النبي ، عليه السلام ، وقال بعضهم ، مثل ابن كثير : " ان الآية انما دلت على أنه لا يتزوج بمن عدا اللواتي في عصمته ، وأنه لا يستبدل بهن غيرهن ، ولا يدل ذلك على أنه لا يطلق واحدة منهن من غير استدال " ، والحق أن كلام ابن كثير هذا صحيح فان الآية لا تدل على منع الطلاق ، ولكن قول الآخرين ، هو كذلك ، صحيح ، ذلك أن اختيار أزواج النبي لله ورسوله والدار الآخرة ، وما ترتب على هذا الاختيار ، وعلى كونهن أمهات للمؤمنين ، من تحريم الزواج عليهن بعد النبي ، باطلاق ، أبداً - كما سنرى في الآية التالية - كل ذلك جعل إبعادهن عن النبي الذي اخترنه غير متصور الا لو أن واحدة منهن قد رجعت عن اختيارها ، أو فعلت ما يتنافى معه ، واذن تكون قد ارتدت عن الاسلام ، فيحصل بقوة القانون ، زواجها ، بغير طلاق ، لأن الطلاق لا يلحق الزواج بعد انحلاله بقوة القانون .

٥ - قوله تعالى ، في سورة التحريم ، لنساء النبي : " ان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير " ، يصور ، على نحو من الرضوخ بالغ نهاية المدي ، جسامه العبد ، الذي كان يحمله ، عليه الصلاة والسلام ، حتى أنه ليستعين على حمل عصير المشقة فيه بالله وجبريل ، وصالح المؤمنين وملائكة الملائكة مجتمعين . وكان ينبغي أن يكون للفسرين في هذه الآية الكريمة ما يقفهم عن اعتقاد ، سيطر على تفسيرهم ، بدون سرور واقص ، في أن الزيادة في هذا العبد ، الجسام دليل توسعة ومروءة بهما النبي ، عليه الصلاة والسلام .

ثالثا - قوله تعالى " الا ما ملك يمينك " بعد : " لا يحل لك النساء من بعد " استثناء من التحريم يقتضيه ما سبق أن ذكرنا من أن النبي ، عليه السلام ، وهو رئيس المجتمع

الاسلامى أوفى لفتا الحديث من حيث هو " رئيس للدولة الاسلامية " يلتزم ما كانت غرضه تكام الأخلاق والأعراف الدولية ، من أن يأوى الى كنفه من تأسر من نساء ، رئيس جماعة المدرس . يروى البخارى (١) ومسلم (٢) أن " دحية " أحسد المحاربين مع النبي جاءه ، وقد جمع حبي غيره ، فقال : يا نبي الله ، أعطني جارية من الحبس . قال : اذهب وخذ جارية . فأخذ صفية بنت حبي ، فجاء رجل الى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي الله ، أعطيت دحية صفية بنت حبي سيدة كريمة والتخير (لا تلحق الا لك " فأعطاء النبي غيرها ، وقد عرفنا أن النبي ، أعطها ، إذ أحلت ، وتزوجها .

وإذا نفي الاعتناء من التحريم لملك اليمين ، يستثنى للأعراف الدولية قمر إصاها عند الحاجة ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى يترك الباب مفتوحاً لتحويل من تحريم من ملك يمين النبي ، عليه السلام ، الى زوجة ، والآية ، في عبارتها وطريقه صياغتها ترجع أن المقصد بها هو ، بالأحرى ، هذا الحل الثاني ، لأنها تقول : ولا يحل لك النساء من بعد ، ولا أن تبدل بهن من أزواج ، إلا ما ملكت يمينك " والحق أن الحل بالزواج والحل بملك اليمين لا يختلفان الا في الوضع القانوني للمرأة والحقوق المترتبة عليه في كل من النظامين ، بوجه عام - أي في النظام العام للزواج أو التمسك بملك اليمين . وقد عرفنا أن النظام الخاص بالنبي قد ضيق الفروق من ناحية الحقوق ، وأن أبغى الخلاف في الجانب الديني أنه لا يتزوج النبي - على خلاف في ذلك مع سائر المؤمنين - الا مؤمنة لأن من يتزوج نصير أما للمؤمنين ويرجعاً لهم ، ولا يتصور هذا الا في مؤمنة صادقة الايمان خالصة لله ورسوله والدار الآخرة . ولكن النبي ، كسائر المؤمنين ، يحل له التمسك بأهل الكتاب ولا يجوز أن تكره على الاسلام من ملك يمينه . فإذا جاءت الآية وحرمت المزيد من الأزواج ، وحرمت الزواج بدل من تخرج بالموت أو غيره من عداد أزواجه ، فانها لا تغلق الباب على من كانت في سوابقه ، ان أحلت ، أن تعتق - وقد كررنا مرات كتبهرة أن الزواج لا يجوز لأحد بمن ملك يمينه الا بعد عتقها - وأن تتحول الى الوضع الأكرم وهو وضع الزوجية .

(١) البخارى ، طبع الشعب ، الجزء الأول ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، طبع الشعب ، المجلد الثالث ، ص ٥٨٨ - ٥٩١ .
في شرح النووي إعطاءها لدحية كان فيه " انتهابها مع مرتبتها ، وكونها بنسب سبهم " .

وتنف الآن لادحاضر شبهة جاءت فى أقوال بعض الفصوين ، الذين قالوا ان آية التحريم قد نسخت بحجة أن النبي ، عليه السلام - فى زعمهم غير الموثق بأى دليل - قد تزوج " جهورية " بعد نزول آية التحريم هذه ، ولو أن ذلك قد ثبت يقينا لكان تطبيقا للآية لا نسخا لها ، لأن جهورية كانت ملك يمينه مما أفاء الله عليه ، والآية تحلها له قبل العتق ، سرية ، وحد العتق ، زوجة ، على السواء . وسنعود الى مشكلة دعوى النسخ بتفصيل ، بعد ايراد ما فى الآية الثالثة والخمسين من سورة الأحزاب ، من أحكام يتم بها الوضع القانونى الخاص لأزواج النبي ، عليه السلام ، وهى تقول : " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه . ولكن اذا دعيت فادخلوا فسادا طعمتم فانتفروا ، ولا يمتنعن لحديث ، ان ذلكم كان يؤذى النبي فيمتحن منكم ، والله لا يمتحن من الحق . واذا سألتوهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم اطهر لقلوبكم وللهن . وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تتكفروا أزواجه من بعده أبدا . ان ذلكم كان عند الله عظيما (١) .

(١) يقول القراء ٢ : ٣٤٦ - ٣٤٩ بعد اطالاه هامة فى الاعراب سنرى أثرها على غيره - : " المعنى فى تفسير الآية أن المسلمين كانوا يدخلون على النبي عليه السلام ، فى وقت الغداء ، فاذا طعموا أطالوا الجلوس ، وسألوا أزواجه الحوائج ، فاشتد ذلك على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، حتى أنزل الله هذه الآية - فتكلم فى ذلك بعض الناس ، وقال : أنهى أن ندخل على بناتهن الا باذن ، أو من وراء حجاب ؟ لئن مات محمد لأتزوجن بعضهن . فقام الآباء أبوبكر وذروه ، فقالوا : يا رسول الله ، نحن أيضا لا ندخل عليهم الا باذن ؟ وسألهن الا من وراء حجاب ؟ فأنزل الله : لا جناح عليهن فى آبائهن - الى آخر الآية ٥٥ - وأنزل ، فى التزويج : وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تتكفروا أزواجه من بعده أبدا " .

ويقول الطبرى ٢٢ : ٢٥ - ٣٠ " يقول ، تعالى ذكره ، لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله ، لا تدخلوا بيوت نبيى الله الا أن تدعوا الى طعام تطعمونه غير ناظرين اناه ، يعنى : غير منتظرين ادراكه ولووفه ، وهو مصدر من قولهم : قد أتى هذا الشيء ، بأنى أتى ، وأنياء ، وأنا - قال الحطيف : وأنيب العشاء الى سهيل . أو الشعرى ، فطال بي الاناء - عن مجاهد : متحينين نضجه - عن ابن عباس : غير ناظرين الطعام أن يصنع ...

وقوله : ولكن اذا دعيت فادخلوا . يقول : ولكن اذا دعاكم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فادخلوا البيت الذي أذن لكم بدخوله ، فاذا طعمتم فانتفروا .

من غير الأقارب الذين سبق لهم الآية الخامسة والخسون وصعهم التفسيق
مع النظام القانوني العام لسائر المسلمين - والآية الخاصة هذه ، تكشف عن الخشونة

= قبل الحجاب ، قال : لئن مات محمد لأتزوج امرأة من نسائه سواها ، فأنزل
الله ، تبارك وتعالى ، ذلك : وما كان لكم أن تؤمنوا برسول الله ولا أن تتكهنوا
أزواجه من بعده أبدا - وأنظر الطوسي ٣٢٣: ٨ - ٣٢٥ ، الطبرسي
٨: ١١٥ - ١١٦ : " ولا يستأنسين لحدث ، أي : ولا تدخلوا فمحمدا ،
بعد الأكل متحدئين ، يحدث بعضكم بعضا ليومعه . ثم بين المعنى في ذلك
فقال : ان ذلكم كان يؤذي النبي فيمتحنى حكم - أي : طول مقابلكم في
منزل النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، يؤذي به ، لضيق منزله ، فيهمه الحياة
أن يأمركم بالخروج من المنزل ، والله لا يستعين من الحق ، أي لا يترك ابانة الحق
فيأمركم بتمطيم رسولهم ، وترك دخول بيته من غير إذن ، والامتناع عما يؤذي النبي
أداء وكراهيته . قالت عائشة : بحسب الثقلاء أن الله ، سبحانه ، لم يحتلمهم ،
فقال : فإذا طعمتم فانتشروا . وقال بعض العلماء : هذا أدب أدب الله به
الثقلاء "

وهبط ابن العربي (٣ : ١٥٦١ - ١٥٦٨) في شرح الآية ، ويأتى في سبب
نزولها بمئة أقوال يرجع منها اثنين : الأول ، ما يروى أنس بن مالك عن غسل
بمنزل الرسول عندما تزوج وأنه قد جلس من المدعوين " طوائف يتحدثون ، وزوجته
مولية وجهها الي الحائط ، فنقلوا على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
والثاني ما روى أنس " ان عمر قال : قلت : يا رسول الله : ان نساءكم
يدخل عليهن البر والفاجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن ، فنزلت آية الحجاب " .
ثم يقول في معنى : غير ناظرين زنا " لا تدخلوا بيوت النبي ، إلا أن يؤذن
لكم في الدخول ، أو يطعمكم طعاما حاضرا ، لا تنتظرون نضجه ، ولا ترتقبون
حضوره ، فطول لذلك مقامكم ، وتحصلون فيها كره نكم - ولكن إذا دعيت فادخلوا
المعنى : ادخلوا على وجه الأدب ، وحفظ الحضرة الكريمة من الباطحة المكرهه
وتقدير الكلام : إذا دعيت ، فأذن لكم ، فادخلوا - ولا أنفس الدعوة لا تكون
أذنا كأنها للدخول . فإذا طعمتم : هذا يدل على أن الضيف يأكل على ملك
الضيف ، لا على ملك نفسه ، لأنه قال : فإذا طعمتم ، فلم يجعل له أكثر
من الأكل . . . قوله : فانتشروا ، المراد : تفرقوا ، من النشر وهو الشسي
الفتوق . والمراد : الزام الخروج من المنزل عند انقضاء المقود من الأكل
ثم ينتقل الي تعريف " البتاع " فيأتى بأربعة أقوال : " طارية ، حاجة ، فتوى ،
صف القرآن " والزمخشري (٣ : ٢٢٤ - ٢٢٢) : " أن يؤذن لكم : في معنى
الظرف ، تقديره : وقت أن يؤذن لكم ، غير ناظرين : حال ، من : لا تدخلوا ،
وقع الاستثناء على الوقت والحال معا ، كأنه قيل : لا تدخلوا بيوت النبي ، صلى
الله عليه وسلم ، إلا وقت الإذن ، ولا تدخلوها الا غير ناظرين . وهو لا ، قوم كانوا -
يحتجبون طعام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيدخلون ويتعدون منتظرين =

والاقتصار في الحياة التي كانت متاحة للنبي ﷺ عليه السلام ﷺ ولأزواجه ﷺ حتى أنه
 لم يكن للزوجة غير حجرة تضيق بأهلها عندما يسع الكرم ضيقاً [والآية ﷺ والحال هذه ﷺ

• لا ذراكه : ومعناه : لا تدخلوا يا هؤلاء المتحيزين للطعام إلا أن يؤذن لكم
 إلى طعام غير ناظرين إناؤه ﷺ ولا فلولكم يكن لهؤلاء خصوصاً ﷺ لما جاز
 لأحد أن يدخل بيوت النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم ﷺ إلا أن يؤذن له ﷺ وإذا
 خاصاً ﷺ وهو الاذن إلى الطعام فحسب ﷺ وإنني الطعام : ادراكه ﷺ يقال :
 أنى الطعام إننى : كقولك : قلاء يلقى ﷺ ومنه قوله : بين حميم أن : بالغ
 إناؤه ﷺ وقيل : إناؤه : وقته ﷺ أى غير ناظرين وقت الطعام ساعة أكله ﷺ وروى
 أن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ﷺ أولم على زينب بتمسويق وشاة
 وأمر أنسا أن يدعو الناس فترادفوا أفواجا ﷺ يأكل كل فوج فمخرج ﷺ ثم
 يدخل فوج ﷺ إلى أن قال : يا رسول الله ﷺ دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه
 فقال : أقموا طعامكم ﷺ وخرق الناس حتى ثلاثة نفر يتحدثون ﷺ فأطالوا
 فقام رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ﷺ لمخرجوا ﷺ فانطق إلى حجرة عائشة
 رضى الله عنها ﷺ فقال : السلام عليكم أهل البيت ﷺ فقالوا لا عليكم السلام
 يا رسول الله ﷺ كيف وجدت أهلك ؟ وطاف بالحجرات فسلم عليهم ودعاهم
 ورجع ﷺ فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون ﷺ وكان رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ﷺ
 شديد الحياء ﷺ فقلما رآه متولياً خرجوا فرجع ﷺ وزلت ﷺ ولا محتاسنين
 لحدث ﷺ نهوا عن أن يطيلوا الجلوس بمتأسين بعضهم ببعض ﷺ لأجل حديث
 يحدث به ﷺ وأوعى أن بمتأسوا حديث أهل البيت : واستنابه : تسمعه
 وتوجهه ﷺ وهو مجرب مصطوف على ناظرين ﷺ وقيل : هو مضروب على : ولا
 تدخلوها محتاسنين ﷺ لا بد من قوله : فمحتصي منكم ﷺ من تغدير الضافي
 أى : من إخراجكم ﷺ دليل قوله : والله لا يحتصي من الحق ﷺ يعنى أن
 إخراجكم حق ﷺ ما ينهى أن يحتصيا منه ﷺ ولما كان الحياء ﷺ ما يمنع الحيى
 من بعض الأعمال ﷺ قيل : لا يحتصي من الحق ﷺ يعنى : لا يحتص منه
 ولا يترك ترك الحيى منكم ﷺ وهذا أدب أدب الله به الثقلان ﷺ فخر الدين
 الرازى ٦ : ٥٨٧ - ٥٨٨ وهو يقول ﷺ نى : ولا تتكحوا أزواجه من بعده أبدا
 قيل : سبب نزوله ﷺ أن بعض الناس ﷺ قيل : هو طلبة بن عبيد الله ﷺ قال :
 لئن عشت بعد محمد ﷺ لأنكحن عائشة ﷺ * والقرطبي ١٤ : ٢٢٣ - ٢٢٠ روى الصحيح
 في سبب نزول الآية ﷺ ما حدث في نواج زينب ﷺ في الوليمة ﷺ وينفى ما روى عن
 ابن عباس ﷺ أن المقصود بأنه قال : لو قرئ رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة ﷺ هو
 أحد الصحابة ﷺ إذا أنه لحقته بن عبيد الله ﷺ وروى ذلك إنما جاء من الذب
في النزول ﷺ والبيضاوى ﷺ ٥٦١ - ٥٦٢ : أن ذكره اللبث : كان يؤذى النبي :
 لتضييق المنزل عليه وعلى أهله ﷺ - وأبرحيات ٧ : ٢٤٥ - ٢٤٨ يكره ما سبق -
 أما ابن كثير ٦ : ٤١٠ - ٤١٦ فيكثر من إيراد الأحاديث في سبب النزول -
 وهو يستدل بالآية على تحريم التطفيل ﷺ والالوسي ٢٢ : ٦٣ - ٦٩ يطرد الإعراب -

تضع الدخول في حجرات أزواج الرسول الا بآذن سابق ، وفي الوقت المحدد للاذن ، حيث لا مكان للانتظار ، ولا امكن ليقاض بعد قضاء الحاجة . وهى ، برغم ذلك الحرج ، تبرز رغبة النبى القوية في شهر زواجه من زينة بنت جحش بأوسع ما يمكن أن يشاع به زواج ، مما يحقق الغرض منه وهى نفى كل أثر كان نفس فكر الناس عن صحة التهنى .

وتظم الآية واجب أمهات المؤمنين فى الاستجابة لما يطلبه اليهن المؤمنون من عون فى أمورهم المادية والمعنوية . فتقتضى أن يكون ذلك من وراء ستار يفصل ما بين زوج الرسول وبين ذى الحاجة ، حتى لا يكون عليهن حرج من التزام ما قد يكون غير متاح ، من البقاء الدائم فى ملابس استقبال خاصة ، أو التعرض المفاجئ لمواجهة سن قد يكون فى قلبه مرض من الذين لم يتمتعهم من صدق الايمان ما يحسم نزوات نفوسهم . وقد عرفنا ، فيما تقدم ، أن القرآن أمر أزواج النبى أن يكون كلامهن وقوف التبرؤ لا لين فيه ولا خضوع ، بل كله الجِد والمعروف .

ثم تحسم الآية كل الحسم فى أن مومدى اختيار أزواج النبى " الله ورسوله " وانداد الآخرة ، على الحياة الدنيا وزينتها " هو التوفر الدائم نهائيا لما اختارهن من ثم فلا يهنى لأحد أن يستجير أن يعدن ، بعد النبى ، أزواجا لغيره أبدا . وكيف تمرد لدنيا الزواج من اشترتها الآخرة ؟

هذا الحظر على أزواج النبى أن يتزوجهن أحد بعد رسول الله ، صلب الله عليه وسلم ، وهو آخر اللمسات القرآنية فى تحديد المركز القانوى الخاص لأزواج النبى ، يجعلنا نفق قليلا لنتعامل : فى أى شيء اذن كان التظيم الخماسى لزواج النبى توسعة لما كان فيه تضيق على سائر المسلمين فى التظيم القرآنى العام للزواج ؟

عرفنا أن النبى كان محظورا عليه ما أيجب للمسلمين من الزواج بالكتابيات ، أو بالاماء ، ثم حظرت عليه فى التسرى ما كان يتسع لغيره من الشراء ، وأخيرا حظرت عليه فى الوسع القاننى الخاص لأزواجه بعد التخيير أن يتزوج الا فى أنواع محددة من النماء هن بنات الأقارب المهاجرات اللواتى عليه أن يكفلهن وقت الحاجة . ثم نزل الحظر التام ، على ما عرفنا . هل التهمة كانت فى العدد الجائز الجمع بهن من الأزواج متى كان ذلك ؟ وفى أى معنى كان ؟ ولماذا ؟

فى الاجابة عن هذه الاسئلة مقدمات مؤهدة تاريخيا ، ومعها احتمالات قد يجوز

القول انها كلاً أو بعضاً قد كانت ، ومع ذلك ، فان النتيجة النهائية لن تشوب
الضطق القانوني بأدنى شائبة .

والمقدمة الموكدة التي لا يختلف عليها أحد ان سورة الاحزاب ، وهى
رابع سورة نزلت من القرآن الكريم فى المدينة ، نزلت قبل سورة النساء السادسة
نزلوا فى المدينة ، واذن فان تنظيم زواج النبی كان قبل تنظيم مسألة تعدد الزوجات
فى النظام العام الذى جاء فى سورة النساء .

وقبل أن ندخل فى الاحتمالات ، ينبغي أن نفرق ، منذ الآن ، بين
وسائل الاتعاق التي يخاطب بها المسلم المؤمن بأن القرآن انما هو كلام الله ،
وبين غير المسلم الذى يتصور القرآن كلاماً لمحمد . قَحْمِيَةُ المؤمن أن تقول لـ
إن القرآن هو الذى نظم قانون الزواج العام للمسلمين ، وهو الذى نظم القانونون
الخاص بأزواج النبی ، وأن حكمة الله فى الحالين فوق الشك ، وانما عليه
أن يؤمن بأن كلاً النظامين من عند الله . هذا ، على الأقل ، ما كان فى ذهن
مفسرى القرآن فى المنازج التى أتينا بها من قبل ، ومن ثم لم يُعَمَّ واحدٌ بالتأصيل
التاريخي، اذ كان حَسْبُهُمَّ جميعاً أن يقولوا ان الله ، سبحانه ، قد خص النبی ،
عليه الصلاة والسلام ، بميزة مَزِيَّةٍ بها ، تكريماً وتعظيماً ، على سائر المسلمين ، هـى
أن لا قيد عليه فى عدد الزوجات .

وأما غير المسلم الذى لا يؤمن بأن القرآن من عند الله ، فإنَّ طريق الاتعاق
مَعَهُ ، أَوْفَعُ النَّظَرِ من النتيجة ، طريق العرضى الموضوعي للمعالة عليه يختلف .
ذلك أنه يريد ، فى الواقع ، أن يعرف شطرنج هذا التمييز : لماذا رَسَمَ محمد لنفسه
فى عدد الزوجات ما حرمه على أتباعه ، حقا أنه كان يحتطج ترك مسألة العدد على
اطلاعه السابق للتنظيم الاسلامي ، كما كانت الحال فى الكتاب المقدس أو عند العرب
قبل الاسلام ، ولكنه اذ قَيَّدَ غَيْرُهُ فلماذا لم يلتزم هو هذا القيد ؟ وإذا رجعنا
الى أن تنظيم الزواج الخاص به كان أسبق ، وأنه تجاوز العدد الذى سَيَّحَاجُ السَّزَواجُ
فى اطاره لغيره من المسلمين ، بالشروط التى عرفناها ، قبل نزول سورة النساء -
كما أكد هذا الدكتور محمد حسين هيكل ، فى كتابه حياة محمد (١) فانه يقضى تعليل

(١) انظر الطبعة التاسعة ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ وهو يقول ان آية
التعدد فى سورة النساء نزلت فى السنة الثامنة للهجرة ، بعد أن كان النبی قد
تزوج كل نساءه .

بقائه على العدد التجاوز لأربع ، وهو غير جائز في حق سائر المسلمين ، تعليلاً موضوعياً بإباء المخاطب غير المسلم .

وإذا فرضنا احتمالات أخرى ، هي أن سورة الأحزاب ، وقد نزلت أولاً بقينا ، لكنها بعد مرحلة تخيير النبي أزواجه - وقد عرفنا ذلك بأن التخيير قد كان قبل فرض الحجاب على نساء النبي (١) - قد أضيف إليها آيات أخرى ، بعد نزول سورة النساء ، فإن الموقف لن يتغير كثيراً . وأذن ، فعلينا الآن أن نبين لماذا لم يفارق النبي ما زاد عن أربع بعد نزول آية النساء الفاصلة على هذا الحد الأعلى ؟ والجواب هو : أولاً أن مفارقة المسلم العادي ما زاد عن أربع إنما قصد به استحالة العدل بين ما يزيد عن أربع مهما كانت الظروف ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى تكين العدد الزائد من الدخول في زواج جديد لا عدد فيه ، أو على أصلاً الفروض ، لا تجاوز فيهم للأربع .

وإذا أردنا تطبيق هذا على أزواج النبي ، وجدنا سبق اختيارهن الآخرة على مطالب الحياة الدنيا وزينتها ، وكسهن أسماط المؤمنين ، وما ترتب على مركزهن القانوني الخاص من تغيير مجار العدل من تحقيق مطالب الزوج العادي إلى معنى دني بحت ، حتى أنه لم يعد هناك خوف من أن تؤدي زيادة العدد إلى ظلم لهن . ووجدنا أن ترك بعضهن ، واستبقاء الأربع ، سيؤدي ، لو حدث إلى الشك في صحة اختيارهن لله ورسوله والدار الآخرة ، وفي هذا من الأذى لهن ما لا سبيل لأحد ، في مثل ظروفهن ، إلى احتاله ، من ناحية ؛ ومن ناحية أخرى ، فانهن وقد حرم عليهن الزواج بعد النبي ، على ما تقدم ، فإن في إخراجهن من أعداد أزواج النبي ، لا يدخلن في زواج جديد . وقد عرفنا أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قد تزوج منهن من هاجرته ولا عائلاً لها سواه ؛ وحين أيسرت في الحرب ، وفقدت ذريتها ؛ فمن لأمثال هؤلاء وهؤلاء ؟ الوضع الطبيعي والمنطقي والعاقل ، إذن ، هو بقاء نساء النبي على ما هن عليه ، وانصرافهن ، في بيت النبي ، إلى خدمة الرسالة والرسول ، وإرشاد من يطلب إرشادهم من المؤمنين والمؤمنات ، فابتغاء ثواب الآخرة التي اخترن ، ورضا الله ورسوله .

١- انظر ما تقدم به .

رقم الايداع ٨٣/٢٤٦١

